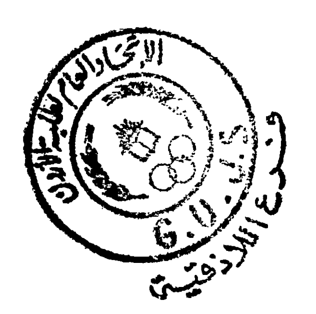


هاشم علي محسن
ثورة حتى النصر
العاصفة
حركة التحرير الوطني الفلسطيني
فتح



الانتفاضة :
ثورة حتى النصر

التوزيع : دار الجليل - للطباعة والنشر -
دمشق : ص.ب ٤٦٤٨ - هاتف ٤٥٤٣٣٩

الطبعة الاولى

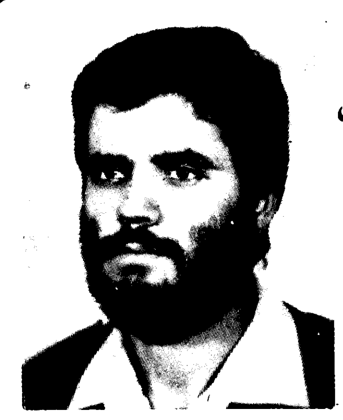
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣

محسن يوسف اللموشي

هاشم علي محسن

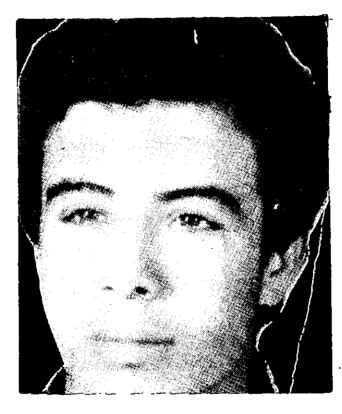
الانتفاضة

ثورة حتى النصر



الرفيق الشهيد
عبد الحكيم بشير مصطفى
(حكيم)

كان أحد قادة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية العسكريين وقاد العديد من عملياتها بنجاح ،
استشهد في ١٩٨٣/٧/٣



الرفيق الشهيد
حسين ملحم يزبك
(صخر)

شارك في عمليات جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية
استشهد في ١٩٨٣/٧/٣

الإهـــــــداء

إلَى شُهَدَاءِ الإِنْتِفاضَةِ الأَبْرَارِ ، الذِيْنَ استَبَاحَ اليَمينُ دِمَاءَهُـم ، عِقاباً لِاحْتِجاجِهِم عَلَى الإِنْحِرافِ عَنِ الْثَوْرَةِ ، وَثَمَناً لِتَصْميمِهِمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْكِفَاحِ حَتَّى تَتَحَرَّرَ فِلسْطِين مِن الإِغْتِصاب الْصهيوني ! . .

إلَى رَفِيقَي الْنِضَالِ ، اللَذَيْنِ كانا فِي طَلِيْعَـةِ الْمُبَـادِرِيْنَ لِدَعْـمِ إِنْتِفَاضَةِ الْعاصِفَةِ ، وَتأكِيْدِ الْتضامُنِ الْشَعْبيّ الْعَرَبِي مَعَهَا ! . .

إلَى الرَفِيْقَينْ ، اللَذَيْنِ عَمَّدا وِحْدَةَ الْشَعْبَينْ الْعَرَبِيَّينِ : اللُّبْنانِي وَالْفِلسْطِيْنِي ، الْكِفاحِيّةَ ، بِدِمائِهِمْ الْزَكِيَّةِ ! . .

إلَى الرَفِيْقَـيْن ، اللَـذَيْنِ إِسْتَشْهَـدَا ، حِفاظـاً عَلى قُدْسِيَّةِ الْقَضِيَّةِ الْفِلسْطِيْنِيَّةِ مِنْ دَنَسِ الْتَسْوِيَةِ ! . .

إلَى حَكِيْمٍ وَصَخْرٍ ، نَهدِيَّ هَذا الْجُهْدَ الْنَظَرِيَّ الْمَبذولَ فِي خِدْمَةِ الْقَضِيَّةِ الَّتي قَدَّما حَياتَهُما ، ذَوْداً عَنْ حِياضِهَا ، وَضَماناً لِسَلامَتِها ، وَعَزْماً عَلَى إِبْقاء رايَتِها خَفَّاقَةً ! . .

إلَى حَكِيمٍ وَصَخْرٍ ، نَهْدِي هَذا العَمَـلَ الْنَظَـرِي ، الْمُعَبِّـر عَنْ مُمارَسَـتِهِما العَمَلِيَّةِ ، تَخْلِيْداً لِذِكْراهِما ، وَعَهْـداً عَلى الْسَـيْرِ بِذَاتِ الْطَـرِيْقِ ... طَرِيْق الْتَضْـحِيَّةِ فِي سَبِيلِ الْقَضِيَّةِ ... طَرِيْق الْثَوْرَةِ حَتَّى النَصرْ عَلى أَعْدَاءِ الأُمَّـةِ الْعَـرَبِيَّةِ الْمَجِيْدَةِ : الامْبِـرْيَالِيِين وَالْصَهَايِنَةِ وَالرَجْعِيِينَ .

هـ . ع . م .

المقدمة :

النظرية المقرونة بالممارسة العملية والقلم الذي يخدم حملة البندقية

- ١ -

ان ايماننا بوحدة أمتنا العربية ، يزداد رسوخاً بازدياد نضج وعينا ، وانطلاقاً من رسوخ هذا الايمان ، فان اهتمامنا بقضايانا القومية ، كما اهتمامنا بقضايانا القطرية . ونظرتنا لأعدائنا القوميين ، لا تقل حقداً عن نظرتنا لأعدائنا الطبقيين الرجعيين . لذا فان ميلنا الموضوعي للتضامن مع القوى العربية التي تعكس هذه النظرة ، يطغى على كافة الاعتبارات الأخرى ، طغيانا ، كان ومايزال مسؤولا عن تحديد مواقفنا ، ونسج علاقاتنا . وكم من محاولات استغلت حاجتنا المادية ، هدفت لتوريطنا بعلاقات نفعية ، تحطمت على صخرة ميلنا الموضوعي الذي يحفزنا باستمرار لمراجعة علاقاتنا ، وتصويب نظرتنا وتقويم مواقفنا ! . .

- ٢ -

ان ايماننا بوحدة أمتنا العربية ، وحقدنا على اعدائها القوميين والطبقيين ، يستندان الى حقائق التطور التاريخي على امتداد اربعة عشر قرنا ، استنادا يشير الى الظواهر التالية :

أولا : ان نشأة الأمة العربية ، ووجدتها القومية ترجعان لقرون عديدة ، وترتبطان بشكل وثيق بالدعوة الاسلامية ، التي عملت على صهر القبائل العربية ودمجها في تكوين تاريخي تثبت على مر السنين والقرون . بيد أن التطورات التي عاشتها سنوات العهد العباسي الأخيرة ، قد أدت إلى تدهور فسح في المجال ، لانتقال زمام الخلافة العربية ـ الاسلامية ، الى خارج الوطن العربي ، مما أدى إلى إضعاف الوحدة العربية وجعل العرب يخضعون للاستعمار بذريعة «اسلامية» ، انتهت بعد قرون إلى دخول الاستعمار الاوروبي الغربي وخضوع اقطار وطننا العربية له ، مما جعل التجزئة قاعدة مادية لوجوده !

ثانياً : ان القوى السياسية التي قادت الثورة العربية الكبرى ضد المستعمرين العثمانيين ، قد استغلت انتصارها لتمويه وتزيين علاقات التبعية الجديدة التي اقامتها مع المستعمرين الاوروبيين الغربيين ، بيد أن عملية الخداع والتضليل التي تسترت بها تلك القوى لم تنطل على الجماهير ، التي ادركت ان التراجع عن الأهداف الستراتيجية التي قامت الثورة من أجلها ، لا يعني انحرافاً عن مصلحة الأمة العربية فحسب ، وانما يؤكد على عمالة تلك القوى ورجعيتها وسعيها لجعل الانتصار الذي تحقق على العثمانيين ، وسيلة لتغطية الارتماء بأحضان المستعمرين الاوروبيين الغربيين ، ولم تنكشف حقيقة الانحراف الذي استبدل استعمار باستعمار ، للعيان ، عبر التراجع عن أهداف الثورة ، في الوحدة والتحرر والاستقلال ، فقط ، بل وعبر التآمر المستمر على حركة الشعب العربي الفلسطيني ، والتواطؤ مع الامبريالية بغية تمكين الصهيونية من اغتصاب فلسطين .

لاريب في أن الثمن الذي دفعته الأمة العربية ، من جراء خيانة القوى الرجعية ، كان باهظاً . فقد تكبدت عدم تحقيق اهدافها ، وخضعت للاستعمار الاوروبي الغربي ، وخسرت فلسطين ، بعد أن تحررت من الاستعمار العثماني ! . .

ولكن ماتكبدته الأمة العربية ، لا ينبغي أن يحجب عنا ، رؤية التطور الكبير الذي احرزته وتيرة نضج الوعي القومي لدى جماهيرنا الشعبية . فمقابل القرون العديدة التي امضتها الامة العربية تحت وطأة نير الاستعمار العثماني ، كانت نهضة الوعي القومي الحديث عارمة ، خلال ربع قرن من الزمن ، مما ادى الى عزل القوى الرجعية العميلة وأسقاط العديد من الأنظمة التي اقامتها .

ثالثاً : لم تكن عملية اغتصاب فلسطين حدثا عابرا ، بل كانت منعطفا تاريخيا ، دفع الأحداث نحو ضرورة الاطاحة بالرجعية . فكانت الثورة الوطنية الديمقراطية وكانت المنجزات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، بيد ان الحركة القومية الحديثة ، التي قادت الثورة ، عجزت عن ادراك اهمية دور الجماهير الشعبية في معاركنا القومية والوطنية ، عجزا جعلها تدير الصراع مع اعداء الأمة العربية : الامبرياليين والصهاينة والرجعيين ، عامة ومع الحركة الصهيونية خاصة ، بمعزل عن جماهير الشعب ، مما جعلها تعتمد على الجيوش النظامية فقط في خوض معاركها الخاسرة . فقد انشغلت ببناء الجيوش النظامية وبذل الجهود المضنية ، سعياً وراء انتصار حاسم تحققه على اسرائيل ، بيد أنها كانت تمنى بهزيمة كل عشر سنوات ، الأمر الذي دفع العديد من فصائلها للاستسلام والتراجع عن الأهداف الكبرى

والانحراف عن نهج الثورة التي قادتها ، نتيجة الشعور بالعجز وعدم القدرة على مواجهة اعدائنا القوميين ! . .

لاشك في حالة التراجع والانحراف التي نعيشها ، غير ان تسليمنا بهذه الحقيقة المرة ، لا يجوز ان يحجب عن انظارنا ، حقيقة هامة اخرى ، اعني : ان تطورات وقائع ربع القرن المنصرمة لم تكن كلها هزائم وتراجع عن الاهداف والمنجزات التي تحققت ، بل كان هناك صراع عنيف ودام ، بين جماهير الأمة العربية ، من جهة وبين اعدائها من جهة اخرى . ومالتطورات الراهنة التي نعيشها ، إلا دليل على ارادة المقاومة التي تكتنزها جماهير شعبنا العربي :

* لقد كانت هزيمة ١٩٤٨ ، انتصارا لأعداء امتنا ، وكانت الثورة الوطنية الديمقراطية ، هزيمة لهؤلاء الأعداء وانتصاراً لارادتنا .

* وكان العدوان الثلاثي ضربة موجعة لثورة تموز المصرية ، بيد ان الصمود بوجه العدوان واجبار المعتدين على الانسحاب كان انتصارا لقوى الأمة العربية الجديدة .

* كان حلف بغداد ودخول العراق فيه طعنة بخاصرة الأمة العربية ، وكانت الوحدة بين سوريا ومصر وثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، صفعة موجعة للقوى التي نفذت تلك الطعنة .

* كان الانفصال هزيمة لحركة الثورة العربية ، وكان انتصار الثورة الجزائرية والثورة اليمنية ١٩٦٢ وثورة تشرين (اكتوبر) ١٩٦٣ العدنية وثورة آذار ١٩٦٣ في سورية والثورة العمانية ١٩٦٥ وثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ في ليبيا ، ردا قوميا على تلك الهزيمة ومحاولة لإعادة الاعتبار لتيار الثورة العربية .

* وكانت هزيمة ١٩٦٧، ضربة موجعة ، لقوى التحرر العربية ، وكان ظهور المقاومة الفلسطينية والحرب الرابعة ردا على تلك الهزيمة ، رغم خطة السادات التي جعلت هذه الحرب ستارا للخيانة القومية .
* كانت الحرب الخامسة هزيمة للمقاومة الفلسطينية ، استغلتها قيادة منظمة التحرير ، لتكريس الاستسلام والتمادي في سعيها لتحقيق التسوية السياسية مع اسرائيل ، فكانت انتفاضة قاعدة «فتح» ورفض اتفاق الحاق لبنان باسرائيل وهزيمة الفاشية بحرب الجبل ، ردا على الهزيمة ورفضا للاستسلام .

هكذا كانت المرحلة التي ارادتها الامبريالية والصهيونية والرجعية ، مرحلة استسلام وركوع ، سجالا متواصلا وحربا دائمة لا هوادة فيها ! . .

ان هذا السجال رغم طغيان الاستسلام عليه ، يشير بوضوح الى ان ارادة المقاومة لدى الأمة العربية ، هي الأقوى ، بدليل عودتها للنهوض ، كلما ألحقوا بها هزيمة ! . .

رابعاً : ولعل الظاهرة الأبرز في السجال الذي تخوضه الأمة العربية تتجلى في مظاهر حرب الشعب التي باتت تطبع مواجهتنا لأعداء امتنا .

ان مقاومة العدوان الاسرائيلي والصمود الذي شهدته بيروت بوجه الحصار الصهيوني ، وظهور المقاومة الوطنية اللبنانية ... ان هذه كلها مظاهر لأسلوب حرب الشعب التي تعود للظهور من جديد بعد ان عملت الأنظمة العربية على طمسها ! . .

ان مراجعة الحقبة الماضية ، وعلى وجه التحديد ، منذ وعد بلفور

حتى الان ، تدلنا على ان مظاهر حرب الشعب التي تجلت في المقاومة الشعبية للاستعمار خلال عقد العشرينات ، في العديد من اقطار وطننا العربي عامة وفي فلسطين خاصة ، حيث تصاعدت مقاومة المستعمرين البريطانيين والعصابات الصهيونية حتى بلغت ذروتها في ثورة القسام ورفاقه في ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨... ان تلك المظاهر قد تعرضت للقمع من قبل الرجعية العربية . ومامسرحية حرب الجيوش السبعة وفرض الاحكام العرفية (الطوارىء) واجهاض بوادر حرب الشعب المتمثلة في جيش الانقاذ والجهاد المقدس عام ١٩٤٨ . . . ماتلك الوقائع سوى اسلوب لطمس دور الجماهير وعزلها عن ميادين المعركة المسلحة ضد اعداء الأمة العربية ! . .

كان المفروض ان تتطور ثورة ١٩٣٦ ، الى حرب شعبية عربية شاملة ضد الاستعمار البريطاني والعصابات الصهيونية لمنع الصهيونية من اغتصاب فلسطين ، بيد ان القوى الرجعية ، عملت ماوسعها للحيلولة دون المشاركة الشعبية ، لتبرر هزيمتها امام الصهيونية بضعف جيوشها . ولم تكن تلك سوى ذريعة ، لاخفاء تواطؤها . اذ كان بالوسع تلافي ذلك الضعف باطلاق الحريات للجماهير وتعبئتها في ميدان حرب شعبية طويلة ! . .

فقد عملت الرجعية كل ماوسعها لقمع حركة الجماهير ، فأغلقت مكاتب التطوع لجيش الانقاذ التي غطت اقطار الوطن العربي ، وفرضت الاحكام العرفية لمنع المظاهرات الاحتجاجية الداعية للتطوع وتحرير فلسطين . ولكن الحركة القومية الحديثة التي قادت الاحتجاج القومي على الرجعية ورفعت رايات محاربة الامبريالية

والصهيونية . . . ان هذه الحركة ، لم تعمل على اشراك الجماهير حين استلمت السلطة ، اذا استثنينا مناسبات معينة ومحدودة ، كمناسبة العدوان الثلاثي مثلا ! . .

ان الحركة القومية الحديثة قد كرست عين الأسلوب في مجابهتها للامبريالية والصهيونية والرجعية : تركيز مطلق على اعداد الجيوش النظامية ، اما الجماهير فكانت معزولة عن المشاركة في المعركة ضد اسرائيل ، رغم تجربة حرب الشعب الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني .

ان اعتمادنا على الجيوش النظامية لوحدها ، في صراعنا مع اسرائيل ، لن يحقق لنا نصراً ، لاعتبارات لا تتعلق بهذه الجيوش نفسها ، وانما تتعلق بنوعية التسليح ومسألة الانفاق عليها واعدادها لخوض حرب يغلب عليها الطابع التقني الذي لا نستطيع مجاراة اسرائيل في ميدانه! . .

ان اعتمادنا على مصادر التسليح يجعلنا اسرى سياسة هذه المصادر ، ولذلك كنا نعد الجيوش لننهزم كل عشر سنوات هزيمة جديدة ! . .

اما اليوم ، فإننا أمام ظواهر يمكننا اعتبارها بينات على القناعة بضرورة اتباع اسلوب حرب الشعب التي تشارك فيها الجيوش النظامية وهي معتمدة على جماهير الشعب العريضة . اما هذه المظاهر ، فتتمثل بحرب الشعب الجزائرية والفلسطينية واليمنية . ولعل ابرز امثلتها في ايامنا هذه يتجسد في مواجهة الجماهير الشعبية اللبنانية والفلسطينية

للاجتياح الاسرائيلي الذي تعرض له لبنان وفي المقاومة الوطنية اللبنانية التي لم تعتمد على دولة ، ولم يكن لها مصادر تمويل سوى امكانيات الجماهير الشعبية وارادتها الحرة وتراثها الوطني والقومي والديني وتقاليدها المتعارضة مع الاستعمار الصهيوني وعملائه .

إنه لظلم مبين للأمة العربية ، ان تتحمل هزيمة في حرب لم تخضها هي . ومن الجريمة ان تحسب هزيمة لبضعة مئات من الجنود النظاميين على امة تعداد سكانها يناهز مئة وخمسين مليونا ، لم يكن لهم دور سوى تلقي انباء الهزيمة من مذياع الدولة وجيشها النظامي المهزوم.

يقول القائد العربي :

«هناك مشكلة الساعة . . . هناك قطار الموت الذي يداهم الوطن العربي قطرا قطرا ويريد ان يدمره بلدا بلدا وبيتا بيتا ويريد ان يصفي وجودنا الجسدي فرداً فرداً رجلاً وامرأة امامنا قطار الموت الصهيوني الذي تقف وراءه ترسانة الولايات المتحدة الامريكية القوة الاولى في العالم . . . ليس أمام الامة العربية الا ان تجند كل قواها من أجل القتال ويجب ان تدمر كل البيوت التي تسجن النساء لانها تسجن قوة مقاتلة . . . قوة فعالة وتسجن نصف المجتمع ناهيك عن الرجال الذين يعيشون على هامش الحياة يسحقهم القهر والاستغلال فيما يتوقف مصيرنا على حفنة من الجنود النظاميين انها مغامرة خطيرة بالنسبة لمستقبل الامة العربي فمصر البالغ عددها اربعون مليونا استسلمت في ستة أيام لأن هناك مائة الف فقط من المقاتلين قد هزموا ويعلن اربعون مليونا انهم هزموا . هذه مأساة تاريخية . . . ثم تعلن الامة العربية انها

هزمت لأن مصر قد هزمت . . . ان الامة العربية في الحقيقة لم تهزم ماديا حتى مصر لم تهزم . هزم مائة الف ولكن لم يهزم ثلاثون مليونا او اربعون مليونا لانهم لم يدخلوا المعركة اصلا . ان الاسرائيليين الذين احتلوا فلسطين وما حولها يريدون ان يفرضوا السيطرة الصهيونية على الوطن العربي وانهم يقاتلون كمعسكر عدواني بالكامل ليس فيه قعيد حيث ان كل الرجال والنساء تم تجنيدهم لقتال العرب . . . ان عدد السكان القليل للمعسكر الصهيوني والذي لا يزيد عن ثلاثة ملايين يستطيع ان يجند نصف مليون لمحاربة العرب بينما تقابله جيوش عربية من ثلاثة او اربعة اقطار عربية لا يزيد عددها عن ربع مليون فيما يربو عدد سكان هذه الاقطار عن خمسين مليون نسمة . . . إن العرب لم يدخلوا المعركة بعد ، فكيف تكتب علينا الهزيمة ونحن لم نقاتل . . . علينا ان نقاتل اولا بالجماهير الشعبية نساء ورجالا وبالتعبئة الشاملة . . . يجب علينا ان نضرب المثل للاقطار العربية لكي تحذو حذونا وتبدأ التعبئة الشاملة»[1]

لست انا المواطن العربي ، من قال هذا الكلام ، بل ان قائله قائد مسؤول امام شعبه وامته العربية . . . انه العقيد معمر القذافي الذي ادلى به بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ .

اليس كلام القذافي ، دليلا يشير الى ان الاتجاه العام للوعي العربي ، يسمو نحو حرب الشعب واشراك الجماهير في مواجهة التحديات الامبريالية عامة والصهيونية خاصة ؟

---

(١) راجع خطاب العقيد معمر القذافي في الكلية العسكرية للبنات الذي القاه في ٣/ ٩/ ١٩٨٣

ربما أبدو متفائلا اكثر من اللزوم ، ولكن هل يجوز للذين يلتزمون بواجب الاسهام بالمعركة التي تخوضها امتهم ، ان يكونوا متشائمين ؟

-٣-

لاشك في أن التشاؤم صفة ، لا تليق بالمناضلين ، لأنه قد يدفع للانحراف عن جادة الكفاح والانصراف للشأن الخاص ، لدرجة قد يتحول معها الى انسان انتهازي . ذلك ان الانسان ، عندما يكون منتميا لجيل يخوض النضال ضد اعدائه القوميين والطبقيين ، لابد ان يكون موقفه (الانسان) محكوماً بخيارين لا ثالث لهما : اما ان يسهم بنضال شعبه ، واما ان يقف محايدا بين الشعب واعدائه ! . .

واضح ان موقف الحياد ، انتهازي لانسان اناني أو جاهل ، لذلك يجب ردع الانتهازي الواعي لأنانية موقفه ، وتوعية الجاهل بخطائه ودعوته لادراك واجب المشاركة في الكفاح كي يتحمل قسطه من التضحية التي يفرضها النضال ، باعتبارها ضريبة يتحتم على كل انسان من ابناء الجيل المناضل ، اداءها ! . . .

ان هذا الجهد تجاه ابناء الشعب الذين يلتزمون الموقف المحايد ، موكول ادائه الى قوى الشعب التقدمية والوطنية . اما الانسان الذي يسهم بكفاح شعبه ، يستحق ان يوصف بـ «المناضل» غير ان هذه صفة اعتبارية عامة ، يستحقها كل من يسهم بالنضال بالقدر الذي يستطيع حتى لو كان هذا الاسهام محصورا بحدود الانتماء للموقف الوطني العام ، دون القيام بما يترتب على هذا الانتماء من مهام نضالية ! . .

ان صفة «مناضل» ، تكون صفة اعتبارية عامة عندما تطلق على

الشعب . فحين نقول : شعب مناضل ، لا نعني مواطناً بذاته ، وانما نعني كل الشعب المؤيد للتغيير والمناهض لاعدائه . ولكن هذه الصفة تكون واقعية ملموسة عندما تطلق على المواطنين الذين يلتزمون بالموقف الوطني ويتحملون التبعات المترتبة على التزامهم هذا فهؤلاء يتميزون عن غيرهم من ابناء الشعب بقيامهم بالواجبات الكفاحية ، تميزاً يكتسبون معه حق الانتماء لصفوف طليعة الشعب القائدة للنضال والمرشدة للجماهير الشعبية . وبما ان قدرات المناضلين الطليعيين على المشاركة بكفاح شعوبهم متباينة ومختلفة ، فان المواقع التي يشغلونها ، تختلف حسب اختلاف القدرات وتباينها ! . .

ان المناضلين الطليعيين مواطنون ملتزمون بقضايا شعوبهم ، وهم يتميزون عن بقية ابناء الشعب بالمبادرة الكفاحية ومايترتب عليها من تضحيات ، بيد ان تباين قدراتهم على العطاء الكفاحي ، لا يجعلهم متميزون ، فحسب ، بل ومتمايزون في الوقت نفسه ايضا . فمنهم من يقوم باداء الواجبات الوطنية بحدودها الدنيا ، ومنهم المقاتل الذي يقدم حياته فداء لالتزامه الوطني ، ومنهم من يصرف جهده ويرهن نفسه وحياته لمقتضيات التزامه الوطني . لذلك ، فان جاز اعتبار المناضل الطليعي الذي يقوم بالحد الأدنى من الواجبات النضالية افضل مواطن ، فان المناضل المقاتل يعتبر افضل مناضل ، لأن مايقدمه المقاتل لكفاح شعبه يفوق مايمكن ان يقدمه المناضل غير المقاتل ، طالما ان التزام قضية القتال جدي وحاسم لدرجة يضحي معها المقاتل بحياته وهي أعز مايمتلك الانسان على وجه الاطلاق ! . .

ولست اعني بالمناضل المقاتل اولئك المناضلين الذين يحملون

البنادق ، فقط ، بل كل مناضل يسهم بقضية الكفاح الثوري ويقاتل دفاعا عن قضية الثورة ، لدرجة الاستعداد للتضحية بالحياة . فما دامت قضية الالتزام جدية وحاسمة ، ومادامت الجدية والحسم يتجليان بتقديم اعز مايمتلك الانسان ، أي الحياة ، فان كل مناضل يلتزم قضية الثورة ويغذي مشعلها بجهده ودمه ، يعتبر مناضل مقاتل ثوري !..

اما المقياس الذي يحاكم بموجبه وضع المناضلين المقاتلين ، بغية تعيين تمايزهم ، فيتمثل بمراعاة العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة العملية . فالمقاتل الذي يحمل بندقية ، يوصف بأنه مقاتل بمجرد حمله للبندقية ، ولكن ليس كل حملة البنادق يستحقون صفة «مقاتل» . فما دام الاعتبار يتأكد او يسقط عند الاختبار ، فان حملة البنادق الذين لا يخوضون المعركة بجدية ولا يصمدون بميدانها ، يفقدون صفة مقاتل رغم حملهم للبنادق ، لأن مجرد حمل البندقية ليس أكثر من موقف نظري يوحي بالتعبير عن الاستعداد للقتال ، ايحاء يمنح صاحبه صفة «مقاتل» ، وبما ان النظرية تحتاج ، لكي تتأكد صحتها لشهادة الوقائع العملية ... لان تقرن بالممارسة الفعلية ، فان حامل البندقية مطالب بالبرهان على استحقاقه لصفة «مقاتل» التي تقلدها بحمله للبندقية . وبما ان المجال الوحيد لاعطاء مثل هذا البرهان يتمثل في ميدان المعركة الفعلية اثناء المواجهة القتالية مع اعداء شعبه القوميين والطبقيين ، فان حملة البنادق مطالبون بخوض المعارك بجدية ملموسة كي يستحقوا شرف لقب مقاتل .

اما المناضلون الثوريون ، من غير حملة البنادق ، فانهم مطالبون ، بالبرهان على كونهم مناضلين مقاتلين ثوريين فعلا ، بمواكبة حركة

البنادق ومرافقتها وتفسير فعلها ، وتصوير واقعها لكي تتبين صورتـه بوضوح امام انظار الجماهير ، والقاء الضوء امامها كي تعرف هدفهـا ، وتدرك ظروفها ، وتسير بوعي نحو غايتها .

- ٤ -

كان هذا التمهيد ضروريا ، قبل ان اشير الى دوافع موقفنـا من انتفاضة قاعدة «فتـح» وانخراطنـا بميدان حركتهـا الرافضـة للتسـوية السياسية للقضية الفلسطينية .

اننا مؤمنون بوحـدة الأمـة العـربية ، وبـكون هذه الوحـدة قد تكونت باعماق التاريخ العربي ـ الاسلامي . بيد ان ايماننا هذا لم يمنعنا من رؤية التجزئة التي نعانيها غير ان هذه التجزئة لا تعني عدم وجود الأمة العربية . والفرق كبير جدا بين أن تكون أمة ما مجزأة وبين أن تكون في طور التكوين . لذلك فاننا نعارض الآراء التي تنكر وجود الأمة العربية او تلك التي تدعي انها أمة في طور التكوين . اننا نناضل من اجل الغاء التجزئة واعادة وحدة الأمة ، ولسنـا نناضـل من أجـل تكوين أمة غير موجودة . هذا هو ايماننا . ومن يكن هذا هو ايمانـه ، فلابد ان يكون ضد التسوية السياسية للصراع مع الصهيونية . لذلك فان انحيازنا الى جانب الانتفاضة هو الأمر الطبيعي ، اما الموقف الآخر فموقف انتهازي نفعي يتعارض مع تربيتنا وجوهر إيماننا ! . .

ان المسألة ليست اختيارية ، لأن الانتفاضة ليسـت مجـرد دعـوة لاتخاذ موقف ضد التسوية ، وانما هي موقف قومي عملي حازم ، يضع كل القوى ومواقفها امام منعطف تاريخي ، والتلـكؤ ازاء المنعطفـات التاريخية يعكس نظرة متخلفة وميلا انتهـازيا ويجسـد موقفـا وسـطيا

نفعيا . والمتتبع لنظرتنا وموقفنا يجد اننا مبدئيون في معارضتنا لتسوية الصراع مع الصهيونية ، وجادون في التزامنا بضرورة حسمه بقوة ارادة القتال العربية ، وسندنا الاساسي يتمثل بالحق العربي في فلسطين . ومن يطالع وثائقنا المحررة ، وهي عديدة ، يتأكد من ان نظرتنا لا تعاني من التذبذب ولا يشوبها الاضطراب ، وبوسع القارىء ان يرجع لتقريري مؤتمرينا الوطنيين : الأول والثاني (١٩٧٢ - ١٩٨٠) ومجلة «الثوري» و «طريق الثورة» الناطقتين باسمنا ، والعاكستين لموقفنا ، وكراس : «مفهوم الهدف المرحلي والمرحلية في الكفاح الثوري المسلح» ، الذي فند ادعاء اعتبار مفهوم «الدولة الفلسطينية» ، هدفا مرحليا ، وكشف زيفه . و «دراسات نقدية . . .» وسائر تقارير الفروع وأدبياتها .

ان عرض الوثائق الدالة على معارضتنا للتسوية طويل ، ولذلك فسأكتفي بالاشارة الى الوثائق الثلاث التي ضمها القسم الثاني من كراسنا هذا ، عنيت : «رسالتي الى المقاتلين الفلسطينيين الذين غادروا بيروت في آب ١٩٨٢» وردي على فيصل حوراني : «خروج المقاومة من لبنان ومستقبل الثورة الفلسطينية» المحرر في الأول من كانون الاول ١٩٨٢ ، ومناقشتي لبيان ندوة المنتدى الفكري في اواسط كانون الاول ١٩٨٢ ! . .

مما تقدم يتضح ان موقفنا من الانتفاضة لم يكن مبادرة معزولة عن نهج الحزب وموقفه ورؤيته السياسية ، بل على العكس تماما . ولو لم نفعل الذي فعلناه ، لكنا متعارضين مع نهجنا ومواقفنا ورؤيتنا الاستباقية التي حذرت قيادات المقاومة الفلسطينية من مغبة التمادي في

التفريط بالحق العربي في فلسطين .

ـ ٥ ـ

لقد اعتبر بعض الرفاق والأخوة ، موقفنا رياديا ، اما نحن فقد استقبلنا الانتفاضة بارتياح منقطع النظير ، ولم نخف اعجابنا بها وتقديرنا الكبير للقائمين بها ، وتشهد على ذلك ، كلمة الاهداء التي سجلتها على صفحات كتابي : «دراسات نقدية» ، اللذين قدمتهما للأخ القائد «ابو موسى» ، حين التقيته لأول مرة بعد اعلان الانتفاضة في قرية المنارة اللبنانية ، وكانت الانتفاضة ما تزال في يومها الثالث على ما اذكر ، اذ تجرأت يومها ، فوصفت الخطوة بأنها عمل تاريخي ، سيسجله التاريخ لهؤلاء الأبطال الذين اعادوا الى الأذهان المآثر الكفاحية لشعبنا العربي الفلسطيني الأبي ! . .

فنحن ، نشعر بالامتنان لهؤلاء المناضلين ، لأنهم اعادوا الاعتبار للمنطق الرافض للاستسلام ، بعد ان كادت القوى المعادية لأمتنا العربية ، ان تحتوي الساحة الفلسطينية . لذلك فان الريادة صفة ينبغي ان تطلق على قاعدة «فتح» وقادة انتفاضتها الذين منحونا فرصة المبادرة لتأييد فعلهم الريادي ! . .

لا ريب في ان فصائل المقاومة الفلسطينية التي بادرت لدعم الانتفاضة ، قد كشفت للعيان ، انها ـ باستثناء المجلس الثوري ـ كانت تعاني من الكبت ، ومع ان مبادرتها تعبر عن الشعور بالمسؤولية ، وتتجلى بروح الريادة الطليعية . . . مع ذلك فان الفضل يبقى للمبتدي ، مهما اجاد المقتدي ، لذا فاننا جميعا نقتدي بالانتفاضة ،

ونتبع خطاها ، بحكم كوننا نؤيد ما فعلته هي ، ولم يكن بامكاننا ، ان نخطو خطوتنا ، لولا خطوتها التي خطتها في مساء التاسع من أيار ١٩٨٣ ! . .

- ٦ -

اكتب هذه المقدمة ، في اواسط تشرين الأول ، أي بعد مضي اربعة شهور ونيف على كتابة هذه الدراسة ، (الحدث الفلسطيني الأبرز : دلائله وافاق تطوره) ومع انها فترة قصيرة لا تكفي للتقيم والحكم عليها أو لها، غير أن تطورات الصراع بين قيادة «فتح» الرسمية ، وقاعدتها المحتجة ، قد احدثت عددا من الوقائع الملموسة المؤكدة لتقديرات الدراسة وتنبؤاتها . ولدى استعراض موضوعات الدراسة والغايات التي سعت لبلوغها ، والنظر اليها بمنظار تطورات الفترة المنصرمة ، سنتأكد من صحة الرؤية العامة التي حددناها ، مما يزيد من ثقتنا بترجيح حدوث ما قدرنا حدوثه ، سواء تعلق الأمر بمصير الانتفاضة وافاق تطورها ، او بقيادة «فتح» او بانعكاس الحدث على بقية فصائل المقاومة الفلسطينية .

فقد كان تقديري لعجز قيادة «فتح» ، عن معالجة الأزمة التي فجرتها الانتفاضة ، صحيحا . ويتبين اليوم ، انها ليست مقتنعة بنهج التسوية الهادفة تصفية القضية الفلسطينية فحسب ، وانما يتبين ايضا انها تسير مع رئيس اللجنة التنفيذية ، وكأنها ظله وانني اذ اسجل هذه البينة للتدليل على صحة تقديري ، فأنا اسجل في الوقت نفسه ، أسفي لتمادي قيادة «فتح» ، في سياستها الخاطئة ، وعزائي ان هذه هي طبيعة الأمور ، وان فضل قادة الانتفاضة ، لم يتجل باستباقية رؤيتهم

لخطورة مثل هذا النهج ، فحسب ، بل وكانوا بمستوى المسؤولية التي يتحملونها قبل غيرهم في التصدي لنهج الارتداد عن هدف تحرير فلسطين والانحراف عن نهج الثورة حتى النصر !..

لقد قدرت بصواب نجاح الانتفاضة حين قلت : «ان وضع القيادة العامة لقوات العاصفة ، في مواجهة القيادة السياسية للحركة له مغزى كبير ، اذ سيتكفل استمرار الانتفاضة باظهارهم في الموقع القتالي ، واظهار «فتح» القيادة الراهنة في الموقع المساوم على القضية والقتال في سبيلها .»

وها هي التطورات على قصر الفترة التي تصرمت على كتابة هذا الكلام تؤكد على صحة ما ذهبت اليه ، ولكن الفضل بصواب هذه الرؤية يرجع لقادة الانتفاضة بكل تأكيد ، ذلك انهم هم الذين قرروا واختاروا زمان ومكان تفجير انتفاضتهم . اما أنا المواطن العربي ، فدوري محصور برؤية ما رسموه هم ، وما فعلوه وكرسوه على الأرض ، للدرجة التي ساعدتني ، مثلما ساعدت غيري على رؤية الواقع الملموس الذي صنعوه .

قبل ما يقرب من سنتين كتبت تحت عنوان : «لكي يكون القلم في خدمة الثورة» ، ما يلي :

«لكي يكون الجهد الفكري في سبيل القضية ، ولكي ينهمر مداد اليراع لغير المنافع الذاتية ، وتخوض الكلمة غمار المعركة الى جانب البندقية ... لكي يحدث ذلك كله ، فلا بد من توفر حافز يحرك الوعي ويثير الشعور بالمسؤولية التاريخية»[2]

---

(٢) البوليساريو : شعب وثورة ـ ص ١٢ .

واليوم اذ استعيد قراءة هذا الكلام ، الذي حفزني لكتابته ثوار الصحراء الغربية البواسل ، اجد نفسي منحنيا امام مقاتلي قاعدة «فتح» الذين اتاحوا لنا ان نتنفس الصعداء بعد ان كدنا نختنق من شدة طغيان المشاريع الاستسلامية .

ان الانتفاضة ، قد اعادت الاعتبار للكلمة الثورية وبات بوسعنا ان نرى شعار : «ثورة حتى النصر» يخفق على صفحة علم انتفاضة العاصفة .

- ٧ -

لقد رأى البعض ان الانتفاضة ، مجرد انشقاق ، سرعان ما يتلاشى امام بلدوزر «ابو عمار» ، ولكن تطورات الأحداث قد برهنت على ان هذه الرؤية هي الأخرى عاجزة عن ملاحظة عمق الأزمة التي تعانيها قيادة منظمة التحرير ، ومصدر هذا العجز ، يكمن في كون اصحاب هذه الرؤية هم الآخرون غاطسون في مستنقع الأزمة التي انضجت الظرف لانتفاضة العاصفة ! . .

إنه لأمر مخجل حقا ، ان يتحول بعض القيادات الى مجرد دمى تلعب بها لجان المستشارين والمخبرين ، الذين ما كان بوسعهم ان يمارسوا دورهم الخطير هذا ، لو لم يفسح لهم المجال من قبل القيادات التي اصبحت اسيرة استشاراتهم ! .

- ٨ -

ضمني لقاء مع احد مواطني البلدان الاشتراكية ، ومع ان اللقاء كان مصادفة عابرة ، فقد ساده نقاش ساخن حول طبيعة الانتفاضة ومصيرها ، وفي غمرة حماسه ، انبرى للقول : «انني مسافر وسأعود الى المنطقة بعد شهر ، وسنرى ان كان بوسع هذه الحركة ان تعيش

حتى عودتي» !..

كان عمر الانتفاضة آنذاك لا يتجاوز بضعة ايام ، ولدى سماعي لهذا الكلام السطحي ، قلت له بانفعال : «انني انصحك بعدم العودة ، لكي تجنب بلدك مغبة نصائح قصر نظرك» !..

ان المسألة ، كما أفهمها ، ليست مسألة عبقرية او ذكاء ، بقدر ما هي مسألة مصالح وشبكة علاقات وارتباطات تقتضي نسجها هذه المصالح ، للدرجة التي تجعل مناضلا فلسطينيا لم يعد يرى فلسطين ، فيلهث وراء الاعداء القوميين الذين ثار عليهم ، لكي يعوضوه ثمن «اتعابه» خلال سنوات النضال الذي خاض غماره !..

اين هي العلمية ، واين هو التحليل العلمي ، الذي جعل العديد من «الشيوعيين» يحكمون على الانتفاضة بالموت بعد ان اعتبروها مغامرة غير محسوبة ؟

ليس مهما ان ندعي العلمية ، بل المهم ان نكون علميين بنظرتنا وبممارساتنا ، ومعلوم فان النظرة العلمية ، كما الحقيقة ، لا يمكن فصلها عن الواقع الملموس .

- ٩ -

وما دمنا في معرض الاشارة لخلفية موقفنا ، فيجدر بنا ان نطالع قول رسالتي التي وجهتها في الثاني والعشرين من آب (اوغسطس) ١٩٨٢ ، التالي :

«كان متوقعا ان يؤدي التمادي في التبشير بالحل السلمي الاستسلامي وعجز اليسار عن تجاوز اليمين الى الاندفاع اكثر فأكثر نحو الرجعية وتزيين مشروع فهد ، باعتباره الحل العربي المناسب

والملائم لمصالح اميركا وعربها» .

لقد كانت هذه الرؤية استباقية لما سيحدث . فبعد اسبوع من مغادرة المقاومة لبيروت عقدت قمة فاس الثانية ، فأقرت مشروع فهد واصبح سياسةعربية رسمية، الأمرالذي يكشف للعيان أن الحرب لم تشنها اسرائيل فقط ، وانما كل اطراف المعسكر المعادي : الامبريالية والصهيونية والرجعية ، لأن عقد المؤتمر بظرف الهزيمة وفرض المشروع الذي اعتبر الحسن الثاني رفضه من قبل قمة فاس الأولى ، دليلا على ان الوضع العربي لم ينضج بعد لاقرار المشروع ، مما يدعو الى اليقين بأن قمة فاس الثانية ، كانت ، في احدى معانيها ، عبارة عن احتفال بالظرف الذي نضج لرضوخ الأرادة العربية ، وتأكيد لانتصار ارادة اعدائها عليها .

ولدى مطالعة ردي على السيد حوراني ، نلحظ انني سجلت حقي بالعودة لمناقشة وضع المقاومة الفلسطينية بوضوح في تمهيدي للبحث في المحظورات ، اذ يرد قولي : « . . . ولا يعني ذلك اننا سنقول كل مايجب قوله . . . وسنحصر النقاش بما اثاره حوراني، محتفظين ببقية الحديث لوقت آخر» وكررت ذلك في معرض مناقشتي للمحظورة الثالثة ، اذ قلت : «نكتفي بهذا القدر ، مراعاة لشعور كاتبنا الذي لم ير الوقت مناسبا للحديث عن كل شيء بموضوعية كاملة . . . »

تدل هذه الشواهد ، على مدى اهتمامنا بالقضية الفلسطينية وبموقف طليعتها : المقاومة الفلسطينية . فنحن ، اذن ، معنيون ومهتمون بضرورة بقاء المقاومة في موقف الطليعة القائدة للثورة ! . .

وحق لي - كما اتصور - ان اعتد بفهمي للأساس الذي ينبغي ان تقوم عليه الوحدة الوطنية الفلسطينية التي كان «البعض» من فصائل المقاومة يتستر بها ، لتبرير السير بذيل حركة «ابو عمار» ونهجه الداعي للحصول على الجزء مقابل التنازل عن الكل . ففي معرض مناقشتي للسيد حوراني قلت :

«ان الوحدة الوطنية الفلسطينية ، لا يمكن انجازها ، بغير استمرار الثورة ومواصلة مقاتلة اسرائيل ، واي تصور لامكانية الاحتفاظ بهذه الوحدة ، بدون توفر حرارة جذوة الثورة ، سيكون تصورا ساذجا ، او محاولة للايهام بغية تغطية جوهر مساومة التفاوض والصلح والاعتراف ! . .

طالما ان الوحدة الوطنية الفلسطينية نتاج للثورة ، فانها ستنهار بانهيار الثورة التي خلقتها ، بغض النظر عن جذرية او عدم جذرية الخلافات التي ستعصف بها . »

أما اليوم فلنترحم على الوحدة الوطنية التي ينظر لها كتاب شؤون الاستسلام الفلسطيني ، والتي حذرنا من التمادي بغيها :

«ان الصراع العربي - الصهيوني ليس موقوفا ، على فئة بعينها ، وستدفع القيادة الفلسطينية ثمن تماديها بنهج التصالح والاعتراف وانهاء حالة الحرب . أما اولئك الذين يعتدّون باقليمية واستسلامية العامل الاجتماعي - الطبقي ، فلهم لعنة التاريخ وتطوراته اللاحقة» ! . .

«انهم يتخذون من اقليميتهم مقياسا للحكم على اندثار الأمة العربية وموت حركتها ا لقومية الثورية دون أن يأخذوا بالحسبان

تجربة التاريخ التي جعلت القضية معول هدم لكل نظام يقامر بها ، وسيف نحر لكل قيادة تتاجر بها» .

يتضح مما تقدم ، ان الغرض من تضمين هذا المؤلف موضوعات القسم الثاني ، يتجلى بكون موقفنا الداعم للانتفاضة ، ليس موقفا عابرا او مبادرة عاطفية ، وانما هو تجليا لمعاناة طويلة جاءت الانتفاضة المباركة لتخفف من وطأتها .

- ١٠ -

بعد هذا الاستطراد الذي اضطرنا اليه تأكيد الخلفية التاريخية والمبدئية لموقفنا ، علينا ان نوضح بعض الملابسات التي اثارها نشر وثائق كراسنا هذا . وفي مقدمة ذلك تأتي ملاحظة الأخوة المقاتلين ، الذين اشتكوا من المدخل المعنون : «الاقدام والذهول والانصياع» ووجسوا ان يصور انتفاضتهم كما الانقلاب العسكري !..

ان مجمل فصول الدراسة تؤكد على العكس تماما ، وغاية هذا المدخل ، ليس مقاتلا بعينه ، وانما اردت التعبير عن مضمون العنف الذي انطوت عليه خطوة الانتفاضة الأولى ، بغض النظر عن الكيفيةالتي تحققت وفقها السيطرة على القطعات .

فأنا ، لا اعرف كيف نفذت قيادة الانتفاضة ، مخططها ، ولذلك سمحت لنفسي ، وهذا حق على ما اعتقد ، لأي كاتب ان يتصور المسألة من الناحية المناسبة لبحثه . اما حقيقة ما حدث مساء التاسع وليلة العاشر من ايار ، فقد علمت فيما بعد ان الانتفاضة قد بدأت بالتوجه نحو مواقع الكتيبة الأولى وسرية الدفاع . اما الكتيبة الثانية فقد كانت مضمونة واما سرية المدفعية فقد التحقت بمواقع الانتفاضة

بذات الليلة بعد ان تحركت من مواقعها في منطقة الروضة . ولم تتعد عملية السيطرة على هذه القوات حدود ابلاغ قيادات وعناصر الكتيبة الأولى وسرية الدفاع ، بعزم المنتفضين على اعلان احتجاجهم على قرارات القائد العام وسياسته . وقد تم تأمين ايصال كافة العناصر غير الموافقة الى المواقع التي اختاروها ولم يتعرض اي عنصر للاهانة كما يوحي المدخل !..

وملاحظة اخرى ، يهمني ابداؤها ، حول سوء فهم عنوان : «الفعل المحسوب ... والرد المرعوب» !..

لقد اعتبره البعض نعتاً لأبي عمار وابي جهاد بالجبن لدرجة ان هذا البعض راح يبرهن على العكس ، وقد افهمته ان المقصود هنا ليس الجبن بمعناه الاعتيادي ، اي النقيض للشجاعة ، وانما القصد ان الرد الفعلي لم يعبر عن الثقة بالنفس وبالنهج وباحترام القوانين والأصول التنظيمية والالتزام بالبرنامج السياسي والزهد بالمركز . ولولا الرعب من نتائج المؤتمر لانعقد بكل تأكيد واتخذ القرارات التي يراها ضرورية . ان تمسك المنتفضين بالحل الديمقراطي واعتدادهم بعدم اطلاق النار ، دليل على ان الرعب الذي اعترى القيادة ، ناجم عن حرصها على عدم التفريط بعلاقاتها وارتباطاتها مع الامبريالية والصهيونية والرجعية .

- ١١ -

ان هذا المؤلف يضم ثلاث دراسات ورسالة . وقد قسمته قسمين : الأول ويضم الدراسة المعنونة : «الحدث الفلسطيني الأبرز : طبيعته ودلائله وآفاق تطوره» ، وقد انجزتها خلال النصف

الأول من حزيران الماضي ، واودعت نسخة منها لمجلة «الشوري» التي بدأت بنشر الحلقة الأولى بعددها الصادر في تموز الماضي . اما النسخة الثانية فقد ارسلتها لمجلة الموقف العربي بوساطة مراسلها في دمشق ، وكنت احسب ان المجلة سترحب بها وتنشرها خدمة للانتفاضة ودعما لها ، بيد انها امتنعت عن نشرها ، الأمر الذي يدل على حجم التعتيم الاعلامي المفروض على الانتفاضة . كما حصل بعض الرفاق في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي والأخوة في اللجان الثورية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، على نسخ منها . ويلحظ القارىء الكريم ان هذا القسم يضم ستة فصول ، كل منها يهتم بدراسة جانب من جوانب الحدث . فالفصل الأول اهتم بمعالجة رئيس الحركة للأزمة التي فجرتها الانتفاضة ، اما الفصل الثاني ، فتناول موقف قيادة «فتح» الرسمية من الحدث وكيفية معالجتها له ، وانتقل البحث في الفصل الثالث لمعالجة موقف الانتفاضة والحيثيات التي بررت بها نفسها ، وانحصر اهتمام الفصل الرابع بتحديد الشروط العامة الموضوعية والذاتية لاعتبار الانتفاضة حدثا تاريخيا وبالقاء بعض الضوء على طبيعة ظروفها الفلسطينية والعربية (سورية) واللبنانية . وكان طبيعيا ان يلحظ الفصل الخامس انعكاس الحدث على فصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى . وتولى الفصل السادس مهمة البحث في دلائل الانتفاضة وآفاق تطورها المحتملة . وبدلا من ان نختتم الدراسة بما درج عليه الكتاب ، فقد ختمناها بكلمة اخيرة كشفت بعضا مما تكتظ به الذاكرة .

هذا هو القسم الأول الذي شغل معظم صفحات هذا

المؤلف . اما القسم الثاني ، فقد ضم اربعة فصول ، اولها احتوى رسالتي المعنونة : «ايها المقاتلون الراحلون لأي هدف ماضون» ، وقد وجهتها للمقاتلين الذين غادروا بيروت ، وسجلت على «كاسيت» في الثاني والعشرين من اب ١٩٨٢ ، بعد ان شهدت خروجهم وهم يرسمون بأيديهم علامة النصر ، بتوجيه من قياداتهم التي لم تعبأ بدموع النساء والأطفال والشيوخ ، التي كانت تذرف لوعة على رحيل المقاتلين ، وخوفا من الوحش الصهيوني الذي كان جاثما في ثكنة هنري شهاب على بعد امتار يتربص بمخيماتهم . وقد وزع «كاسيت» هذه الرسالة على المناطق اللبنانية وارسل لخارج لبنان ايضا . ونشرتها «صوت المقاومة الشعبية» في السابع والعشرين من اب ١٩٨٢ ، واعادت نشرها مجلة الثوري التي صدرت في منطقة الشمال والبقاع .

أما الفصلان: الثاني والثالث ، فقد احتويا مقالتي: «خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان ومستقبل الثورة الفلسطينية» ، التي كتبتها في الأول من كانون الأول ١٩٨٢ ، ردا على مقالة السيد فيصل حوراني المعنونة : «منظمة التحرير ودروس الحرب» ، وتم تداولها على نطاق واسع في بيروت وسائر المناطق اللبنانية ، وقد كتبت اساسا لجريدة السفير البيروتية التي نشرت مقالة حوراني بعددها ٣٠٣٢ في ٢٤/ ١١/ ١٩٨٢ ، بيد انها امتنعت عن نشر مقالتي واهملت حتى الاشارة اليها لسبب لا يخفى على القارىء اللبيب ادراكه ، ونشرتها «صوت الشعب» الناطقة بلسان حزب الشعب الثوري الأردني بعددها الثاني والاربعين في نيسان ١٩٨٣ ، مع مقدمة اشارت الى

امتناع جريدة السفير عن نشرها ، وذكرت انني كنت اثناء كتابة المقالة مقيم في بيروت ، ولكن الدواعي الأمنية املت عليّ الأيحاء بعكس ذلك ، كما يوحي مدخل المقالة . كما نشرتها مجلة الثوري بعددها ٢٢٤ في ايلول ١٩٨٣ ، مع المقدمة التالية :

«ان «الثوري» اذ تعيد نشرها بمناسبة مرور سنة على خروج المقاومة الفلسطينية ، فهي لا تفعل ذلك فقط لاتاحة الفرصة لقرائها في الاطلاع على صحة ما حوته المقالة ، بل ومن اجل خدمة القضية الفلسطينية التي تتصدر قضايا امتنا العربية» .

اما الفصل الرابع والأخير من فصول القسم الثاني ، فقد ضم ردي على البيان الصادر عن ندوة المنتدى الفكري المعقودة في مدينة الرباط باشراف وتوجيه السيد خالد الحسن ، وقد حررته في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ ، لجريدة السفير ، بيد أنها امتنعت عن نشره .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة التوضيحية عليّ أن أميط القناع عن حقيقة استشهاد الرفيقين حكيم وصخر ، اللذين كانا في مقدمة الرفاق الذين بادروا لدعم الانتفاضة والانخراط في موكبها ، فكانت دماؤهما هي البينة على استباحة اليمين الفلسطيني لدماء المقاتلين وعدم تردده عن اقتراف جرائم القتل !..

اننا لم نخسر رفيقين مقاتلين شهدت لهما ساحات القتال ضد الاسرائيليين ، فقط ، وانما فقدنا قائدا جريئا ومقاتلا مقداما ، لم يهابا الموت ولم يترددا امام مخاطره ، لذلك استحقا ان نهدي لهما هذا الجهد المبذول لدعم ذات الهدف الذي إستشهدا من اجله ! . .

وما دمنا نتحدث عن مبادرات الرفاق لدعم الانتفاضة ، فلا بأسَ من أن نسجل للرفيق سمير مبادرته في رسم «انتفاضة العاصفة وهي تحمل راية الثورة حتى النصر» ، وبناء على اقتراحه فقد جعلناها غلافا لمؤلفنا هذا ، فشكرا له ولمبادرته الهادفة ! . .

- ١٣ -

هكذا نحن : نكتب عن الانتفاضة ، ونرسم رايتها ، ونستشهد في سبيلها ! . .

إننا ،اذ نعبر عن مشاعرنا ، انما نعبر عن ارتياحنا لنجاح الانتفاضة ، وأملنا في أن تتابع طريقها الصعب . . . طريق استمرار الثورة حتى تتكلل بالنصر . أما هذا الكراس ، فليس أكثر من خطوة متواضعة ، نأمل أن تملأ فراغاً في المكتبة العربية ، وان تخدم الانتفاضة والثورة التي دعت الى قيامها ، خدمة نترك لمقاتلي الثورة وجماهير شعبنا العربي ولقادة المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتهم قادة الانتفاضة ، أن يقدروا مدى فائدتها لقضيتنا المقدسة... القضية الفلسطينية !

«وقل اعملوا فسترى الجماهير اعمالكم ، وسيحكم التاريخ لكم أو : عليكم ..»

هـ . ع . م

دمشق

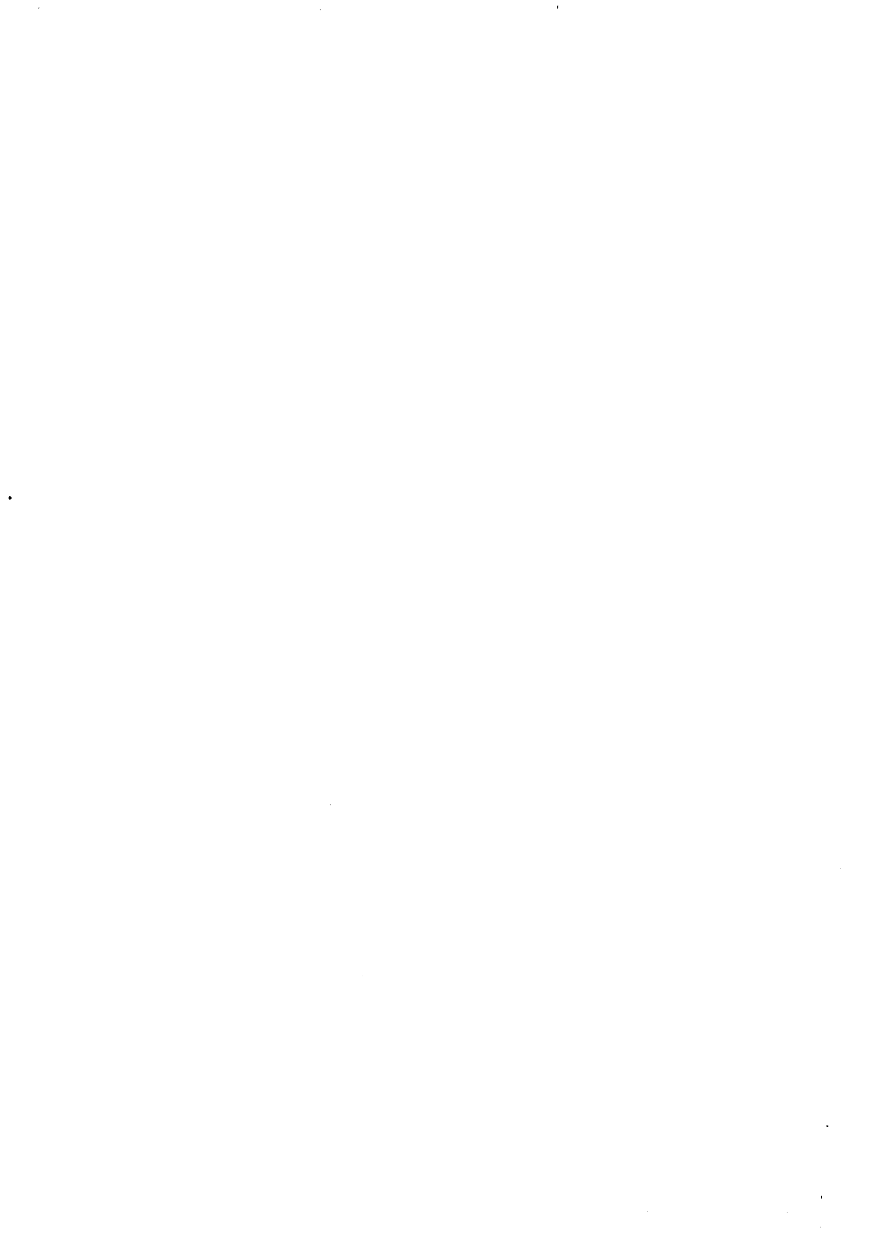
في اواسط تشرين الأول

(اكتوبر) ١٩٨٣

القسم الاول :

الحدث الفلسطيني الابرز :
طبيعته وظروف
نشوئه ودلائله وآفاق تطوره

* الفصل الاول : القائد الذي يصنع النهج والنهج الذي يصنع الرمز
* الفصل الثاني : القيادة العاجزة . . . والقاعدة المنتفضة
* الفصل الثالث : اول الانتفاضة خطوة جريئة
* الفصل الرابع : الشروط الموضوعية والذاتية للانتفاضة التاريخية
* الفصل الخامس : الخلفيات السياسية لمواقف المنظمات الفلسطينية
* الفصل السادس : دلائل الانتفاضة وآفق تطورها
* وتبقى الكلمة الأخيرة بدلا من الخاتمة



الفصل الاول :

القائد الذي يصنع النهج
والنهج الـذي يصنـع الرمز

* الاقدام . . . والذهول . . . والانصياع
* اسعى لتحقيق مآرب شخصية ، ام رفض لنهـج التسـوية السياسية ؟
* دوران في الحلقة المفرغة وتكرار للشعارات المستهلكة .
* القائد الذي يصنع النهج والنهج الذي يصنع الرمز .



الاقدام . . . والذهول . . . والانصياع ! . .

في يوم من ايام النصف الأول من ايار الماضي ، تقـدم ضابـط مقاتل ، تربى بمدرسة العنف الثـوري المسلـح ، بعـد ان انسلـخ عن مؤسسته العسكرية التقليدية ، الى مقر الكتيبة ، بخطى ثابتة ، فاقتحـم غرفة قائدها ، الذي نظر اليه بذهول من يؤخذ على حين غرة . وقبل ان يفيق من ذهوله ، هوت يد الضابط المقاتل على جهاز الاتصال فحطمته ، مما جعل آمر الكتيبة ينصاع للأمر فيخرج مطرودا بعـد ان نحـي عن مسؤوليته القيادية من قبل الضابط المقاتـل الـذي وضع الكتيبـة تحـت الاستنفار معلنا ما اصبح يعرف بالحدث الفلسطيني الأبرز ، الذي بات يقبض على ناصية الموقف السياسي الراهن برمته !

ومنذ ذلك اليوم والأثير ينوء تحت وطأة ، تواتر تطورات الحدث الفلسطيني الأبرز الذي اصبحت رموزه المعبـرة عنـه عناويـن لانبـاء الساعة الهامة ! .

ولكن لماذا أقدم الضابط المقاتل ، على مبادرته التي اربكت نهج

المقاومة الفلسطينية المسالم واقلقت دعاة التسوية السياسية للقضية الفلسطينية ؟

أسعى لتحقيق مآرب شخصية
ام رفض لنهج التسوية السياسية ؟

ان المقاتلين الذين صنعوا الحدث الفلسطيني الأبرز ، ليسوا مجرد مقاتلين عاديين يمكن ضبط حركتهم باعتبارات الانصياع لسلطة القيادة ، ولو كان هؤلاء المقاتلون من هذا النمط لتعذر عليهم عدم الانضباط بأوامر قيادة الجيش الأردني عام ١٩٦٨ ، ولعجزوا عن التزام جانب قضية تحرير كامل التراب الفلسطيني والانخراط بصفوف الحركة التي قادت معركة الكرامة بنجاح !..

ان الذي يختار رتبة مقاتل في الثورة ويفضلها على رتبة الوجاهة والامتيازات في جيش السلطة الأردنية ، لا بد ان يكون مدفوعا برسوخ ايمانه بقضية شعبه ... قضية تحرير فلسطين . اما اولئك الضباط الذين انخرطوا في صفوف الثورة ، للقيام بمهمة ضبط حركتها وترويضها بغية منعها من متابعة طريقها ... طريق «ثورة حتى النصر» والعمل من الداخل على حرفها عن نهجها الثوري ... اما اولئك ،فلم يتخلوا عن امتيازات ولم يخسروا وجاهات ، بل على العكس تماما ، اذ كان انتسابهم للثورة وسيلة لنيل الامتيازات ، وطريقا للوجاهة والمراكز المرموقة !..

ولدى استعراض واقع الثورة الفلسطينية ، نلحظ هذين النمطين

من الضباط العسكريين الذين تركوا الجيش الأردني والتحقوا بالثورة الفلسطينية ! . .

ليس صدفة اطلاقا ، ان يبادر ابو موسى وهو عضو المجلس الثوري والمجلس العسكري الأعلى لحركة «فتح» وعضو المجلس الوطني الفلسطيني ونائب مدير غرفة العمليات المركزية ، الى اهانة زملاء له ، وطردهم من مواقعهم ، لولا انه ادرك ضرورة تصرفه ووجاهته من الناحيتين : المنطقية والتاريخية ! .

كما ليس صدفة اطلاقا ، ان يبادر ابو خالد العملة وهو نائب رئيس المجلس الثوري وعضو المجلس العسكري الأعلى لحركة «فتح» ، الى تنظيم عملية الرفض لنهج التسوية السياسية الذي بدأ يحل محل نهج الثورة المسلحة ، لولا انه ادرك اهمية تكتيل الرافضين لاستبدال نهج الثورة بنهج المساومة السياسية مع العدو الصهيوني ، وحشدهم في وجه المساومة الرخيصة!

وايضا ليس صدفة اطلاقا ، ان يبادر ابو مجدي وهو مدير للتدريب العسكري وعضو المجلس العسكري الأعلى لحركة «فتح» ، الى تحدي قيادته ورفض اوامرها القاضية بنقله الى تونس التي اصبحت مقرا جديدا لقيادة الثورة ، ويكرس نفسه للاسهام بعملية الاعداد للحدث الفلسطيني الأبرز لولا انه ادرك استحالة استمرار التعايش بين النهجين والمفهومين والرؤيتين :

نهج يقول بضرورة مراجعة مفاهيم الثورة والتواضع واستبدال هوية استمرار الثورة حتى تحرير كل فلسطين بهوية الدولة الفلسطينية على جزء من فلسطين . ونهج متمسك بمفهوم «ثورة حتى النصر»

وبحرب التحرير الشعبية التي تجعل ارادة الشعب العربي في مواجهة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين العربية !.

ليس صدفة اطلاقا، ان تبادر كوادر «فتح» ومقاتلوها الى الخروج بالصراع الصامت داخل الحركة الى ميدان الحسم على ارض خطوط التماس مع العدو الصهيوني !

واذن، فان اقدام الضابط المقاتل على مبادرته لم يكن مدفوعاً بمآرب شخصية او منافع ذاتية، وانما هو تعبير عن رفض هؤلاء المقاتلين لسياسة منظمة التحرير ونهجها الداعي لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل والانخراط بالتسوية السياسية المطروحة التي تمثل اتفاقات «كامب ديفيد» واتفاق السلطة اللبنانية مع اسرائيل نموذجها الملموس وصورتها المرئية !

انهم يرفضون التسوية السياسية رغم التزامهم بمنظمة «فتح» وعدم خروجهم منها. ومن العدل ان نسجل لهم رغبتهم بعدم التفريط بياسر عرفات واستعدادهم للالتزام بقيادته، اذا ما تخلى عن تكتيكه القائم على نهج التسوية السياسية، واذا ما التزم باستمرار الثورة المسلحة حتى تحرير فلسطين كلها !

لذا فان اعتبارهم تيارا للرفض بداخل «فتح»، مؤكد بوقائع الصراع الذي كان دائرا منذ بدأت «فتح» بالجنوح نحو قبول ما يسمى بمفهوم الدولة الفلسطينية، القائم على اساس الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير واسرائيل. ووجهة نظرهم التي تعتبر دعاة المرحلية في الثورة الفلسطينية انتهازيين، معروفة لدى الجميع، ولا يترددون عن تكرارها والجهر بها علنا وعلى رؤوس الاشهاد !

فاذا كانت حركة الضابط المقاتل ، مدفوعة بالتمسك بنهج استمرار الثورة ورفض الانحراف عن مفهوم العنف الثوري المسلح المعبر عنه بـ «ثورة حتى النصر» ، اي حتى تحرير فلسطين كلها من الاغتصاب الصهيوني . . . اذا كانت هذه هي دوافع ابطال الحدث الفلسطيني الأبرز ، فكيف كانت ردة فعل قيادة «فتح» على الخرق التنظيمي الذي انجب حدث الساعة الفلسطيني ؟

دوران في الحلقة المفرغة
وتكرار للشعارات المستهلكة !

ان الاجابة على السؤال المتعلق بكيفية معالجة قيادة «فتح» للأزمة ، تتطلب الوقوف امام ثلاثة انماط من التصرف حيال الحدث . ففي وقت كان فيه موقف ابي عمار واضحا بميله نحو القمع واسكات صوت «ابو موسى وابو خالد وابو مجدي وأبو صالح» وكل المقاتلين الذين تجرأوا على تحدي سلطاته ، فان الغالبية من اعضاء قيادة «فتح» لم يعرف لها موقف غير انها اجتمعت وانفضت وعبرت بالكواليس عن ارتياحها لما يطرحه «المتمردون» على قرارات القائد العام ! . .

لذا فاننا سنحاول حصر الحديث تحت هذا العنوان بنطاق ردود فعل ابي عمار ، على ان نعود لموقف الفريقين الآخرين من الفرقاء الثلاثة الذين توزعوا قيادة «فتح» ، فيما بعد !

وقبل الحديث عن موقف ابي عمار وردة فعله على الحدث ، علينا ان نسجل له ، كفاءته القيادية وتحليه بالجرأة وكونه الرجل الذي استطاع

فرض ارادته ووجهات نظره وسياسته على قيادات فصائل المقاومة المنخرطة في اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى انعقاد دورة المجلس الفلسطيني الوطني في دورته السادسة عشرة ! . .

لهذه الاعتبارات كلها ، كان ابو عمار موضع ثقة القوى العالمية والعربية الداعية لادخال الطرف الفلسطيني في تسوية الصراع العربي - الصهيوني !

ولكن الكفاءة القيادية ، مهما كان نصيب الذكاء والعبقرية فيها لا تقوى على قهر مشيئة التطور التاريخي . وفي هذه الحقيقة تتجلى سطحية الاستخفاف بحركة مقاتلي «فتح» وكادرها العسكري الرافض للتسوية السياسية ولنهج المساومة التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة !

لقد تعامل القائد العام مع الحدث باستخفاف ملحوظ ، فما ان بدأ تحرك المعارضين لقراراته القاضية بنقل عشرات الضباط من مراكزهم القتالية التي يشغلونها ، حتى بادر ابو عمار للحضور الى منطقة البقاع ، معلنا انه يقوم بزيارة لمقاتلي الحركة وكوادرها وبدلا من ان يتمكن من حسم الحدث ، فانه اضطر تحت ضغط استمراره الى تكرار زياراته ، لدرجة لفتت نظر المراقبين ،ودفعتهم لرؤية امرين غير اعتياديين : اولهما : ان «التمرد» كما سماه نائب القائد العام لم ينته ، وانه ما يزال قائما يتفاعل داخل صفوف الحركة ، لدرجة دفعت جريدة النهار لأن تنشر النبأ على صفحتها الأولى تحت عنوان : «الانشقاق في «فتح» انتهى لم

يته : عرفات في البقاع للمرة الخامسة»[1] !.

هذا هو الأمر الأول ، اما الأمر الثاني فتجلى في عدم احتجاج اسرائيل والسلطات اللبنانية على تكرار زيارات ابي عمار للمنطقة مع انه ممنوع بموجب اتفاق الخروج من بيروت من العودة الى لبنان !..

لقد كان الحدث يتفاعل ،كتفاعل النار بالهشيم ،لدرجة اربكت تقديرات الكثيرين بمن فيهم قيادة «فتح» نفسها . اما المنظمات الفلسطينية التي التزمت موقفا وسطيا ، فقد يئست بعد ان باءت جهود الوساطة التي بذلتها بالفشل . مما دفع الأمور الى اليأس الذي انجرف القائد العام ، بتياره ، يوم امر بحسم الموقف عسكريا دون ادراك لطبيعة الظرف وحجم القوى المعارضة بالقياس لقواه المهزوزة والمشتتة ، فضلا عن تجاهله التام لكون مقاتلة المعارضين تعني فيما تعني ، الدفاع عن نهج التسوية السلمية التي انغمروا في تيارها !..

أليست مفارقة ملفتة للنظر ، ان يكون السلاح هو وسيلة دعاة الحلول السلمية وانهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني ، لحسم الخلافات مع المعارضين لسياستهم ونهجهم !

اين هي الديمقراطية ، وما هو الفرق بين العلاقات في اطار الثورة الشعبية وبين العلاقات في ظل الأنظمة العاجزة ودولها القمعية ؟

ان القائد الذي لا يحترم ارادة رفاقه في التنظيم ،لا يمكن ان يحترم ارادة شعبه . ومن لم يحترم ارادة شعبه لا يمكن ان يخدم قضاياه القومية

---

(١) ـ جريدة النهار البيروتية ، العدد ١٥٣٠١ في ١٩٨٣/٥/٣٠

والطبقية ، وليس عبثا ان يشبه المفكرون شخصية الفرد القائد بالشرارة التي يمكن ان تسبب حريقا هائلا اذا ما وقعت على مادة قابلة للاشتعال ،ولكنها سرعان ما تنطفىء اذا ما وقعت على الصخر . والجماهير الشعبية هي المادة المقصودة ، والقائد الذي لا يستمر بمراعاة خدمة قضاياها سوف تتجاوزه حركتها وتنبذه من تفكيرها !

هكذا كانت ردة فعل القائد العام والقيادات الوسطية ، تدور في حلقة مفرغة ، لدرجة لم يعد معها الناس قادرين على فهم ما يعنيه ابو عمار باهزوجته (شعاره) التي استهلكتها سياسته السلمية : «يا جبل ما يهزك ريح» ، في وقت كانت فيه الرياح تعصف بوحدة «فتح» التي بدونها «الوحدة» لا يبقى له شأن ، ولا يقوم عليه رهان لأن قيمة «فتح» بمقاتليها واستمرار ثورتها !

ولكن : أيستطيع «الجبل» الذي يتستر على الهاربين من ميدان المعركة ، ان يصمد امام رياح التغيير التي تسري في جسم «فتح» ؟

ان المفارقات في تطورات الحدث الفلسطيني الأبرز كثيرة . ولست اعرف ، فيما اذا كانت المصادفات وحدها ، هي التي جعلت حركة الرافضين للتسوية ، تنطلق من البقاع حيث خطوط التماس مع القوات الاسرائيلية ، في وقت يتخذ فيه قائد الثورة الفلسطينية ، من طرابلس اللبنانية ، مقرا له ولاحتشاد قواته والملتزمين بقيادته ؟!

حقا لا أعرف : أهي المصادافات التي جعلت دعاة استمرار الثورة المسلحة يتمركزون في خطوط التماس مع العدو الصهيوني ام ان دعاة النهج السلمي هم الذين اختاروا الشمال اللبناني مقرا لهم ، لكي يتجنبوا المشاركة بالقتال ضد اسرائيل ؟

ولكن كيف تطور حدث الساعةالفلسطيني ، دون ان تستطيع قيادة «فتح» احتواءه ؟

كم هي المحاولات التي تحطمت على صخرة قيادة ابي عمار ، وكم هم الخصوم من الحكام والمنظمات الشعبية الذين ركعوا امام ارادة القائد العام للثورة الفلسطينية ؟

اذا استثنينا حركة المجلس الثوري «ابو نضال» ، فلا نرى حركة معارضة ، او حكومة عربية تمكنت من ابي عمار فما باله يعجز عن تسوية الخلافات الداخلية في «فتح» وهو الأب الروحي للمقاتلين ، والرمز الأقرب من اي رمز آخر الى الشعب الفلسطيني ؟

القائد الذي يصنع النهج
والنهج الذي يصنع الرمز !

اذا جاز اعتبار ، ما حدث في «فتح» انقلابا ، فلا بد ان يكون انقلابا في النهج . ذلك ان «فتح» هي المنظمة التي رفعت شعار : «ثورة حتى النصر» وهي المنظمة التي تحتفل المقاومة الفلسطينية بيوم تفجيرها للثورة . ولكن فتح التي تمثل من الناحية العملية ، العمود الفقري للثورة الفلسطينية ، بدأت تبتعد عن نهج الثورة حتى النصر ، الى نهج الولوج بالحلول السلمية ، ولم يكن هذا التغيير وليد الصدفة ، وانما كان نتيجة لهزيمتها عامي ١٩٧٠ - ١٩٧١ في الأردن ، حيث اجبرت على مغادرة الأردن ، مما جعلها تضطر لتجميع عناصرها وقياداتها وكل ثقلها العسكري والمالي والسياسي في لبنان !

ان هزيمة المقاومة الفلسطينية في الأردن ، جاءت وكأنها القشة التي قصمت ظهر البعير ، فبدلا من ان تحلل عوامل هزيمتها وتستخرج دلائلها ، وتصوغ دروسها التي يتقدمها درس اعتبار الرجعية طرفا من اطراف معسكر العدو . والاستناد الى ارادة الشعب في مقاتلة العدو الصهيوني - الامبريالي ، والالتزام بالنفس الطويل تجاه قضية تحرير فلسطين . . . بدلا من ان تستخلص دروس تجربتها في الأردن ، وتعزز نهجها لكي تستنهض ثورتها وتجدد انطلاقتها . . . بدلا من ذلك راحت تتستر على هزيمتها تسترا لم يكشف حالة العجز التي تعانيها ، كما هو شأن شقيقاتها البرجوازيات العربية ، فحسب ، وانما دفعها لاشغال نفسها وجماهيرها بقضية تمركزها في لبنان ، لتعوض خسارتها للساحة الأردنية . ومع ان عملها هذا كان عملا ضروريا ، ولكنه لم يقم على اساس الاستفادة من دروس هزيمتها ، وانما كرر النهج نفسه والشعارات والممارسات ذاتها التي قادت الى الهزيمة ، وبوسعنا القول ان نهج الهزيمة قد كرر ذاته في لبنان ، وبشكل اسوأ من ذي قبل ! . .

بعد هزيمتها في الأردن ، بدأت المقاومة الفلسطينية تعيش تناقضا بين شعار : «ثورة حتى النصر» ، وبين القناعة الجديدة التي بدأت بعض فصائلها تبشر بها ، والتي تقول بضرورة مراجعة مفهوم «ثورة حتى النصر» ، واعادة صياغته بما يتلاءم وحالة العجز عن تحقيقه ، الأمر الذي جعل طمس دروس الهزيمة ، نهجا منسجما مع القناعة الجديدة ، وما ان حدثت الحرب الرابعة حتى اماط الارتداد اللثام عن وجهه . فاذا بشعار الدولة على الضفة والقطاع ، مقابل الاعتراف بالاغتصاب الصهيوني ، هو الشعار البديل لشعار : «ثورة حتى النصر» . واذا

بالمنظرين يتجرؤون على القول بأن هذا الشعار (ثورة حتى النصر) ، لا يعني غير الذهاب الى القبر !

ومنذ الحرب الرابعة ، تكرس نهائيا النهج المسالم بديلا للنهج المقاوم ، واصبحت ممارسة القتال من قبل بعض المقاومة لا تعني غير ذر الرماد بعيون الجماهير الشعبية العربية ، والضغط على الامبريالية والصهيونية كي تقبل منظمة التحرير طرفا في التسوية السلمية ، واصبح بنظر هذا البعض شعار : «ثورة حتى النصر» اي تحرير كامل التراب الفلسطيني ، شعارا مغامرا لا يؤدي لغير الذهاب الى القبر ، وبدأنا نسمع العبارة الشهيرة التي كان السادات يرددها : «نكون او لا نكون» على لسان بعض قيادات المقاومة ، اخافة للجماهير وتسويغا لنهج المسالمة ، وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل !..

ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، هي التي رسمت نهج : «ثورة حتى النصر» . وهذا النهج المقاوم ، هو الذي رفعها الى مصاف الرمز لحركة الشعب الفلسطيني ، والقائد البطل لكفاحه المسلح . لذلك فان الارتداد عن هذا النهج واستبداله بنهج التسوية مع المغتصب الصهيوني ، بدأ يحط من مكانتها ، ويقلل من شأنها ويضائل من تأثير صورة الرمز لديها ، لدرجة اصبحت معها ، صورة «ابو موسى» المقاتل اكثر اشراقا ، من صورة ابي عمار القائد العام والرمز المعبر عن الثورة الفلسطينية !

رغم قصر الفترة المنصرمة على حدث الساعة الفلسطيني (ما يزيد على الشهر) ، فان المعنيين بمتابعته ، يلاحظون ان القائد العام ومعه قادة المنظمات الفدائية المنزعجة من ظاهرة انفجار «فتح» من الداخل ،

ومعهم الملوك والرؤساء العرب . . . ان هؤلاء القادة والملوك والرؤساء ، لم يتمكنوا من كبت رغبتهم بوضع حد للحدث الذي اربكهم ، لدرجة ان القائد العام ، لم يتورع عن استخدام السلاح لحسم الموقف واسكات الصوت الذي تجرأ على تحدي التراجع عن نهج «الثورة حتى النصر» ، ومع ذلك ، فان صوت الضابط المقاتل ما يزال يدوي ولم تستطع كل المحاولات ان تسكته ، فما هو التفسير المنطقي لظاهرة الساعة الراهنة ؟

واضح ان التزام نهج «ثورة حتى النصر» هو الذي جعل من المهندس المدني المغمور رمزا لحركة الشعب الفلسطيني ورفعه الى ذرى المجد ونصبه الى جانب عز الدين القسام وسائر رموز الثورة الشعبية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . ويتضح اليوم ايضا : ان التراجع عن مفهوم «ثورة حتى النصر» واستبداله بمفهوم : «الحصول على الجزء مقابل التنازل عن الكل» ، هو الذي جعل رمز ثورة الشعب الفلسطيني ، يضطر الى طلب النجدة من الملوك والرؤساء العرب ، بعد ان كان يرهبهم حين يتحداهم !

ان الظاهرة التي تشغل الساحات العربية عامة واللبنانية خاصة ، عنيت ظاهرة الانقلاب في حركة «فتح» . . . ان هذه الظاهرة جديرة بالتأمل ، ولست اتردد عن وصف الذين يرجعونها الى القرارات التي اصدرها القائد العام بنقل بعض الضباط وتعيين آخرين في مراكزهم . . . لست اتردد عن وصف هؤلاء بالسطحية والهامشية ، ان لم أقل بالخبث والرغبة بتقزيم الحدث والانحدار به الى مستوى الفعل وردة الفعل الذاتية ، فلا ابو عمار اتخذ قراراته تهورا ، ولا الذين تحدوه

كانوا متهورين ، بل كانت لكل منهم حساباته ! . .

ان المقاتل الذي يرفض مغادرة بيروت ويصر على الاستمرار بخوض معركة البطولة حتى نهايتها ، رغم علمه بان الشهادة هي الاحتمال البديل للمغادرة . . . ان هذا المقاتل يقفز من موقعه في متراس المواجهة مع العدو الامبريالي - الصهيوني - الرجعي ، الى موقع الاستعداد للتضحية في سبيل انتصار القضية واستمرار الثورة ، اما القائد الذي ينظّر للهروب من المعركة ، ويترك شعبه في قبضة الجيش الصهيوني ، ويسمح لنفسه بركوب بوارج الامبريالية طلبا للنجاة ، ويرفض محاسبة الهاربين من ميدان المعركة مع العدو الصهيوني . . . اما هذا القائد فينحدر من موقع الرمز الى موقع المساومة على القضية في سبيل المصلحة الذاتية !

ان المناضل الذي يلتزم نهج العنف الثوري المسلح ، سيجد نفسه في يوم من ايام مساره الكفاحي ، مطالبا بالاجابة على السؤال التالي :

السلامة لمن : للقضية ام للمناضلين من اجلها ؟

فان قال بسلامة القضية وابدى استعداده للتضحية في سبيلها ، فانه يتكرس رمزا من رموز الثورة في سبيل القضية ، وان قال بسلامته الشخصية ، فانه يتحول من ثائر الى مساوم على القضية ، تحولا من شأنه ان ينحدر الى مستوى المتاجرة بالقضية في سبيل مآربه الشخصية !

وحين يضطر القائد الى ان يشكو مقاتليه الى الملوك والرؤساء المتهمين بالتآمر على القضية والتفريط بها ، فانما يكشف عن استعداده للتخلي عن الثورة والمساومة على القضية ! .

ان الرمز ، في بعض جوانب ارتباطه بالحدث يشبه عنوان

الموضوع ، او الشعار ، الذي يلخص مضمون موضوعه وقد قيل ان الموضوع يقرأ من عنوانه ، وأن الشعار يعبر بتركيز مكثف عن الهدف ، لذلك ، فان الرمز يسقط من موقع التعبير عن القضية التي ارتبط بها ،عندما يستبدلها بقضية اخرى مغايرة لها . واذا صادف ظهور داعية آخر يتولى القيام بمهمة التعبيرعن القضية التي تم التخلي عنها ، فان هذه المصادفة كفيلة بجعل الداعية الجديد رمزا جديدا يرتبط به التراث النضالي الماضي ، ارتباطا يوفر امكانية لتجديد حركة الكفاح في سبيل القضية والهدف الذي انحرفت عنه حركة الكفاح خلال مرحلة ارتدادها عنه . والشرط المطلوب توفره لتحول الامكانية التي توفرها مصادفة ظهور الداعية الجديد الى امر واقع لا مناص منه يتمثل في نضج الظرف الموضوعي ، وثبات الداعية الجديد على التزامه بالقضية وعدم التفريط بها مهما كانت المصاعب والتضحيات ! . .

لكل ما تقدم ، يتضح ان الرمز مطالب بثبات التزامه بالنهج الذي صنعه ، ان اراد الاستمرار بموقع الرمز الذي يشغله ، والا فانه سيتعرض لما يتعرض له ابو عمار والقيادات التي على شاكلته ومثاله !

ولكن ما هو التفسير لعجز قيادة «فتح» عن معالجة الحدث ومنعه من التفاقم ؟

الفصل الثاني :

القيادة العاجزة . . .
والقاعدة المنتفضة

* ضوابط البحث وقواعد المعالجة
* القيادة العاجزة . . . والقاعدة المنتفضة
* الفعل المحسوب . . . والرد المرعوب
* اعتراف بالانتفاضة وتقزيم لحجمها ومؤثرات فعلها
* قيادة في قبضة القائد وقائد في قبضة الحدث
* واقع القيادة . . . والحل المطلوب

ضوابط البحث وقواعد المعالجة

للاجابة على الاستفهام المتعلق بعجز قيادة «فتح» عن معالجة «الحدث الفلسطيني الأبرز» الذي فاجأها ، لا بد من التمييز بين عجز رئيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني عن معالجة الانتفاضة في قاعدة الحركة ، التي اعتبرها تمردا على سلطته وتجاوزا على صلاحياته ، وبين عجز قيادة الحركة الممثلة في اللجنة المركزية والمجلس الثوري والفارق الأساسي الذي يتجلى فيه التمييز يتمثل بكون عجز الرئيس عن معالجة الأزمة وحل مشكلات الحركة ، يحمل القيادة مسؤولية المعالجة ودعوة المؤتمر للنظر بالنتائج التي توصلت اليها ! . .

لقد بادر ابو عمار انطلاقا من موقعه القيادي الذي يخوله معالجة اي خرق للعلاقات التنظيمية السائدة في الحركة خلال الفترة ما بين اجتماعي القيادة . . . لقد بادر ابو عمار بالحضور للبقاع حيث وقع «الحدث الفلسطيني الأبرز» ، وكرر ذهابه مرات عدة ، ولما عجز عن وضع حد له ، دعا اللجنة المركزية للاجتماع في ١٥/ ٥/ ١٩٨٣ للنظر

بالموقف والبت بكيفية معالجة الأزمة . وكان المفترض ان تتعامل مع الحدث تعاملا يضمن محاصرته وتطويقه وحسمه وفقا للقوانين والأصول التي تنظم حياة الحركة وتحكم ممارسات اعضائها وتضبط تصرفاتهم . فهل تصرفت من موقع المسؤولية الذي تشغله باعتبارها السلطة العليا التي كلفها المؤتمر بمهمة الحفاظ على وحدة الحركة وقيادتها في الطريق الذي رسمه ، أم انها بقيت تراوح بدوامة العجز التي احتوت محاولات رئيس الحركة واحبطت معالجته ؟

قبل الاسترسال بتفاصيل الاجابة ، علينا ان نوضح مسألة تتعلق بموقف عناصر القيادة المكونة للجنة المركزية والمجلس الثوري . فنحن لا نهتم بموقف هذا الفرد او ذاك من عناصر القيادة المسؤولة عن معالجة الأزمة ، وانما نناقش الموقف العام والمحصلة التي تنتهي اليها المناقشات والتي ترسم اسلوب المعالجة . ولسنا نرى تعارضا بين هذه القاعدة التي نلتزمها لتناول الموضوع وبين وقوفنا في مدخل هذا البحث ، امام كيفية معالجة رئيس الحركة للأزمة . لأن موقعه يعتبر مركزا قياديا متميزا عن المركز او المستوى الذي تشغله القيادة . ولهذا المركز حق المعالجة لأي حدث كالحدث موضوع بحثنا . مثلما له حق دعوة القيادة لمعالجة الموضوع . وملحوظ ان حق الرئيس هذا لا يتمتع به أي عضو آخر من اعضاء القيادة منفردين . ولكنهم اذا ما اجتمعوا تجاوزت سلطتهم سلطة الفرد الرئيس وعلت ارادتهم فوق ارادته . ولو لم يكن الأمر بمثل هذه ا لشاكلة ، لفقد ابو عمار حق المبادرة وتحرر من مسؤولية مواجهة الأزمة ! . .

لذا فان مواقف الأفراد في القيادة ، سواء تعلق الأمر بداخل

الاجتماعات او خارجها . . . اثناء المناقشات العامة او الفردية . . . ان هذه المواقف على اهميتها تخرج عن اطار بحثنا فنحن نعتبر موقف العناصر القيادية التي انحازت الى صف الانتفاضة ، جزءا من موقف القاعدة[٢] ، اما العناصر القيادية (لجنة مركزية ومجلس ثوري) ، التي وقفت ضد القاعدة المنتفضة ، فهي المقصودة والموصوفة بالعجز ، لأن الأقلية من اعضاء اللجنة المركزية والمجلس الثوري ، التي وقفت الى جانب القاعدة وقادت انتفاضتها ، لا يمكن وصفها بالعجز ، طالما انها هي المسؤولة عن اثارة الأزمة وطرحها على صعيد المواجهة المعروفة بجذريتها وحزمها . وفضلا عن ذلك فان موقف الأقلية من قيادة الحركة الى جانب القاعدة ، لا يلغي صلاحية القيادة ، ولا يقلل من مسؤوليتها تجاه الحدث ولا يعفيها من واجب معالجته . ولذلك ، فاننا نضع القيادة والقاعدة وجها لوجه ، باعتبارهما الضدين المتصارعين ضمن نطاق وحدة الجدل التي نعتناها بمفهوم : «الحدث الفلسطيني الأبرز» ! . .

وانطلاقا من هذا الاعتبار سنحاكم قيادة «فتح» بموجب الأصول التنظيمية ، والمسؤولية الملقاة على عاتقها ، والتي تحتم عليها القيام

(٢) ـ عضوان من أعضاء اللجنة المركزية انحازا الى القاعدة هما : أبو صالح وقدري ، من أصل خمسة عشر عضواً .

أما أعضاء المجلس الثوري الذين انحازوا الى القاعدة فعددهم تسعة هم : أبو صالح وقدري وأبو خالد العملة وأبو موسى وأبو مجدي وأبو أكرم وأبو حازم وأبو علي بسيسو والدكتور الياس شوفاني . وواضح ان تسعة مما يزيد على الثمانين عضوا ، لا يؤثرون على النصاب ولا يلغون الصلاحيات التي تتمتع بها القيادة .

بواجبها المتمثل في الحفاظ على وحدة «فتح» ووحدة الثورة الفلسطينية !..

ولسنا بحاجة للقول ، اننا ننطلق من فهمنا للقواعد والأصول التنظيمية ، ولسنا معنيين بكيفية فهم قيادة «فتح» لها . فالقاعدة هي الأصل ، اما كيفية فهم الأفراد لها وكيفية ترجمتها فاجتهادات قد تساعد على تطوير الحركة او عرقلتها !..

بعد تحديد ضوابط بحثنا للأزمة التي تعصف بوحدة «فتح» ، والاشارة الى القواعد التي يفترض التزامها لدى المعالجة ... بعد ذلك ، علينا ان نعود للاجابة على السؤال موضوع بحثنا :

هل تصرفت القيادة من موقع المسؤولية الذي تشغله باعتبارها السلطة العليا التي كلفها المؤتمر بمهمة الحفاظ على وحدة الحركة وقيادتها في الطريق الذي رسمه ، ام انها بقيت تراوح بدوامة العجز التي احتوت محاولات رئيس الحركة واحبطت معالجته ؟

القيادة العاجزة ... والقاعدة المنتفضة

فيما يلي من صفحات هذه المقالة ، سنبحث في فعل وردود فعل القاعدة المنتفضة والقيادة العاجزة . وسنحاول تفسير العجز الذي منيت به القيادة ، وعرض ظروف نشوء «الحدث الفلسطيني» ، والمقدمات التاريخية التي ساعدت على نجاحه ، كما سنحدد دلائله وآفاق تطوره المحتملة . فمتى حدث الفعل ، وكيف ردت اللجنة المركزية والمجلس الثوري عليه ؟

الفعل المحسوب . . . والرد المرعوب

يؤرخ المنتفضون او المتمردون ، كما ينعتونهم أحيانا ، انتفاضتهم بالتاسع من ايار ١٩٨٣ . ونطالع تأكيدا لهذا التاريخ بتعميم نائب القائد العام «ابو جهاد» ، الصادر في اليوم التالي ، اي العاشر منه . والمعمم على كافة الأجهزة والوحدات ، والذي تجنب التصريح باسماء «المتمردين» ، واكتفى بالتلميح والتحذير من «ضرب وحدة حركتنا وثورتنا» ، ووصف الحدث «بالجريمة» التي «يحاول بعض ادعياء النضال الثوري استغلال الظروف المحيطة للقيام بتحرك ضد الثورة والحركة ، لخلق البلبلة في الصفوف تحت شعارات المزايدة السياسية المرفوضة . . . اننا نذكر كافة الأخوة المقاتلين بأن يكونوا في اقصى درجات الحذر والاستعداد لمواجهة كل من تسول له نفسه التفكير بالعبث بوحدة حركتكم وثورتكم . وليفهم كل من يتصور انه قادر على المساس بوحدة هذه الحركة والثورة ان الحركة بكل قياداتها وكوادرها ومقاتليها تقف صفا واحدا في وجه كل محاولة تستهدف ضرب وحدتها ولن تسمح ابدا بأي مساس في وحدتها وقدرتها وارادتها ، وهي لن تسكت عن اتخاذ كل الخطوات التي تحفظ وحدة وقوة حركتنا وثورتنا . ان قرارنا الثابت والوحيد هو حماية الثورة والحركة ، بحماية وحدتها وقدرتها وخطها النضالي ولن نتردد عن ذلك ابدا» .

هذا هو اول رد فعل على الحدث من قبل قيادة «فتح» ومنه يتضح ان الاحتكام للقوانين والأصول التي تنظم العلاقات الداخلية للحركة وتحكم ممارسات اعضائها ، امر مستبعد نهائيا . والحل الوحيد الذي

يطرحه التعميم هو الحسم العسكري . وهذه الحقيقة تتجلى ، بأوضح ما يكون التجلي بوصفه للحدث بأنه «محاولة جديدة . . . ترتبط بـ «الجرائم» التي تعرضت لها «فتح» واعتبار الانتفاضة «خدمة للعدو الصهيوني وعملائه» ! . .

كما تتضح هذه الحقيقة من الاحجام عن التصريح بالحدث ، الأمر الذي يشير الى ان نائب القائد العام كان مصمما على حسم الموقف عسكريا ، واعتباره تمردا محدودا يشكل خروجا على الانضباط العسكري ويدخل ضمن صلاحياته التي تخوله معالجته بالقوة العسكرية ! . .

ورغم ان الحدث سياسي ، وان نائب القائد العام يؤكد على «ان قرارنا الثابت والوحيد هو حماية الخط النضالي» ، وانه يعتبر شعارات الانتفاضة مزايدة سياسية مرفوضة . . . رغم ذلك فان الحسم العسكري كان هو الحل الوحيد الذي لحظه نائب القائد العام ! . .

هكذا كان رد الفعل على «الحدث الفلسطيني الأبرز» يحمل ملامح التطير والخوف اللذين كانت عبارات التهديد والوعيد تعبر عنهما . ان التناقض واضح بين تحجيم الحدث وتقزيمه بحدود التمرد العسكري والمزايدة السياسية المرفوضة سلفا : «ليس هناك ، كائنا من كان ، يمكن ان يزايد على صحة الخط السياسي» لحركتنا ! . .

ان التناقض واضح بين تقزيم الحدث ، وبين وصفه بالجريمة والمؤامرة التي تخدم اعداء الحركة والثورة ! . .

اما ان الحدث يهدد وحدة الحركة وخطها السياسي ، تهديدا يسمح بنعته بالجريمة والمؤامرة ، واما انه مجرد تمرد عسكري ناجم عن

الاعتراض على قرارات القائد العام ، الأمر الذي تمكن معالجته وفق القوانين العسكرية !..

لقد لفت نظر المراقبين ان القائد العام ونائبه يبرران ردة فعلهم بالصلاحيات التي منحتهم اياها القوانين الداخلية للحركة ، وفي الوقت نفسه كانوا يرفضون دعوة المؤتمر العام لمعالجة الأزمة ، علما بأن المتنفضين قد برروا «تمردهم» بخروج القيادة على القوانين التي تحكم الحركة ، وطالبوها بالاحتكام للمؤتمر العام ، ودعوته للانعقاد . . . وبغض النظر عن خروج هذه الدعوة على الأطر التنظيمية التقليدية وصدورها دون مراعاة لتسلسل ا لمراتب والمجاري التنظيمية الحركية ، فانها تكتسب وجاهتها من كونها موجهة للقيادة المسؤولة عن دعوة المؤتمر للانعقاد !..

صحيح ان السلطة العليا للحركة ، عنيت المؤتمر العام ، لا ينعقد لمجرد المطالبة بانعقاده من قبل بعض القيادة ، بيد ان القيادة اصبحت ملزمة بدعوته للانعقاد منذ ان عجزت عن معالجة الأزمة وحسمها . اما ان تتحمل هي مسؤولية حسم الأزمة ، واما ان تدعو المؤتمر لتولي القضية والبت فيها !..

لقد بقيت حركة «المتمردين» داخلية عدة ايام دون ان يصدر عنهم موقف علني . وكان بوسع قيادة الحركة ان تبادر لتطويق الحدث وتدعو المؤتمر العام للانعقاد خلال فترة تتفق الأطراف المتصارعة على تحديدها . بيد ان تعميم نائب القائد العام جعل ردة الفعل عقبة في طريق المعالجة الديمقراطية والاحتكام لرأي القاعدة الفتحوية . وقد برهنت التطورات اللاحقة على ان تقزيم الحدث والتعتيم عليه ، لم

يساعدا على تطويقه ولم يمنعا تفاقمه وتوسعه !..

ان تعامل قيادة «فتح» مع الحدث ، كرر تصرف النعامة حين تدفن رأسها في الرمال ، لدى مواجهتها للخطر الذي يهددها . فالتعميم بدلا من ان يضع القاعدة بصورة الواقع ويدعوها للحل الديمقراطي بالاحتكام للسلطة العليا ، اي المؤتمر العام ، راح يتجاهل ذكر الفاعلين ويصف تحركهم بالجريمة والمؤامرة وخدمة اسرائيل !..

ولكن ، لا بد من الاعتراف بأن الاحجام عن كشف الحدث ، كان تكتيكا قد لجأ اليه الفريقان المتصارعان رغم تباين دوافعهما . فقيادة فتح كانت تتوقع التغلب على «الحدث» وانهائه بعزله عن محيطه اولا وتصفيته بالقوة العسكرية ثانيا . والمنتفضون كانوا يريدون منح انتفاضتهم وقتا تستطيع معه تثبيت صيرورتها لتكون امرا واقعا لا مفر منه ولا مناص من الاعتراف به !..

كان المنتفضون يحسبون خطوات فعلهم وكانت قيادة «فتح» تستجيب لحساباتهم . فسكوت المنتفضين كان تكتيكا هادفا التظاهر بالضعف وتجنب الأضواء الاعلامية ، بغية كسب الوقت . وفي هذه المسلكية كانت تتجلى البراعة العلمية في كيفية تثبيت الظاهرة وجعلها تاريخية . فالتطور لا يبدأ الا اذا تثبتت ظاهرة انطلاقه فليست كل ظاهرة قابلة لاكتساب الخصائص التاريخية . والظاهرة التي لا تستطيع الثبات والاستمرار تعجز عن ان تكون ظرفا ملائما لعمل قوانين الجدل الموضوعيةالأساسية . فما لم يستمر التراكم الكمي للدرجة التي يتحول معها نوعيا ، فان وحدة المتضادات لا تقوى على الثبات فينفرط عقدها ويتضاءل الصراع بين الضدين لدرجة دنيا لا تساعد على توفير

الظرف الملائم لعمل القانون الثالث ، عنيت قانون ، «نفـي النفـي» ، لذلك فإن سكوت المتنفضين في الأيام الأولى كان مدفوعا بكسب الوقت لتثبت فعلهم وجعله امرا واقعا قبـل الانتقـال به لدرجـة الاستمـرار والتطور المضطرد . وبفضل هذا التكتيك توهم القائد العام ونائبه بأن تقزيم الحدث كفيل بعزله وتوفير الظرف المناسب لتصفيته ! . .

ولكن ، هل كان تريث المتنفضين عن كشف انتفاضتهم ، كلـه تـكتيكاً مضلـلا للقيادة ، ام انـه كان ينطـوي على رغبتهـم في حصر الحدث ضمن نطاق الاحتـكام للقواعـد والأصـول التنـظيمية وعـدم الخروج به عن العلاقات الـداخلية للحـركة ، وجعلـه خطـوة عملية للضغط على القيادة ودفعها لعقد المؤتمر ؟

اظن ان جوابا ينفي رغبتهم في معالجة الاعتراض على نهج القيادة وسياستها داخل صفوف فتح وضمن نطاق هيئاتها المركزية ، يحمل من التعسف قسطا كبيرا ، فقد كانوا يتوقعـون استجابـة القيادة لمطالبتهـم بدعوة المؤتمر الذي هو السلطـة العليا صاحبـة قرار الفصـل بالأمـر . ومعلوم ، فان توقعا كهذا ، لا يسمح بالتسرع ويتعارض مع التعجـل والقفزة غير المحسوبة .

وما دمنا ندون الوقائع بالامانة التي تسمح بها حدود معلوماتنـا المتواضعة ، فعلينا ان نصرح بكون المتنفضين حتى بعد صدور تعميمهم الثاني ، اي بعد مرور ما يقرب من اسبـوع على انتفاضتهـم ، كانـوا اسرى الأمل بامكانية انعقاد المؤتمر وحسم الخلافات التي لم تعد احشاء «فتح» قادرة على احتوائها . وقـد استمعـت لمناقشـة جرت مع بعض رموزهم حول ضرورة عقد مؤتمر صحفي لاعـلان الانتفاضـة بيد ان

رفض الفكرة كان قاطعا من قبلهم . وكان الأمـل ما يزال يراودهـم بمعالجة القضية المطروحة ضمن اطار المؤتمر ، وان القيادة بما فيها ابو عمار نفسه ستستجيب بعـد ان تتـأكد من عدم جدوى محـاولات اجهـاض الانتفاضة وتصفيتها ! . .

وامر آخر علينا تسجيله ايضا ، بخصوص علاقة القيادة بتعميم نائب القائد العام . فلست اشك بكونه لم يرتجل تعميمه ، ومن المؤكد انه قد تلقى توجيها ، او على الأقل انه تشاور مع عناصر القيادة البارزين ومع القائد العام نفسه ، قبل اصداره لتعميمـه . ان مجـريات تعامـل القيادة مع الحدث تؤكد على ان تعميم نائب القائـد العـام كان نقطـة الانطلاق ، لنظرتها للانتفاضة . وقد شكلت هذه النظرة منذ البـداية مأزق الموقف برمتـه . فوصف رمـوز الحـدث بالنعـوت المدرجـة في التعميم ، قد قطع الطريق على اية معالجة مجدية لتسوية المشكلة مما زاد في تعقيدها ودفعها للتفاقم اكثر فأكثر ! . .

هكذا كان المنتفضون ، يتابعون فعلهم التاريخـي ، خطـوة اثـر خطوة وفق حسابات دقيقة لا تخطىء الهدف ولا تستخف بردود الفعل او تستهين بها . وكم كان وصفهم بالعسكريين الانقلابيين سطحيا . فقد بدأوا حركتهم منذ اكثر من شهر وما تزال مستمرة . وخلال هذه الفترة خطوا الى امام اكثر من خطوة ، وتقدموا الى مواقع جديدة كانت تحت هيمنة القيادة وضمن نطاق قبضتها ، ومع انهم ما يزالون في بداية الطريق ، طريق استمرار الثورة حتى النصر ولكنهم يتقدمون بدون توقف وسيتابعون تقدمهم بدون انقطاع ! . .

ولكن هل يعنـي هذا الـكلام ، انهـم لم يتوقفـوا احيانـا ولـم

يتراجعوا خطوات الى الوراء ؟

كلا ! . .

ولكن السمة التي طبعت انتفاضتهم ، هي سمة التقدم . . . سمة الصعود . . . سمة صيرورتهم امرا واقعا لا مفر منه ولا مناص من الاعتراف به ! . .

كانوا يتقدمون ، واذا ما توقفوا فمن اجل استيعاب ردود الفعل واحتوائها . وان وجدوا خطأ في الحسابات او ان الخطوة اللاحقة تتطلب التراجع قليلا بغية التقدم اكثر ، فسرعان ما كانوا يتوقفون او يتراجعون . وهذه خصائص الفعل التاريخي لصنع حركة تاريخية تتميز عن الانقلاب العسكري بطول معاناة تثبيتها ونقلها من اطار الممكن الى رحاب الواقع المادي الملموس لتصبح حقيقة موضوعية مفروضة على الجميع ، كي يعترفوا بها تحت ضغط وطأة اطراد تطورها الصاعد والمستمر رغم العوائق والمعيقات التي يزرعها المعارضون لها ! . .

واضح انني ما زلت ابحث في نطاق ابعاد مكان الحدث الفلسطيني الأبرز ، ولم اخرج بعد لرحاب افاق تطوره اللاحقة . ابدي هذه الملاحظة كي اجلب الانتباه الى انني اتحدث عن لحظة الحدث الراهنة ، وفي حدود ابعاده المكانية . اما البحث عن دور الانتفاضة في مهمة تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني ، وفي كيفية تعاملها ، مع محيطها العربي عامة ومع الوضع اللبناني خاصة ، فأمر سيأتي البحث فيه لاحقا ! . .

هكذا كانت مجريات الفعل المحسوب ، وستستمر على وتيرتها الصاعدة . ومعلوم ، فان استمرار الانتفاضة جاء مغايرا تماما لتوقعات

القيادة وتخييبا لآمالها . فقد باءت كل حساباتها بالفشل وعجزت عن معالجة الحدث ، ووضع حد له الأمر الذي فسح في المجال امام تطوره للدرجة التي باتت تهدد ليس مصير قيادة «فتح» وحدها ، فحسب وانما مصير قيادات المقاومة كلها ! .

انني لا امزح اطلاقا . ولا ادعي امرا لا يمت للواقع بصلة . فانتفاضة قاعدة «فتح» موجهة اساسا ضد نهج التسوية السياسية للقضية الفلسطينية ، ولذلك فان القيادات الفلسطينية التي تصر على التمسك بهذا النهج ستجد نفسها وجها لوجه امام مصيرها المحتوم . فقد مضى زمن التنظير البائس للتسوية وجاء زمن الحساب التاريخي لأفعال القيادات وممارساتها النظرية والعملية . وتشهد الساحة الفلسطينية ، تكرار ما حدث وما يزال يحدث في «فتح» ، وسيتسع نطاقه ليشمل المنظمات الفلسطينية الأخرى ! . .

ان «الحدث الفلسطيني الأبرز» يرسم امام انظارنا مؤشرا كاشفا لرؤية ما سيحدث في الساحة الفلسطينية خاصة والساحة اللبنانية عامة ! . .

انني اكتفي بالاشارة لارتداد كل الضغوط البائسة التي مورست من قبل المنظمات الوسطية او من قبل الاصلاحية في الحركة الشيوعية ، لارهاب الانتفاضة وثنيها عن متابعة سيرها . . . اكتفي بهذه الاشارة كي اجلب الانتباه لواقع الاحراج الذي ينتظر خصوم الانتفاضة ومعارضيها ! . .

ولكن كيف كانت ردة فعل اللجنة المركزية والمجلس الثوري للحركة ، وما هي ابعاد مجابهتها للحدث وحدود معالجتها له ؟

اعتراف بالانتفاضة
وتقزيم لحجمها ومؤثرات فعلها

لقد سبقت الاشارة الى ان رئيس الحركة قد دعا اللجنة المركزية للاجتماع في اليوم الخامس عشر من ايار الماضي . ونلحظ ذلك بتعميمه الصادر بالتاريخ ذاته ، اي في اليوم السابع للانتفاضة . فكيف كانت نظرة القائد العام للحدث ، وبم تميزت عن نظرة نائبه ؟

لنطالع نص التعميم ، لكي نجيب على هذه الأسئلة :

«حدث داخل قوات اليرموك سوء فهم ، ادى الى تحرك بعض الضباط ومعهم الأخوة العقيد ابو موسى والمقدم زياد الصغير والرائد محمود عيسى قائد الكتيبة الثانية لقوات اليرموك سابقا ، الى مقر الكتيبة الثانية ومقر الكتيبة الأولى والى سرية الدفاع للقوات للسيطرة على هذه الوحدات .

وقد قام الأخ ابو جهاد نائب القائد العام والعميد ابو المعتصم رئيس العمليات المركزية بدعوة عاجلة للمجلس العسكري الموسع الذي ادان هذا العمل ادانة شاملة وبأنها ليست هذه الطريقة التي تعودنا عليها بفتح ، وتشكل وفد من المجلس العسكري وعدد من الكوادر السياسية وعدد من الكوادر الثورية ، بعد الاجتماع بالأخوين ابو اللطف وابو جهاد ، وذهب الأخوة لمقابلة الضباط المذكورين لاعلامهم بأن جميع ضباط الحركة وكوادرها لا يؤيدون هذا الاسلوب . وفي نفس الوقت فتح حوار هادىء بناء بغية الوصول الى حل لهذا الاشكال القائم ، وقد فوجىء الجميع بنزول بيان موقع باسم

القيادة العامة لقوات العاصفة ويحمل اسم الحركة ، وعندما اجتمعت اللجنة المركزية واطلعت على هذا البيان اتضح لها لا علاقة للحركة ولا لقيادة الحركة ولا للجنتها المركزية بهذا البيان ، وهذه ليست اول مرة يصدر فيها مثل هذه البيانات التي تحمل اسم الحركة . لقد تعودنا في الفترات الأخيرة على هذه الحملة ضد فتح وضد الثورة الفلسطينية وضد م . ت . ف وفي الأربعة وعشرين ساعة الأخيرة ، قام الأخ ابو عمار القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية والأخ ابو جهاد نائب القائد العام والعميد ابو المعتصم رئيس العمليات المركزية بزيارة للقطاعات العسكرية الفلسطينية المتواجدة في البقاع ، واجتمع مع جميع الكوادر والقيادات العسكرية ، وفي نفس الوقت اعلنت معظم عناصر وضباط الوحدات التي حدث فيها الاشكال ، وهي الكتيبة الأولى والثانية وسرية الدفاع بامتثالها للأوامر الصادرة عن القيادة انطلاقا من حرصها الثوري واصالتها الثورية وصدق انتمائها الحركي لفتح وللثورة الفلسطينية ، ولم يبق سوى بضعة عشرات ولا يزال الحوار قائما معهم لاعادتهم الى صفوف الثورة ، ونستطيع ان نقول بكل ثقة ان الروح الأخوية النضالية قد سيطرت على الجميع وهي التي احتوت حتى الان معظم اثار الاشكال وكانت وقفة الوحدات داخل قوات اليرموك كلها تقريبا وفي باقي القوات الأخرى ، الكرامة والقسطل ، والشقيف والمليشيا وقوات بدر وقوات الـ (١٧) والبحرية والكفاح المسلح والدفاع الجوي واللاسلكي العام والمدفعية مثالا ثوريا في الانضباط وفي الحرص على مصلحة الثورة والحفاظ على المسيرة وفاء لدماء الشهداء وفي نفس الوقت تابعت اللجنة المركزية اجتماعاتها بهذا

الخصوص .

وان اخطر ما في الاشكال هذا ، قد تجسد في تدخلات قام بها احمد جبريل وما تمثله من خلفيات وخيوط حيث دفع بقوة من عنده ومعها قوة اخرى مقدارها حوالي (٤٠) شخص مع اسلحة وذخيرة من مجموعة ابو نضال التي تحتمي بقواعد احمد جبريل في البقاع وقد وضع هذه القوة بأمرة الأخوة الضباط المذكورين ، وهذه محاولة يقوم بها جبريل ومن يقف خلفه لتصعيد الموقف ولكن صدق الثوار واصالة انتمائهم الثوري الحركي كشف ابعاد هذه التدخلات ورفضها جملة وتفصيلا وهكذا تثبت الظروف التي تمر بها حركتكم وثورتكم ان الرجال ـ الرجال هم قاعدتها الصلبة وركيزتها الأمينة . »

نلحظ بهذا التعميم ما يلي :

اولا : انه يعتبر الحدث مجرد «سوء فهم ادى الى تحرك بعض الضباط . . . » وبهذا الاعتبار محاولة لتقزيم الحدث الذي نرى اليوم طغيانه على سائر احداث الساعة الراهنة ! . .

اغلب الظن ان ابا عمار لم يدرك حتى ساعة صدور تعميمه استحالة تصفية الانتفاضة وعبارة «سوء فهم» تدل على انه يعتبر العملية مجرد رد فعل على قراراته القاضية بنقل الضباط التقدميين واعفائهم من اشغال مراكزهم الفعلية ! . .

ثانيا : ولتدعيم استخفافه بالحدث ، اشار الى اجتماع «المجلس العسكري الموسع الذي ادان هذا العمل ادانة شاملة ، وبأنها ليست هذه هي الطريقة التي تعودنا عليها بفتح» ، علما بأن هذا المجلس يضم كافة الفصائل الفلسطينية ، وان القائد العام يشكو من «تدخلات احمد

جبريل» وانحيازه للانتفاضة ، فكيف يجمع هذا المجلس على ادانة الحدث مع وجود الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني يا ترى ؟

ثالثا : ولكن لهجة القائد العام بهذا التعميم تختلف عن لهجة نائبه . فهنا اشارة الى «فتح حوار هادىء بناء بغية الوصول الى حل لهذا الاشكال القائم» . ورغم الاشارة الى المفاجأة التي حملها صدور التعميم الأول من قبل قيادة الانتفاضة ، فان هذه المرونة تدل على الأمر الواقع الذي مثلته الانتفاضة التي برهنت مجريات تطور الحدث ان القائد العام كان يضع احلامه بعزل الانتفاضة محل الواقع الموضوعي الذي بدأ يفرض نفسه !..

رابعا : نلحظ من التعميم ايضا ان الاستجابة لطلب المنتفضين بعقد المؤتمر غير واردة . وكل ما في تفكير القائد العام لا يتعدى حدود عزل المنتفضين وتطويقهم «واعادتهم الى صفوف الثورة» ، اي لبيت الطاعة والتراجع عن الخروج على سلطة القيادة التي يتحكم بقرارها !..

خامسا : اما الشكوى من «تدخلات احمد جبريل وما تمثله من خلفيات وخيوط» فتدل على رغبة القائد العام بتهريب المسؤولية وتقزيم الحدث بافراغه من قوته الذاتية وتصويره بأنه مجرد تدخل خارجي لا علاقة لقاعدة «فتح» به !..

سادسا : ولكن اشارة التعميم الى «مجموعة ابو نضال» تنطوي على اعتراف بوجود «فتح» المجلس الثوري على أرض الحدث بفعالية اضطرت القائد العام للشكوى منها !..

لست مدركا الغاية من هذه الاشارة ولكنني اعتقد ان اعتبار حضور هذه الجماعة تدخلا في شؤون «فتح» الداخلية غير دقيق ، لأنهم جزء من «فتح» اولا ويعتبرون انفسهم «فتح» الثورة التي تقف على نقيض «فتح» التسوية والاعتراف المتبادل ثانيا ! . .

لا ريب في ان تعميم القائد العام قد صدر باطلاع اللجنة المركزية وموافقتها . فقد كانت مجتمعة ساعة صدور التعميم . وقيل ان بعض اعضائها قد تدخل للتخفيف من لهجة التعميم وجعله مرنا بغية عدم غلق الباب بوجه الحل الديمقراطي . ولكن هل ينحصر دور اللجنة المركزية بنطاق التخفيف من لهجة تعاميم القائد العام ، ام انها ارادت من التعميم ان يكون توجيها داخليا يمهد لبيانها الصادر عن اجتماعها بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٨٣ ؟

ان مطالعة البيان الصادر عن اللجنة المركزية ، تدعو الى اليقين بأنها لم تفعل اكثر من الاستماع لتقارير القائد العام ونائبه وما تسميه بـ «لجنة الكوادر الثورية والعسكرية التي تشكلت بقرار منها» وبعد الاستماع عبرت عن «ارتياحها للحكمة التي يعالج فيها الجميع هذا الاشكال ، انطلاقا من روح حركتنا والاصالة الثورية التي يتمتع بها الجميع في مواجهة جميع المؤامرات التي تشن على حركتنا و ثورتنا وشعبنا . . .» .

اننا لا نلحظ معالجة جديدة للأزمة ببيان اللجنة المركزية لدرجة تبدو وكأنها اجتمعت لكي لا تفعل امرا مجديا وتحدثت لكي لا تقول شيئا . فهي اولا وقفت امام الوضع السياسي «واستمعت الى تقرير حول الاتصالات التي جرت بالاونة الأخيرة على الصعيدين العربي

والدولي من الأخوة الذين تولـوا هذه المهمات» ، وهـي ثانيا لم تر في الحدث سوى اشكال يجب ان يعالج «ضمن المؤسسات والأطر الحركية والثورية» . اي انها لم تفعل سوى البصم على ما طلـب منهـا ، لأن الحدث خروج على المؤسسات والأطر . فكيف تصح معالجته باحالته لهذه المؤسسات والأطر ؟

ورغم حديث بيان اللجنة المركزية عن الحوار الديمقراطي ، فان اشارتها الى المؤسسات والأطر الثورية تعني انها قد جنحت نحو الحل العسـكري ومحاكمـة «المتمـردين» ثوريا ، أي بموجـب القوانـين العسكرية ! . .

ان بيان اللجنة المركزية يدل على انها تعيش بواد غير وادي الواقع المتفجر ، الذي يهدد وحدة الحركة ومصير السياسة المرسومـة من قبـل منظمة التحرير الفلسطينية . ان مطالعة سريعة للبيان تكفي للاقناع بأن هذه القيادة ليست بمستوى معالجة الحدث اطلاقا . وفي قصور القيادة وعجزها دليل كاف على حراجة المأزق الذي تعيشه الحركة والـذي لا يمكن ان يكون وليد زمن «الحدث الفلسطيني الأبرز» . لأن قيادة يبلغ بها العجز هذه الدرجة لا بد ان تكون قد فقدت زمام سلطتها واصبحت مجرد واجهة واداة للتنفيذ ، ليس الا ! . .

قيادة في قبضة القائد وقائد في قبضة الحدث

ان قيادة الحركة بدت عاجزة امـام الحـدث . ولـم تتمـكن من ممارسة اي فعل يؤثر على مجريات الحدث وتطوراته . فقد بقيت اسيرة

قرارات وتوجيهات القائد العام ، الذي لم يتمكن هو الاخر من ان يفعل اكثر من جهد اعلامي للتعتيم على الأزمة وتقزيم حجمها وتهريبها ، تارة بادعاء عزلة الانتفاضة وحصر عدد عناصرها بثلاثين عنصراً فقط ، واخرى بالصاقها بسوريا والجماهيرية والقيادة العامة ! . .

خلال الأيام الأولى للحدث بدت القيادة مرتبكة . فأبو أياد أعلن انه سوف يعتزل العمل ويجلس بداره ما لم تتم تسوية الأزمة . ونقل عن ابي اللطف انه مع مطالب الانتفاضة . كما نقل عن اخرين انهم يحملون ابا عمار مسؤولية تفجر الأوضاع في «فتح» . كان الارتباك ملحوظا على وضع القيادة ، حتى جاء بيانها الثاني في الحادي والعشرين من ايار الماضي ، ليؤكد بالملموس ان الغالبية قد حسمت موقفها الى جانب القائد العام . فقد ورد في بيانها الانف الذكر ان «اللجنة المركزية بحثت التصرفات غير الانضباطية التي بذلت لجنة الكوادر الثورية والعسكرية جهدها لحلها . وقد شاركت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقادة فصائل الثورة الفلسطينية بجهد وحدوي مشكور ومساع حميدة في محاولة لوضع حل لهذه الحالة في اطار الحرص على وحدة الحركة والثورة . وفي مناخ من الحوار الأخوي الديمقراطي على مدى الأيام الماضية وانطلاقا من الالتزام التنظيمي والمسؤولية الوطنية الشاملة وعلى ضوء ما تقدم فقد اتخذت اللجنة المركزية القرارات التالية :

اولا : عقد الدورة العادية الثانية عشرة للمجلس الثوري للحركة الذي كان مقررا انعقاده يوم ١٧ من هذا الشهر (ايار) بناء على قرار المجلس الثوري في دورته السابقة المنعقدة في عدن . وذلك لمناقشة

الأوضاع السياسية والتنظيمية والحركية واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها وللتحضير لعقد المؤتمر العام الخامس للحركة الذي حان موعد انعقاده هذا الشهر وفقا للنظام الأساسي للحركة .

ثانيا : تكلف اللجنة المركزية الأخ القائد العام اصدار القرارات العسكرية التي تؤكد على الفعالية القتالية لقوات الثورة الفلسطينية المتواجدة في لبنان وسوريا ، على الشكل التالي :

١ - يتم تشكيل قيادة جبهة ، تشمل جميع قوات الثورة الفلسطينية المتواجدة في لبنان وسوريا طبقا لتوصية المجلس العسكري الأعلى .

٢ - يتولى الأخ العميد احمد عفانة (ابو المعتصم) قيادة هذه الجبهة اضافة لعمله .

٣ - يوضع الأخوة الضباط التالية اسماؤهم بأمرة الأخ القائد العام وهم : الأخ العقيد ابو موسى / الأخ العقيد محمد البدر (ابو مجدي) / المقدم زياد الصغير / المقدم واصف عريقات / الرائد محمود عيسى[٣] .

---

(٣) - العقيد ابو موسى عضو المجلس الثوري لـ «فتح» ومدير للمعلومات وعضو في كل من المجلس العسكري الأعلى للحركة ، والمجلس الوطني الفلسطيني .

- العقيد أبو مجدي عضو في المجلس الثوري والمجلس العسكري الأعلى ومدير التدريب العسكري في فتح .

- المقدم زياد الصغير نائب قائد قوات الكرامة وعضو في كل من المجلس الثوري والمجلس العسكري ا الأعلى .

- المقدم واصف عريقات قائد كتيبة المدفعية .

- الرائد محمود عيسى قائد الكتيبة الثانية في قوات اليرموك .

٤ - يوقف اي تعامل او اتصال بهم من جانب القوات تحت طائلة المسؤولية .

هذا وقد اوصت اللجنة المركزية ان يوضع الحاج اسماعيل بامرة الأخ قائد الجبهة نائب رئيس الأركان . »

اذا تأملنا هذا البيان في ضوء بيان القائد العام الصادر في ١٧/ ٥/ ١٩٨٣ ، أي قبل اجتماع اللجنة المركزية بأربعة ايام ، سنتأكد من ان القيادة عجزت عن التحرر من قبضة القائد العام الذي يمسك بعنصرين هامين : المال والنهج السياسي !..

يقول ابو عمار ببيانه ان اللجنة المركزية قد ادانت «الظاهرة اللاانضباطية» ويدعي أن مرور اسبوع على الحدث كان كفيلا بمحاصرته وعزله وامتصاصه . «ولكن الحملة الاعلامية بالرغم من كل هذه الحقائق الساطعة ما زالت تزداد شراسة ، وما زالت تنفخ في الشرر ، وتحاول عبثا تضخيمه وتكبيره بالأكاذيب والأخبار ، بيد ان الوعي الثوري قد استوعب معظم الاشكال واذابته ، واظهر اصالة قوات اليرموك ضباطا وافرادا ومناضلين . فما ان عرفوا الحقيقة حتى رفضوا الاستمرار بهذه المهزلة والتحقوا جميعا وفورا بقيادة قوات اليرموك ، ما عدا حوالي ثلاثين عنصرا ، قد انساقوا وراء العقيد ابو موسى . »

واضح ان القائد العام ، لم يتمكن من الخروج من قيود مركزه . وبدلا من ان يضع قيادة الحركة وقواعدها بصورة الأزمة الحقيقية ، راح يبذل قصارى جهده لطمس خطر الحدث وتقزيم حجمه . ولسنا نتصور احدا يعرف لماذا يحمل رأسه ويصدق ادعاء بأن القوات التي التحقت بأبي موسى لا تتعدى حدود الثلاثين عنصرا .

ومع ذلك فان اللجنة المركزية صدقت وبصمت على القرارات التي اتخذها قائدها ، لتكشف انها واقعةبقبضة القائد وعاجزة عن التحرر من اصفادها ! . .

إن التأمل ببيان اللجنة المركزية ، يكشف تناقضاً ، في نظرة اللجنة وموقفها ، ففي وقت اعترفت فيه بان «المؤتمر الخامس للحركة قد حان موعد انعقاده هذا الشهر ـ أيار ١٩٨٣» ، وفي وقت قررت فيه دعوة المجلس الثوري في دورته الثانية عشرة في ١٧/ أيار ، أي بعد يومين من تاريخ اتخاذ قرارها ... في هذا الوقت سمحت لنفسها بتكليف رئيسها بـ «اصدار القرارات العسكرية ... وبتشكيل قيادة جبهة وتعيين أبي المعتصم قائداً لها . . . وبوضع الضباط المتمردين تحت تصرفه ... الخ»! . .

أليس تناقضاً صارخاً ان تدعو اللجنة المركزية المجلس الثوري والمؤتمر الخامس للانعقاد ، وفي الوقت نفسه تسمح لنفسها ولرئيسها بمتابعة التصرف بأوضاع الحركة ، كما يتصرف التاجر ببضاعته ، لكي لا نقول كما يتصرف الغنام بغنمه ؟

لو أن اللجنة المركزية ، تجاهلت وقت انعقاد المؤتمر الخامس ووكيله المجلس الثوري ، لكانت منسجمة مع نفسها . اما ان تتخذ كل ما اتخذته من قرارات قبل يومين من اجتماع المجلس الثوري فامر يدل بوضوح على أنها لا ترى بالمجلس ولا بالمؤتمر ، أكثر من واجهة لاضفاء شرعية شكلية على ما تريده هي وما يقرره رئيسها ، ليس إلاّ ! . .

أين الشعور بالمسؤولية ، تجاه حدث لا يعرض الحركة لما تتعرض له اليوم ، فحسب ، بل ويعرض الثورة برمتها لاعادة صياغة العديد من

مفاهيمها وشعاراتها ؟

ألم تكن الأصول والواجب الثوري ، يقتضي تجميد الوضع ريثما ينعقد المجلس الثوري و«المؤتمر الخامس الذي حان وقت انعقاده هذا الشهر» ؟

ان الحديث عن هذا التناقض طويل ومثير للمرارة . كيف تسمح قيادة تشعر بمسؤوليتها وتحترم نفسها ، ان تقع بمثل هذا التناقض ، وتنسى ان في العالم قوى وأوضاع ترقب حركاتها وممارساتها ، وتحكم لها أو عليها من خلال مواقفها وأعمالها ؟

اما المجلس الثوري ، فقد عقد دورته العادية الثانية عشرة ، ولكن احداً لم يلحظ اي حل ناجع للأزمة . ومن غير الممكن ان يتوصل المجلس للحل القادر على انهاء الأزمة طالما انه عاجز عن تجميد القيادة وتحمل مسؤولياته بدعوة المؤتمر العام للانعقاد بدورة استثنائية عاجلة ! . .

لقد صدقت اللجنة المركزية ان وضع ابي موسى ورفاقه تحت امرة القائد العام كفيل بحل الاشكال ، دون ادراك ان الانتفاضة تشكل خروجا على سلطة القائد والقيادة وكل الشرعية التي تتحدث عنها . اما الفقرة الرابعة من البند الثاني من قراراتها فمثيرة للشفقة حقا . فقد حذرت من الاتصال بالمتنفضين تحت طائلة المسؤولية ، في وقت وضعت فيه الحاج اسماعيل بامرة قائد الجبهة ولم تحذر من الاتصال به كما لم تتخذ اية عقوبة بحقه ! . .

هكذا بقيت القيادة تراوح في دوامة العجز حبيسة ارادة القائد الفرد ، الذي كان بدوره حبيس الواقع الذي فرضته الانتفاضة ! . .

ولكن ما هو التفسير لعجز القيادة عن معالجة الأزمة والحيلولة دون استفحالها ؟

واقع القيادة . . . والحل المطلوب

اذا ادركنا لماذا تعجز قيادة بورجوازية عن الاستمرار بقيادة تطور مجتمع تتولى قيادته ، بعد بلوغها مرحلة معينة من مراحل التطور الذي تقوده . سندرك لماذا عجزت قيادة «فتح» عن حل ازمة الحركة التي تقودها ! . .

ان الحل المطلوب للأزمة التي فجرتها قاعدة «فتح» يتمثل في التزام الديمقراطية والخضوع للأصول التي يحددها النظام الداخلي للحركة . ان المشكلة برمتها يمكن ان تحل ببساطة متناهية ، اذا ما التزم الجميع بالقوانين التي تحكم حياة الحركة ، والتي اقرتها مؤتمراتها ، وخضعوا لارادة السلطة العليا فيها ! . .

ان بساطة الحل يمكن فهمها اذا استطعنا الاجابة على السؤال التالي :

لماذا تسن الأنظمة الداخلية للأحزاب والمنظمات الشعبية ؟

الجواب الطبيعي والمنطقي ، يتلخص بالضرورة التي تخلقها الحاجة لتنظيم العلاقات بين مختلف المستويات والمراتب والمؤسسات التي يتكون منها الحزب او المنظمة ، اولا ، ولضبط الحركة العامة للحزب او المنظمة او للهيئات والأفراد ، بحيث تتحدد الواجبات والحقوق بما فيها الصلاحيات للعناصر والهيئات ثانيا .

هذا هو الجواب الطبيعي والمنطقي وهو جواب بسيط ، ولـذلك فان معالجة اية خلافات ضمن هذه القواعد والأصول كفيلة بالحفاظ على وحدة الحركة واطراد تطورها . فللرئيس حق معالجة اية مشكلة خلال الفترة ما بين اجتماعي القيادة ، شريطة الرجوع للجنة المركزية ، صاحبة الحق في المصادقة على الاجراءات والمعالجات التي اتخذها ومارسها كما لها الحق في الاعتراض عليها والغائها . وضمن هذا الحق والواجب يتحتم على اللجنة المركزية ان تتولى معالجة اية مشكلـة يعجـز الـرئيس عن حلها . وهي ملزمة باطلاع المجلس الثوري للحركة ، باعتبـاره وكيل المؤتمر . والمجلس الثوري ملزم بدعوة المؤتمر للانعقاد في حال عجـزه عن معالجة الأزمة والحفاظ على وحدة الحركة . ومعلوم فان المؤتمر كفيل بحل اية مشكلة . ويكفي ان نتذكر المشكلات العويصة التي واجهها المؤتمر الرابع و الخلافات المستعصية التي اجبرته على الاستمرار بدورته اضعاف الفترة المقررة . . . يكفي ان نتذكر نجاح المؤتمر الرابع وتغلبه على المعضلات التي واجهته لكي نقتنع بامكانية الحل وبساطته ! . .

ولكن هل كان بامكان المؤتمر الرابع ، او اي مؤتمر اخر ان ينجح بحل المشكلات والمعضلات والخلافات التـي تواجـه التنـظيم وتهـدد وحدة الحركة بالانقسام ، بدون توفر شرط الديمقراطية والتزام القواعد والأصول التنظيمية بجدية صارمة من قبل الجميع ؟

يوم تعرضـت الثـورة الصينية للهزيمـة امـام القـوات ا لمعـادية واضطرت للتراجع الى المواقع الأكثر حصانة ومناعة ، بعد ان تخلت عن العديد من قواعدهـا ، اجتمعـت اللجنـة المركزية للحـزب الشيوعـي الصيني واعفت «لي لي سان» من مهمة السكرتير العام للجنة المركزية

واسقطت عضويته منها ، بعد ان حملته مسؤولية تنفيذ سياسة مغامرة ، عرفت بسياسة الضرب بالقبضتين التي ادت الى هزيمة الثورة امام قوات شان كاي شيك . مع انها اعادت اليه عضويته فيها بعد ثلاث سنوات ، بيد ان قرارها باعفائه اثبت كفاءتها في صيانة وحدة الحزب وجدارتها بالنيابة عن المؤتمر وحقها في ممارسة صلاحياته ! . .

معلوم ان هزيمة الثورة الصينية كانت مؤقتة ، عادت بعدها الثورة للصعود واحرزت انتصارها الذي يدل على كفاءتها وارتفاعها الى مستوى مسؤولية قيادة الثورة . اما اللجنة المركزية والمجلس الثوري لـ «فتح» فلم يفعلا امرا ذي بال ، ولم يتخذا اي اجراء بمستوى معالجة الأزمة ، وانما كانا يوافقان على ما يبلغان به . ولذلك عجزا عن التصرف ببساطة ومسؤولية . اما لماذا تصرفا بهذه الطريقة فلانهما كانا منسجمين مع واقعهما ، وليس لأنهما كانا معطلين بسبب هيمنة ابي عمار عن لعب دورهما كما تقول تعاميم وبيانات المنتفضين ، بل لأن غالبية اعضائهما منسجمة مع السياسة المرسومة لاستبدال حل الثورة للمعضلة الفلسطينية بحل التسوية القائمة على اساس الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير واسرائيل . وبفضل هذا الانسجام يتمتع ابو عمار بصلاحياته ا لواسعة التي شملت صلاحيات القيادة نفسها . وما يميز ابو عمار عنهم ، يتمثل بكونه اجرأ منهم في التعبير عن سياسة التسوية المرسومة ! . .

واذن ، فان قيادة الحركة ، ممثلة بغالبية اعضائها ، قد تنازلت عن صلاحياتها لرئيسها عن طيب خاطر ، لأن هذه الأغلبية تجد في تعطيل القيادة عن ممارسة دورها على الوجه الأتم ، تعبيرا عن قناعتها بضرورة

فسح المجال أمام رئيسها ليتابع تنفيذ سياسته المرسومة ، والمعبرة عن آمالها وطموحها وقناعتها بضرورة استبدال شعار «ثورة حتى النصر» بشعار التسوية السياسية ، حفاظا على سلامتها ، وسعيا للانسجام مع السياسة العربية التي رسمتها مقررات مؤتمر القمة في فاس ، أولا ولأنها تهرب من مسؤوليتها بالقاء تبعات اي عمل سلبي على عاتق رئيسها ، ثانياً ! . .

انها (القيادة) متعمدة تعطيل دورها ، لأن لها مصلحة بهذا التعطيل . وهي مدركة ان دور القيادة يجب ان ينسجم مع برنامج الحركة ، ويخضع للقواعد والأصول التي يحددها النظام الداخلي . ومعلوم ، فان البرنامج والنظام الداخلي ، كلاهما يؤكدان على استمرار الثورة ويعارضان الاغتصاب الصهيوني ويدعوان لتحرير فلسطين من رجسه . وهذه القواعد والأصول ، تتعارض مع سياسة الحل السلمي التي يعبر عنها ابو عمار خير تعبير . ولولا هذه الحقيقة لما تجرأ ابو عمار على القول بأن قراراته بلدوزر تخيف الذين يقفون في طريقها ، وأنه جبل لا تهزه ريح ! . .

قد يتهمني «البعض» بالتجني على قيادة «فتح» ، وتحميل موقفها أكثر مما يحتمل . ولكنني ساتعامل مع هذا «البعض» بطول نفس وصبر ، لكي ابرىء ذمتي من الدفاع عن ابي عمارّ واظهاره بمظهر يغاير ميله الشديد للفردية ، وسأنتظر حتى ينتهي من ذرف دموع العطف على «القيادة» المظلومة ، لأذكره بما تفعله القيادة الجدية كالقيادة الصينية التي اعفت «لي لي سان» ، والقيادة السوفييتية التي أعفت خروتشوف ولأسأله عن سبب احجام قيادة «فتح» عن الوقوف الى جانب القاعدة ،

وعدم دعوتها المؤتمر للانعقاد ، أليس المؤتمر هو السلطة العليا التي ينبغي الاحتكام اليها للبت بالمعضلات ، ورسم السياسة الأصوب لتحقيق الأهداف والمهمات ؟

قد يقال ان هذه الأغلبية لا تريد ان تهرب من النار الى الرمضاء ، فتتحرر من «فردية» ابي عمار ، لتقع بتبعية «القاعدة» وامام هذا القول ، فانني أتساءل : لِمَ لم تتخل عن ممارسة دورها وتعلن تجميد نشاطها احتجاجا على «فردية» ياسر عرفات وعدم انصياعه لقراراتها وتعليماتها ؟

ولكن ، اين هي القرارات الحاسمة التي اتخذتها ، بل لِمَ تراجع أبو اياد عن تصريحه : «انني سأعتكف ببيتي اذا لم يوضع حد للأزمة» ؟

وسأتمادى اكثر ، لكي اجلب الانتباه الى الفصائل الفلسطينية التي عارضت الانتفاضة وبقيت ملتزمة جانب ابي عمار ، فهل ان امتناع هذه الفصائل عن دعم الانتفاضة ناجم عن خضوعها لفردية القائد العام ، أم أنها وجدت بالانتفاضة عملا يخرب السياسة العامة التي تلتزمها والتي يعبر عنها ابو عمار بطريقته الخاصة ؟

أنصدق أن الوقت غير مناسب للانتفاضة كما يدعي ادعياء «الشيوعية» ، ام ان الانتفاضة احدثت خللا كبيرا في جسم الاستسلام ، وشكلت مركز تشويش خطير على دعاة «ازالة آثار العدوان» والصلح بين العرب و «اليهود» ؟

كتب عضو مكتب سياسي لحزب شيوعي عربي ، يذكر العرب القوميين الذين لم يسمعوا نصيحة حزبه عام ١٩٤٨ ، بانهاء حالة الحرب بين العرب و«اليهود» على اساس الاعتراف باسرائيل . . .

يذكرهم بأن مرور اربعين سنة على هذه النصيحة قد كلفهم ضحايا ودمارا كان بالامكان تجنبه لو انهم سمعوا نصيحة حزبه ، وبعد هذا التذكير يبارك سياسة منظمة التحرير القائمة على الاعتراف والصلح مع اسرائيل ، دون ان يسأل نفسه عن الانجاز الذي حققه حزبه واشقائه في البلدان العربية لجماهيرنا الشعبية ، رغم مرور هذا الزمن الطويل على النصيحة البائسة التي حملها شعار «لتسقط الحرب بين العرب واليهود» الذي يذكرنا به عضو المكتب السياسي الذي يسدي النصح بتسوية المشكلات بيننا وبين اعدائنا الامبرياليين والصهاينة والرجعيين على اساس التفاهم وتجنب ممارسة العنف الثوري ردا على العنف الرجعي . اما حال هذا العضو وحزبه ، فقد كانت أسوأ حال بعد قيام الانتفاضة ! . .

واذن ، فان واقع قيادة «فتح» هو الذي جعلها تعجز عن معالجة الأزمة بكفاءة ومسؤولية ، وبالتالي تعجز عن اخضاع الأزمة برمتها وبجميع اطرافها لسلطة المؤتمر والاحتكام اليه . وبسبب هذا العجز بقيت الأزمة ناشبة وتفاقم صراع اطرافها بعد ان اثقلته تعقيدات الموقف والهروب من مواجهة الأمر الواقع الذي فرضته الانتفاضة ! . .

ان القيادات الحزبية عندما تتصرف باحزابها ومنظماتها كما تتصرف الحكومات بانظمتها واجهزتها الرسمية ، تعبر عن عجز وعدم قدرة على متابعة القيام بالمهام التي اوكلها المؤتمر اليها . ومثلما يتجلى عجز الفئات الحاكمة بقمع المعارضة لسياستها ، فان عجز الفئات القائدة للأحزاب والمنظمات يتجلى بالهروب من ممارسة الديمقراطية وبالتجاوز على القواعد والأصول التنظيمية ، وبذلك الهروب والتجاوز تخلق

نقيضها وتعلم قواعدها على الرد عليهـا بالتجـاوز على التجـاوز بغية تصحيح الانحراف ووضع الأمور في نصابها ! . .

هكذا عجزت قيادة فتـح عن التقـاط الحـل المطلـوب ، بسبـب واقعها ا لراهـن ، ولـكن كيف استطاعـت الانتفاضـة ان تقـوى على الصمود رغم كل الضغوط التي تعرضت لها ورغم كل محاولات القمع والتصفية التي واجهتها ؟

الفصل الثالث :

اول الانتفاضة خطوة جريئة

* اول الانتفاضة خطوة جريئة
* تصعيد في اللهجة وتوسع في المطالب
* قيادة تجتمع وتنفض . . . وقاعدة ترفض وتنتفض
* عندما ينتفض الضمير . . . يخضع الحاضر والمستقبل لتقرير المصير



اول الانتفاضة خطوة جريئة

اذا كان الحل المطلوب يتمثل بالتزام الديمقراطية داخل التنظيم ، وبالاستجابة لطلب عقد المؤتمر العام والاحتكام اليه والخضوع لارادته ، واذا كانت قيادة « فتح » قد عجزت عن التقاطه بسبب التزامها بنهج المساومة السياسية وتمسكها بانهاء الثورة على الاغتصاب الصهيوني ، فكيف انطلقت الانتفاضة وكيف واجهت ردة الفعل على حدوثها ؟

يقولون ان اول الغيث قطر ثم ينهمر . والانتفاضة التاريخية كما الغيث ، اولها خطوة جريئة ، تخطوها طليعة واعية ومنظمة ، ثم تتعاقب خطواتها كتعاقب قطرات الغيث لدى انهماره ! . .

هكذا بدأت قاعدة«فتح» تميط الستار عن حقيقتها خطوة اثر خطوة . ففي التاسع من ايار ، بدأت الحركة غير الاعتيادية تستفز واقع الحل السلمي الذي كرسهُ المجلس الوطني بدورته السادسة عشرة ، فتحركت ركائزه ، حركة كان الاستخفاف طابعها العام . وما ان مضى يوم الانطلاقة ، حتى ظهرت للعيان ملامح الحدث الفلسطيني الابرز ، حيث شهدت الساحة الفلسطينية صراع الفعل وردة الفعل يشق طريقه وسط جو التشويش على الحدث والتستر على حقيقته . فمرة يذاع الخبر تحت عنوان زيارة يقوم بها القائد العام للمنطقة رغم الحظر المكرس خطياً على مثل هذه الزيارة . ومرة يذاع نبأ الانتفاضة تحت عنوان ردة فعل لدى بعض الضباط المنقولين من مراكزهم بناء على قرارات القائد العام . ومرة يتنازلون امام الامر الواقع الذي فرضته الانتفاضة فيدعون ان القصة كلها لا تعدو عن خمسة ضباط وثلاثين عنصراً

مضللين ، ولدى ازالة غشاوة التضليل سوف يعودون الى رشدهم .
ورغم ذلك كله فان خطوات الانتفاضة تتابعت ولم تتوقف . فقد بقيت فترة تتحرك بصمت على امل تلبية طلبها بعقد المؤتمر العام وحصر الحدث باطاره الداخلي . ولما اقتنعت بعدم جدوى الانتظار بادرت في اليوم الرابع لاصدار تعميم داخلي لاعضاء « فتح » كان الخطوة الاولى التي جسدت الحدث وكشفت عمق الازمة الصامتة التي تعيشها فتح خاصة والمقاومة الفلسطينية عامة ، ففيه تقول القيادة العامةلقوات العاصفة :

« اخي يا ابن فتح ،
ايها المناضلون في قوات العاصفة

لا شك ان سؤالاً هاماًومشروعاً يطرح نفسه في هذه الساعات، ما الذي يجري داخل « فتح » وما الذي يجري فوق الساحة اللبنانية ، ولماذا اضطررنا للاقدام عليه ؟

ان المشروع الامريكي ـ الصهيوني ـ الرجعي لتصفية قضية فلسطين ، واقامة منطقة الاجماع الاستراتيجي على ارض وطننا العربي ، واخضاعه نهائياً للهيمنة الاميركية ـ الصهيونية ، لم يكن ممكنا ان يمر الا اذا جرت تصفية الثورة الفلسطينية واسقاط البندقية الفلسطينية المقاتلة ، ومن هنا كان الاجتياح الصهيوني للبنان ذروة المؤامرة التي كان هدفها اخراج الثورة الفلسطينية من لبنان لكي تكون الطريق مفتوحة لتصفية قضية فلسطين في عمان ، وبعد ان خرجت الثورة من بيروت بعد

صمودها الاسطوري وجدت نفسها في مواجهة سلسلة متلاحقة من المشاريع المشبوهة التي جاءت استكمالاً لاجتياح لبنان (مشروع ريغن ، مشروع فهد ، مشروع الملك حسين) ، وبدلاً من ان تلتفت قيادة الحركة لتقييم ما جرى في لبنان ، او تعقد اللقاءات اللازمة لكوادر الحركة وقياداتها لاستيعاب الدروس المستفادة من الحرب وما سبقها وما لحقها ، فوجئنا بانخراط مريب في دوامة المشاريع المطروحة ، رافقها استعداد للاعتراف المتبادل بالعدو وبلقاءات مدانة مع قوى ومنظمات تعلن اعتدادها بصهيونيتها ، وبتفسيرات مشبوهة تحاول ان تجعل من الصهيونيةصهيونيتين، وباتصالات واتفاقات مع نظام مصركامب ديفيد وبعلاقات حميمة مع الانظمة العربية التي لا تخفي نشاطها وسمسرتها على حساب قضية فلسطين ، وباصرار غير مفهوم على ابقاء قواتنا مشتتة وموزعة وباصرار مماثل على قيادة الحركة من المنافي ، بكل ما رافق ذلك من تبذير وتبديد لاموال الحركة تكفي لحل مشاكل شعبنا في لبنان ، ومشاكل ابناء الحركة من اجل عقد مهرجان هنا او اجتماعات لا جدوى منها هناك . في مقابل هذا الذي كانت تمارسه قيادة الحركة كنا نرى اننا نستطيع ان نمنع العدو من تحقيق الاهداف السياسية لعدوانه ، واننا نستطيع التشبث بالبقاع والشمال ، والمساهمة مع القوى الوطنية اللبنانية في التصدي للاحتلال ومقاومته والذي اصبح جنوده في متناول ايدي ثوارنا اكثر من اي وقت مضى ، وانا نستطيع من خلال التلاحم الفلسطيني الوطني اللبناني السوري ان نحبط مخططات العدو الامريكي ـ الصهيوني في لبنان ، وان نمنع مخطط التصفية السياسية لثورتنا وقضيتنا الذي يشكل النظام الاردني حلقته الرئيسية .

إلا أن بعض الرموز في قيادة الحركة ، كانت ترى ضرورة الانسحاب من البقاع والشمال ، وكانت تعمل على سحب المقاتلين من البقاع والشمال بالتدريج وبأعذار متعددة الى المنافي التي ألقت ثوارنا فيها ، وكانت تحول دون عودة المقاتلين الى الساحة اللبنانية من خلال قطع مخصصاتهم وكانت تتعمد الاساءة الى القوى العربية الوطنية ، والتشكيك بكل امكانية لاقامة تحالفات ثورية عربية ودولية تتمكن من مواجهة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية التي تستهدف تصفية قضيتنا وتركيع أمتنا .

ولعل نتيجة الحوار الاردني الفلسطيني التي اعلن عنها مؤخراً تشير الى الهاوية التي كانت تساق اليها الثورة والقضية ، فلقد اصبح معروفاً ان الحوار كان يجري على ارضية مشروع ريغن ، . وان الكونفدرالية كانت ستعلن قبل تحرير ذرة من تراب الوطن ، ليكون اعلانها مدخلاً لتجاوز عقبة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وعقبة حق تقرير المصير ، وعقبة شكل الوفد المفاوض مع العدو الصهيوني ، واصبح معروفاً ان موافقة فلسطينية تمت مع الملك حسين على التفاوض على اساس مشروع ريغن وقرار ٢٤٢ ، وان التوقيع كان امراً مفروغاً منه ، لولا تعليقه في اخر لحظة ، لانه من غير الممكن الدخول في المفاوضات مع العدو طالما لم يتحقق هدف تصفية الثورة الفلسطينية واخراجها من لبنان ولان القوى الثورية داخل الساحة الفلسطينية ، وخاصة داخل حركة « فتح » استردت توازنها في الوقت المناسب لتعرقل تنفيذ المشاريع المشبوهة المطروحة لتصفية قضية فلسطين ، وهي

النتيجة التي اغضبت الرئيس ريغن وقرر دون ان ينسى امتداح المعتدلين الفلسطينيين، انه لن يسمح للراديكاليين (الوطنيين الفلسطينيين) ان يعرقلوا مسيرة « السلام » الاميركية . وكانت واضحة ابعاد قرار الرئيس ريغن وهي ان الوطنيين الفلسطينيين الملتزمين بالثورة والتحرير يجب ان يشطبوا ، وان تنتهي اي قدرة لهم على عرقلة مسيرة « السلام » الاميركية .

لذلك ، فنحن لم نفاجأ بالقرارات الاخيرة التي صدرت والتي تتم على ارضية تمرير الحلقات التالية للتسوية والتي تمثل انقلاباً عسكرياً وتنظيمياً داخل حركة فتح ، والتي يستهدف من خلالها السيطرة على الحركة تمهيداً لترويض الساحة الفلسطينية والقضاء على أي تأثير للوطنيين الفلسطينيين في مواجهة مسيرة التسوية الاميركية ، ولذلك فاننا نعلن وقوفنا في وجه هذه القرارات استنادا الى ما يلي :

١ ـ ان هذه القرارات تستند الى البعد السياسي الذي ذكرناه ، وتستهدف ابعاد كل من يستطيع المساهمة في لجم اندفاعة التسوية الاميركية من موقع التأثير المباشر .

٢ ـ جاءت هذه القرارات مستغلة الاجواء المتوترة في المنطقة عامة وفي البقاع خاصة ، نتيجة تحشدات العدو الصهيوني وتزايد الحديث عن احتمالات العدوان على البقاع والمواجهة المحتملة معه بما يعنيه من عزوف عن المشاركة في تدعيم خط القتال .

٣ ـ ان هذه القرارات مؤشر الى نية احكام فئة معينة سيطرتها على « فتح » وعلى قواتها « العاصفة » تمهيداً للانسحاب من لبنان وبالتالي

ازالة العراقيل التي حالت دون التمكن من التوقيع على الاتفاق ـ الاردني ـ الفلسطيني الذي صيغ على ارضية مشروع ريغن .

٤ ـ ان استعراض اسم العقيد ابو هاجم (شقيق ابو الزعيم) على رأس قائمة القرارات المتخذة (اضافة الى بعض الاسماء الاخرى) وتسليمه قيادةجيش التحرير الوطني الفلسطيني في الساحة اللبنانية وهي التي تمثل اخطر ساحات النضال الفلسطيني يستفز المشاعر الوطنية داخل الحركة وداخل الساحتين الفلسطينية واللبنانية ويؤكد الاصرار على ابقاء المنحرفين والمهزومين والمطلوبين للمحاكمة ، على رأس قواتنا ، والاصرار على ابقاء من كانوا عنواناً للاقتتال الفلسطيني ورمزاً للاساءة الى شعبنا الفلسطيني ـ اللبناني في مواقع القيادة والتأثير .

٥ ـ ان هذه القرارات شكلت اقصاء واضحاً وصريحاً لعدد كبير من خيرة الضباط والكوادر عن مواقعهم النضالية ، تمهيداً لمنع تأثيرهم المعرقل للتسوية الاميركية وارسالهم الى المنافي الجديدة التي قررت القيادة القاءهم فيها ، وذلك اضافة الى اقصاءات سابقة اخرى تعرض لها العديد من الكوادر الطليعية المناضلة . ولن يغير هذه الحقيقة اسناد بعض المهمات السياسية لضباط وطنيين .

٦ ـ ان هذه القرارات جاءت بمثابة تمزيق متعمد لوحدة « فتح » ، استهدف فريقاً يمتاز بمواقفه الوطنية الواضحة ، وشكلت انسجاماً مع المخطط الرامي الى تصفية « فتح » وقواتها (العاصفة) .

٧ ـ ان هذه القرارات تنكرت لكل مقولات الوحدة الوطنية ، وخاصة في جيش التحرير الوطني الفلسطيني حيث لم تشمل القائمة

التي تضمنتها القرارات المذكورة اي اسم ولو في اي موقع ، له علاقة باي فصيل من فصائل الثورة الفلسطينية .

اخي يا ابن فتح ،

ايها المناضلون في قوات العاصفة

نحن ندعوكم لوقفة مع الذات لتسألوا :

- اين اصبحت حركة فتح التي قادت ثورتنا الفلسطينية المعاصرة ؟

- اين برنامجها السياسي ونظامها الاساسي ؟

- الى متى تختلط الاستراتيجية بالتكتيك ، وتزول الحواجز بين العدو والصديق ، وتنعدم الفوارق بين ما هو وطني وما هو عميل ؟

- الى اين تسير حركتنا ، وما هي الضوابط التي تحكم [illegible] ؟

اننا نخاطب ضميرك الثوري ، وندعوك الى حماية « فتح [illegible]

خلال الوقوف بوجه التفريط والانحراف والتصدي للفردية [illegible] تعطيل الاطر التنظيمية ، لكي لا يستوى الشجاع والجبان ، والامين واللص ، والمناضل والمشبوه ، والبطل والجاسوس .

اخي يا ابن فتح .

اننا لا نخشى حملات التشكيك والاتهام ، ولا يبتزنا ارهاب العبثية او العدمية فنحن مطالبون بان نتمسك بمبادئنا وبالاصرار على الوفاء لدماء الشهداء ، لذلك فاننا ندعوك الى النضال من اجل تحقيق المطالب التالية :

اولاً : الغاء القرارات العسكرية التي صدرت وكافة القرارات

التنظيمية الاخرى التي استهدفت اقصاء فريق معين من مواقعه النضالية .

ثانياً : اعلان قرار بعزل العقيد ابو هاجم وكافة الذين تخاذلوا وتواطأوا في الحرب الاخيرة من كافة مناصبهم وتقديمهم للمحاكمة امام محكمة الثورة .

ثالثاً : اصدار قرار يقضي بالتصدي الصريح والواضح للمشروع الاميركي ـ الصهيوني الرجعي الرامي الى ضرب الثورة الفلسطينية ، وتصفية قضية فلسطين والمتمثل في مشروع ريغن وقرارات فاس ومشروع الكونفدرالية .

رابعاً : الاعلان الواضح والصريح عن التشبث بالجنوب والشمال ، ومعارضة اتفاق التسوية اللبناني ـ الاسرائيلي ـ الاميركي رسمياً وتصعيد الكفاح المسلح الى ان يتم دحر الاحتلال الصهيوني لارض لبنان بشكل نهائي .

خامساً : وضع برنامجنا السياسي موضع التنفيذ .

سادساً : الاعلان الصريح عن الوقوف الجاد في جبهة المواجهة العربية الوطنية للمشروع الاميركي في منطقتنا ، كجزء اساسي منها ، والتأكيد على تحالفنا الواضح مع الدول الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي .

اخي يا ابن فتح

لنقف صفاً واحداً لوقف الاجراءات الرامية الى حل « فتح » وقواتها « العاصفة » ولنعاهد الشهداء ان نستمر على الدرب الذي

استشهدوا من اجله . » .

« ثورة حتى النصر »

« القيادة العامة لقوات العاصفة »

نلحظ بهذا التعميم الواضح في مضمونه والصريح في لهجته ، تحديداً للمطالب دفع بالموقف الى مأزق تعقيدات الازمة . كما نلحظ اتهاماً للقائد العام بانه قام بانقلاب هدفه « تصفية فتح وقوات العاصفة » . ونلحظ شكوى من ان قرارات الابعاد لم تشمل الفصائل الاخرى . الامر الذي يدل على اطمئنان القائد العام لمواقف هذه الفصائل ، من جهة ، ويكشف رغبة بالاستفراد بالتيار الديمقراطي داخل « فتح » ليبدأ بمن قد يعارض من الفصائل الاخرى ، من جهة أخرى .

ان القبول بالمطالب الستة التي حملها التعميم الأول يعني رفضاً كاملا لسياسة المساومة الملتزمة من قبل قيادة « فتح » بصورة عامة ، ويعني نكوص ابو عمار عن تعهداته الخطية بالانسحاب من بيروت وعدم العودة الى لبنان خاصة . ولذلك كان رده تصميداً شديداً ضد سوريا لدرجة اجبرت حكومتها على ابعاده ومنعه من العودة اليها مما حرره من الاحراج الكبير الذي سببته له الانتفاضة ! . .

وبعد يومين بادر المنتفضون الى اصدار التعميم الثاني التالي نصه :

« اخي يا ابن فتح ،
ايها المناضلون في قوات العاصفة

لقد هزنا من الاعماق ذلك التأييد العارم الذي لقيه تحركنا ، من قبل ابناء الحركة في الوحدات والاجهزة والاقاليم ، وعزز ايماننا باننا نتحرك في الاتجاه الصحيح من اجل حماية « فتح » ووحدتها وتماسكها ، وترسيخ دورها طليعة للثورة وضمانة للوحدة الوطنية الحقيقية وعقبة كأداء في وجه المخططات الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية ، الرامية الى ضرب ثورتنا وتصفية قضية فلسطين .

ولقد تفهمنا بعمق الموقف المسؤول الذي وقفه بعض الاخوة الذين انفعلوا بتحركنا فجاءوا من موقع الحرص والالتزام يعربون عن مشاركتهم لنا في فهم الاسباب التي دفعت الى تحركنا وابدوا تحفظاً على الاسلوب الذي اتبعناه ، وطالبوا باللجوء الى اللجنة المركزية والمجلس الثوري لمعالجة الموقف والغاء القرارات التي استهدفت شق « فتح » وتصفية قواتها « العاصفة » وكانت آخر اسباب تحركنا .

وكان ردنا واضحاً ، بان تحركنا يستهدف في ما يستهدف رد الاعتبار الى اللجنة المركزية والمجلس الثوري ، اللذين فشلا في ممارسة دوريهما كإطارين قياديين،وبعد ان اعتدى على صلاحياتهما وفرضت عليهما مواقف خطيرة ، شكلت خروجاً على نظامنا الاساسي ومخالفات لبرنامجنا السياسي ، واللذين اهتزت شرعيتهما منذ سمحا بالاعتداء على الشرعية الام ، التي يستمدان منها الشرعية وهي شرعية البرنامج السياسي والنظام الاساسي .

ولقد ابلغنا هؤلاء الاخوة ، ان كثيراً من جلسات اللجنة المركزية انتهت بالفشل وبالخلافات لان البعض فيها ، اصر ـ وما يزال ـ على

رفض لائحة داخلية للجنتكم المركزية تضبط اعمالها ونشاطاتها ، كما ينص النظام الاساسي ، مما ادى الى التسيب والفوضى والانفلاش ، والى ما نجم عنها من انتكاسات وتراجعات افقدت اللجنة المركزية كل قدرة لديها للقيام بواجباتها ومسؤولياتها . وسمحت ـ كنتيجة حتمية لالغاء دور اللجنة المركزية والمجلس الثوري ـ بتفرد فرد يساعده افراد في اتخاذ قرارات خطيرة ومصيرية تمس امن قضيتنا ، وتهدر نضالات شعبنا ، وتقوض قوانين الصراع مع العدو .

ولم يفاجأ هؤلاء الاخوة ، حين ابلغناهم بان لا اللجنة المركزية ولا المجلس الثوري وافق على مشروع فهد (قرارات فاس) ولا على الدخول في حوار مع النظام الاردني على ارضية مشروعه الرامي الى تطبيق مشروع ريغن ، ولا على اقامة علاقات مع نظام حسني مبارك ولا على مقابلة الصهاينة سراً وعلناً ، ولا على بقاء قواتنا مشتتة ، ولا على وجود قيادات الحركة تتنقل بين المنافي . ولم يعترض هؤلاء الاخوة على حكمنا بان اللجنة المركزية والمجلس الثوري ، اللذين اكتفيا ـ كاطر ـ بالحصول على علم وخبر بكل هذه المواقف والقرارات الخطيرة ، اعجز من الوقوف في وجه القرارات الانشقاقية والانقلابية الاخيرة والتي جاءت استكمالاً لما اتخذ من قرارات سياسية خطيرة .

ولقد شرحنا لهؤلاء الاخوة ان ما ذكر عن موقف اللجنة المركزية من مشروع الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني والذي جاء على اساس مشروع ريغن ، وعلق التوقيع عليه في اخر لحظة انما كان لان المنفردين بالقرار احسوا بان المعطيات السياسية والعسكرية عربياً وفلسطينياً ،

وخاصة في فتح ، لا تسمح باتخاذ خطوة على هذا القدر من الخطورة ، وليس لان اللجنة المركزية تملك دوراً مؤثراً في الاحداث ، اذ لو كانت المعطيات تسمح بتنفيذ الاتفاق ، لتم التوقيع كما جرت العادة ، ووضعت اللجنة المركزية تحت الامر الواقع . وهذا هو الذي دفع الرئيس ريغن الى تهديد حملة البنادق المعرقلين لمخططاته ، وانه لن يسمح للراديكاليين الفلسطينيين بتخريب مساعي (السلام) الاميركية .

وشرحنا لكل الاخوة الابعاد السياسية الخطيرة للقرارات التي اتخذت وانها اضافة لكونها تشق (فتح) وتصفي قواتها (العاصفة) وتشكل انقلاباً عسكرياً وتنظيمياً ، وتسمح باستفراد فئة معينة بقوات الثورة دون جميع الفصائل ، تشكل البداية التي لا بد منها لفرض موقف سياسي معين في «فتح » تمهيداً لفرضه على كل الساحة الفلسطينية ، ولاضعاف الموقف العربي الوطني المناهض للمخططات الاميركية ضد قضيتنا الفلسطينية ووطننا العربي لذلك ، وانسجاماً مع فهمنا لتأثير اللجنة المركزية والمجلس الثوري ، لم يبق امامنا غير اللجوء الى الاسلوب الذي اتبعناه من اجل تصحيح مسيرة الثورة على كافة الصعد ، وهو اسلوب مشروع وصحيح حين يصر البعض على الامعان في فرض ما يريدون على حركتنا وثورتنا وقضيتنا خروجاً على نظامنا الاساسي وبرنامجنا السياسي والغاء لدور مؤسساتنا ومنظماتنا القيادية وخلافاً لكل ما هو مشروع وصحيح .

اخي يا ابن فتح

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة .

ان الذين فزعوا من حجم الالتفاف والتأييد الذي اظهره ابناء الحركة للاسلوب الذي اتبعناه وللاهداف النبيلة التي دفعتنا لوقف الانحراف في حركتنا والسعي لتصحيح الاوضاع فيها ، يلجأون ، بدلاً من التراجع عن اخطائهم الى نشر اشاعات واباطيل تعكس مدى الرعب الذي اصابهم نتيجة الالتفاف والتأييد لموقفنا فاخذوا يسربون للاذاعات والصحف ان الامور قد سويت وانتهت ، وان هذا القائد او ذاك من الاخوة الذين قادوا تحركنا ، قد اعلن انه يرغب في العودة عن دوره ، وان هناك انسحابات وتراجعات من المناضلين الثوريين عن موقفهم ، وذلك لتغطية الحقيقة التي فاجأتهم وهي ان احداً من الثوار الحقيقيين لم يبد استعداده للوقوف الى جانبهم وتحمل مسؤولية اخطائهم ، وارتفعت اصوات ثوار العاصفة ترفض الانصياع لاوامرهم ، وتعلن تأييدها للمطالب التي اعلناها بوصفها مطالب كل ابناء الحركة ، مما احبط اية محاولة لاسالة الدم الفلسطيني ، وللاساءة الى تحركنا .

ان الحقيقة التي يحاول اخفائها الذين ارتكبوا كل المخالفات والخطايا هي ان موقفنا يزداد وضوحاً امام ابناء الحركة ، ويزداد تأييدهم له والتفافهم حوله . فاخذوا يشيعون اتهامات واضاليل حول ارتباط تحركنا بهذا الطرف او ذاك او ان تحركنا لا ينبع من موقف فتحوي اصيل طالما قمعوه باسم الشرعية .

ان القيادة العامة لقوات العاصفة ، معنية بان توضح لكافة

الاخوة في الوحدات والاقاليم والاجهزة ، ان طلقة واحدة لم تطلق رغم مرور ستة ايام على تحركنا ، واننا من منطلق الحرص على كل نقطة دم ، سنلتزم بعدم اطلاق النار مهما كانت الاسباب .

اخي يا ابن فتح

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة .

اننا نناضل من اجل صون وحدة فتح ، تنظيمياً على اساس النظام الاساسي وسياسياً على اساس البرنامج السياسي . وفي سبيل هذا الهدف نعلن :-

ان تحركنا يشكل بداية صحيحة لفرض ارادة القاعدة الثورية المنظمة عبر مؤتمر طارىء يعقد باسرع وقت من اجل تخليص حركتنا من الواقع الفاسد الذي نعلمه جميعنا ، والذي تعاني منه الحركة ، والذي سمح للذين اندسوا على حركتنا ان يعملوا فيها هدماً وافساداً وتمزيقاً.

- ان تحركنا يستهدف ان تكون حركتنا هي التنظيم القائد لا ان تكون تنظيم القائد .

- ان تحركنا يستهدف تطبيق المركزية الديمقراطية ، حسب نظامنا الاساسي ، وخاصة القيادة الجماعية .

- ان تحركنا يستهدف ان تكون قرارات المؤتمر العام هي الخط السياسي للحركة وهي وحدها الجديرة بالاحترام والتطبيق .

- ان تحركنا يستهدف اسقاط القاعدة التي تجعل المتحكم في قرار صرف المال هو المتحكم في القرار .

- ان تحركنا يستهدف صيانة القرار الوطني الفلسطيني المستقل

لان حركة قوية متماسكة مقاتلة تسير على خط سياسي واضح هي التي تستطيع ان تصون استقلالية قرارها ، بينما لا تستطيع حركة ضعيفة متفككة يحكمها فرد او افراد دون التزام بخط سياسي ، ان تصمد في وجه الوصاية او التبعية او الاحتواء .

- ان تحركنا يستهدف رد الاعتبار للفدائي الذي كان رمزاً لكل ما هو مشرق ومفرح ونبيل ، والذي طمس نضالاته وتضحياته وعذاباته ، اولئك الذين نصبوا قادة عليه رغماً عن اراد ته ، فكان همهم التهريب والمضاربة وتجارة الذهب والفضة .

- ان تحركنا يستهدف الوفاء لتضحيات جماهيرنا لكي يشكل الرافعة المطلوبة لمعنوياتها ولكي تستأنف الثورة الشعبية المسلحة طريقاً وحيداً حتمياً للتحرير .

اخي يا ابن فتح ،

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة .

ان مهمتكم اليوم ان تحموا ثورتكم ، وان تشدوا قبضاتكم على بنادقكم وان تقفوا الى جانب القوى الوطنية اللبنانية المناضلة التي قررت ان تصعد نضالها لاحباط اتفاق العار الذي عقد مع العدو الصهيوني ، انها ساعة الانتفاضة في وجه التراخي والتفريط. . . انها ساعة الثورة .

- لترتفع بنادقنا موحدة مع البنادق الوطنية الفلسطينية والعربية لمقاتلة العدو الصهيوني الامبريالي .

- لتتعزز ثقتنا بعدالة قضيتنا وبحتمية انتصارنا .

ـ ولترتفع اصواتنا عالية : ثورة . . . ثورة حتى النصر !»

« القيادة العامة لقوات العاصفة »

هكذا سجل المنتفضون وجهة نظرهم وموقفهم بوضوح تام وجرأة متناهية ، ولما يمضي على انتفاضتهم سوى ستة ايام فقط ! . .

ان حديث التعميم الثاني عن رد الاعتبار للجنة المركزية والمجلس الثوري ينبغي فهمه على انه رد اعتبار لموقعيهما القياديين ، وليس للاشخاص الذين يشغلونهما حالياً ، فهؤلاء عاجزون عن ان يلعبوا الدور المطلوب منهم ان ينهضوا به . أن اللجنة المركزية التي تسمح « للبعض » بان يعتدي على صلاحياتها ، لا يمكن ان تنهض بمسؤوليات مركز حساس كمركز قيادة ثورة يفترض فيها متابعة الحرب حتى تحرير فلسطين من اشرس انواع الاستعمار واخطرها ! . .

لقد سبق وعارضت نظرة التبسيط هذه ، التي تبرر عجز القيادة بذريعة هيمنة الفرد . علماً بان هذه النظرة تتناقض ، مع المنطق الذي يبرر به المنتفضون « تمردهم » والذي يشترط لقبول ياسر عرفات رئيساً للحركة ، وقائداً للثورة ، تراجعه عن نهج التسوية وعودته لنهج الثورة حتى تحرير فلسطين واقامة الدولة الديمقراطية على انقاض الكيان الصهيوني ، كي يتساوى في ظلها الافراد المواطنون بالحقوق والواجبات بغض النظر عن دينهم وجنسهم ولونهم ! . .

ان شرط تراجع عرفات ـ على افتراض تحققه ـ سيكون مجرد خطوة الى الوراء من اجل التقدم خطوتين الى الامام ، يخطوهما القائد العام للثورة : خطوة يتراجع فيها امام ضغط الانتفاضة ، بغية تجاوز الازمة ، وخطوة ثانية يوظف في سبيلها كل ثقله وخبرته التي يتحدثون

عنها في كيفية سلب القيادة الجديدة صلاحياتها ، لتعود الحركة والثورة بعدهما الى الدوامة ذاتها ! . .

وإذن فان تحميل ابي عمار مسؤولية الاعتداء على صلاحيات اللجنة المركزية والمجلس الثوري ، ينطوي على تبرير لعجز القيادة . اما اذا كان المقصود بتراجع ابي عمار شرطا جديا ، وليس مجرد ستار لتسوية للازمة ، فلا بد ان ينطبق على كافة اعضاء القيادة وليس على رئيس الحركة وحده ، لكي تشكل عناصر القيادة الجديدة ضمانة لمنع رئيس الحركة من احلال القيادة الفردية محل القيادة الجماعية ! . .

ان ربط عملية تصحيح اوضاع الحركة والثورة ، بالتأكيد على التراجع عن نهج التسوية والاستمرار بالثورة ، وعلى ممارسة القيادة لصلاحياتها وعدم خضوعها لاملاءات الافراد فيها ، مهما كانت مراكزهم . . . ان التأكيد على هذا الشرط يفقد تبرير عجز القيادة ، بذريعة هيمنة الفرد ، منطقيته، لان قوة القيادة الجديدة ، التي سينتخبها المؤتمر ، تتمثل بنهجها السياسي الرافض للتسوية المطروحة . ولدى تجريد اية قيادة من سلاح المنهج الثوري ، فسيكون مصيرها مرهوناً بارادة الفرد ، وسيكون دورها مرتبطاً به ، كما هو حال القيادة الحالية تماماً ، بغض النظر عن الافراد الذين تتكون منهم . ان قائداً كابي عمار ، لا يمكن ضبطه بدون قيد الالتزام بالمنهج الثوري المتعارض مع التسوية والداعي لاستمرار الثورة حتى تحرير فلسطين ! . .

ان التزام منهج فكري وسياسي ، لا يتم اعتباطاً من قبل المناضلين عامة والثوريين على وجه الخصوص . وعندما يستبدل المناضل الثوري منهجه ، بعد مضي سنوات على قيام الثورة ، فانما يعبر

بعملية الاستبدال هذه عن تغيير في قناعته التي قادته لسلوك طريق الثورة . وفحوى التغيير وجوهره ، يتمثلان بقناعته الجديدة التي يكتسبها من خلال التجربة الكفاحية الملموسة التي خاضها ، والتي تضعه امام خيارين : التضحية في سبيل القضية ، او التضحية بالقضية في سبيل الحفاظ على السلامة الشخصية وقطف بعض المكاسب الرخيصة التي تعتبر ثمن مجزي لتنازله عن الثورة والقضية في آن معاً ! . .

ان القيادات الفلسطينية الموافقة على التسوية والمقتنعة بمفهوم الدولة الفلسطينية القائم على الاعتراف المتبادل قد وافقت على استبدال هوية الثورة التي اكتسبتها بهوية الدولة التي تسعى لتحقيقها . ولذلك ، فان أبا عمار واي قائد يحل محله سيكرر سياسته الراهنة طالما انه يكرس تضحيات الشعب الفلسطيني من اجل كسب الجزء مقابل التخلي عن الكل . ان التعويل على كسب الولايات المتحدة سياسة رجعية ، وعلى من يتبعها ان يرتمي باحضان الامبريالية ويقبل بما تمن به عليه ! . .

ان التبرير الوحيد،لهذا التناقض، بمنطق المنتفضين يتمثل باعتبار موقفهم من ابي عمار والقيادة الدائرة بفلكه ، تكتيكاً يستهدف استدراجهم لقاعة المؤتمر كي يقعوا بقبضة الاغلبية القاعدية الرافضة لنهج التسوية المطروحة،اولاً ويستهدف كسب الوقت لاستمالة العناصر الليبرالية الوسطية المتذبذبة ، ثانياً ، وبدون هذا الاعتبار ، فان قيادة الانتفاضة بحاجة لان تراجع نظرتها ، وتحررها من اوهام عقد الامال على « القيادة المظلومة » و « القائد الآيب لخط الثورة » .

ويجلب انتباهنا ، في هذا التعميم والتعاميم الاخرى التي

اصدرها « المتمردون » انهم يوقعونها باسم : « القيادة العامة لقوات العاصفة » ، وبهذه التسمية انتزعوا موقعاً من مواقع الحركة التنظيمية الهامة ، انتزاعاً يتناسب مع طبيعة انتفاضتهم وكونها رداً على الانحراف عن استمرار القتال ضد العدو الصهيوني . علاوة على ان احداً لا يستطيع ان يستكثر عليهم النطق باسم قوات العاصفة ، طالما انهم مقاتلون مشهود لهم ، من جهة ، وطالما ان حركتهم وقعت في مواقع خطوط التماس مع العدو الصهيوني ، من جهة أخرى ! . .

ان وضع القيادة العامة لقوات العاصفة ، في مواجهة القيادة السياسية للحركة له مغزى كبير ، اذ سيتكفل استمرار الانتفاضة باظهارهم في الموقع القتالي، واظهار « فتح » القيادة الراهنة في الموقع المساوم على القضية والقتال في سبيلها ! . .

ونلحظ في هذا التعميم والتعميم الذي سبقه ، انهم يعتبرون القرارات التي اصدرها القائد العام ، بنقلهم من المراكز التي يشغلونها ، انقلاباً في حركة « فتح » واخلالاً بالتوازن بين التيار الديمقراطي الذي يمثلونه وبين التيار اليميني الذي يصفون عناصره البارزة بـ « المنحرفين والمهزومين والمطلوبين للمحاكمة » ! . .

ولكنهم مع ذلك ، يطالبون بالحل الديمقراطي الذي يعني فيما يعني استمرار التعايش بين التيارين ، على الاساس الذي يرسمه المؤتمر ، وقولهم : « ان طلقة واحدة لم تطلق رغم مرور ستة ايام على تحركنا » ، يعبر عن اعتدادهم بسلمية انتفاضتهم من جهة ، ويكشف للعيان يقينهم بامكانية حسم الازمة وفق الحل الديمقراطي والاحتكام للمؤتمر العام ، الذي يطالبون بعقد دورة طارئة له ، من جهة ثانية . كما

ان اصرارهم على صون وحدة « فتح » يشير الى ذات الهدف ، اي تمسكهم بالحل الديمقراطي ، دون اسقاط لأحتمال استخدام العنف ، لان عدم استجابة القيادة لطلبهم ، يفسح المجال امام اللجوء الى العنف المسلح من جهة ثالثة ! ..

هكذا خطت الانتفاضة خطوتها الجريئة الاولى بتكريس نفسها باعتبارها واقعاً قائماً . ولم يكن صدور هذا التعميم في يوم انعقاد اجتماع اللجنة المركزية ، صدفة عابرة . ومن الصواب ، ان نربط توقيت صدوره بوقت الاجتماع لكي يضعوا قيادة الحركة امام وجهة نظرهم ، ويقطعوا الطريق على التستر وراء ادعاء الجهل بواقع الامر ، اولاً ، ويضعوا اللجنة امام مسؤوليتها ويضغطوا عليها لتمارس صلاحياتها وتسترد دورها ثانياً ، بيد ان القيادة بدلاً من ان تستغل الظرف الذي وفرته لها الانتفاضة ، راحت تبدي استغرابها للخرق التنظيمي الذي ارتكبه « المتمردون » وتصفهم بالتآمر على « حركتنا وثورتنا » مما دفع المنتفضين الى متابعة اصدار البيانات والرد على عنف اليمين بعنف رادع ! ..

تصعيد في اللهجة وتوسع في المطالب

هكذا حل التصعيد محل التهدئة ، والتفاقم محل الوفاق والتفاهم . وبعد مضي اثني عشر يوما ، صدر التعميم الثالث في العشرين من ايار ، ليؤكد على ما ورد بالتعميمين : الاول والثاني ويضيف تفنيداً جديداً لحجج القيادة واتهاماتها لهم ، ويدلل على التزامهم : « انطلاقاً من الشعور الكامل بالمسؤولية بعدم اللجوء الى

وسائل الاعلام ، واكتفينا بمخاطبة الوحدات والاجهزة والاقاليم ، عبر تعاميم داخلية تشرح موقفنا وتوضح اهدافنا ، وتحبط الاغراض التي سعى اليها البعض دون شعور بالمسؤولية ، والتي استهدفت الاساءة الى تحركنا ، عبر تصويره بانه مرتبط بتلك الدولة او ذاك التنظيم ، أو عبر تصويره بأنه يقتصر على هذه الفئة او تلك من ابناء « فتح » .

واعلنا مطالبنا ، واوضحنا ان انعقاد مؤتمر عام طارىء يدرس اوضاع الحركة ويضع الحلول الجذرية لمشاكلها ، يمكن ان يكون طريقاً حقيقية لفرض ارادة القاعدة ووضع الامور في نصابها واستمعنا الى كافة الاخوة الذين تحركوا لايجاد مخرج للازمة والذين ثمنوا دعوتنا لعقد مؤتمر عام طارىء ، وروح المسؤولية العالية التي حكمت تحركنا ، كما رفضوا المزاعم التي تشير الى ان المسألة قد سويت ، او ان بضع عشرات فقط ، يقومون بها ، ووافقونا على ان مثل هذه المزاعم تكشف النوايا الحقيقية لاصحابها ، والطريقة التي سيلجأون اليها لمعالجة الازمة » .

ثم يستطرد قائلا :

« وفي يوم ١٨/ ٥/ ١٩٨٣ ، صدر تعميم عن مقر القائد العام الى الجميع ، يثبت صعوبة المأزق الذي يعاني منه كاتبو التعميم والذي جاء بمثابة رفض صريح لفكرة عقد المؤتمر العام الطارىء كسبيل للخروج من الازمة ، وحاول تصغير تحركنا بعد ان شتم بعض الاخوة المشاركين فيه بالاسم وباسلوب متدن ، كما حاول بطريقة تدعو للشفقة ان يقول بان تحركنا يأتي في خدمة مدير اذاعة لندن الصهيوني ، وانه يأتي في سياق حملة تشنها الولايات المتحدة على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وربط تحركنا باحدى الدول العربية ، وباحدى التنظيمات الفلسطينية وشتم

قياداتها بنفس الاسلوب المتدني .

ولان كل من في « فتح » يعلم من نحن ، ويعلم في نفس الوقت من هم الذين يراهن عليهم من يحاول تشويه اهدافنا ، فاننا لن نرد بنفس الاسلوب ، وانما سنرد من خلال تصعيد نضالنا من اجل ان تبقى « فتح » حركة الشعب الفلسطيني القادرة على تطهير صفوفها وتجديد ثورتنا وعلى لفظ كل الفاسدين والمشبوهين من داخلها ، وبالشكل الذي يثبت اننا امناء على تأدية واجبنا في تصحيح اوضاع « فتح » كخطوة اساسية لا بد منها لتصحيح الاوضاع في الساحة الفلسطينية كلها وكمقدمة لتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها الراهنة .

والقيادة العامة لقوات العاصفة ، معنية بان توضح أن الذين يتوجب عليهم الاستجابة الى طلبات قاعدة « فتح » - قوات وتنظيم - يخطئون اذا اصروا على عدم الاستجابة الى طلباتنا ، او استعاضوا عن تلبية المطالب بتوجيه الاتهامات واللجوء الى طرق ملتوية للتغلب على الازمة .

اخي يا ابن فتح ،

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة

انسجاماً مع الخطة الساذجة التي يعتقد اصحابها ان تصغير تحركنا وتشويه اهدافه هو المدخل الانسب لتطويق اثاره ولمنع القاعدة الفتحوية من النضال لفرض ارادتها ووقف الانحراف والتفرد ، اخذوا يزعمون ان ما دفعنا الى هذا التحرك هو خلاف على الصلاحيات او على المناصب ، متجاهلين الحقيقة الثورية الواضحة ، وهي ان التركيب البشري لتنظيم ما يحدد هوية هذا التنظيم ، وحقيقة اهدافه ، وان نوع

الاشخاص الذين يتسلمون مواقع مؤثرة ، وان كان يمثل عملاً تنظيمياً في الظاهر فانه ـ في حقيقته ـ يمثل عملاً ذا ابعاد سياسية هائلة التأثير ، فاذا كنا نريد تحقيق اهداف الثورة ، من خلال بناء التنظيم الثوري والقوات الثورية فاننا نكون صادقين حين نضع في المواقع المؤثرة من تثق القاعدة بأنهم قادرون على تحمل تبعات النضال القاسي على طريق التحرير والثورة ، اما اذا وضعنا في هذه المواقع من تعرف القاعدة انه سيوظف موقعه طريقا للثروة وليس طريقاً للثورة ، وانه سيستغل موقعه لايجاد مركز قوة خاص له ، عبر تقريب الازلام والاقارب والتابعين فاننا نكون غير مؤهلين للقيادة وغير امناء على اهداف الثورة وغير اوفياء لدماء الشهداء ، وفي حال الاصرار على بقائهم رغم رفض القاعدة لهم ، فان هذا يعني ان هناك اهدافاً اخرى لا علاقة لها باهداف الحركة المعلنة .

ولاننا ما زلنا نصر على ان يأخذ تحركنا الثوري ابعاده المعلنة ، ولاننا نريد ممن يعنيهم الامر ان يقلعوا عن اساليبهم الخاطئة ، التي تحاول تصغير تحركنا وتشويه اهدافنا والتقليل من شأن طلباتنا ، فاننا نجدد التأكيد على مطالبنا الستة الواردة في التعميم الاول ، ونضيف اليها المطالب التالية :ـ

١ ـ استدعاء قوات الثورة الموجودة في المنافي ، للعودة فوراً إلى ساحة الثورة ، وفوق ساحة المواجهة .

٢ ـ وضع خطة عسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ، تشرك قوات العاصفة بدورها الاساسي مع ما يستلزمه ذلك من حشد للامكانيات ومن توجهات جدية وتشكيلات .

٣ـ تشكيل لجنة ذات صلاحيات ، تشرف على اموال الحركة ،

وتوقف عمليات الافساد والتخريب المبرمجة ، في جسم الحركة ، عن طريق المال ، والتحقيق مع الذين اثروا على حساب الثورة والمقاتلين والشهداء .

٤ ـ الدعوة الى مؤتمر عام طارىء للحركة لايجاد الحلول المناسبة لكافة قضايا الحركة وعلى مختلف الصعد .

اخي يا ابن فتح

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة

اننا نعاهدكم على عدم التراجع عن مطالبنا ، التي نعرف انها مطالب كل ابناء «فتح» ، والتي لم يكن لنا من دور الا شرف ابرازها باسمكم ، ونعاهدكم على عدم الخضوع للمساومة والابتزاز ، حتى نحقق اهداف احتجاجنا المشروع ، باعتباره المقدمة الضرورية لاصلاح الاوضاع في « فتح » تمهيدا لاصلاح الاوضاع في الساحة الفلسطينية ، صعوداً بالثورة على طريق النصر . »

« وثورة حتى النصر » .

« القيادة العامة لقوات العاصفة »

هنا نطالع تأكيدا على ان المطالبة بعقد المؤتمر العام ، كانت مدفوعة بتقدير المخططين للانتفاضة ، لامكانية « ان يكون المؤتمر طريقا حقيقية لفرض ارادة القاعدة ووضع الامور في نصابها » ، مما يؤكد على انهم تجنبوا « اللجوء لوسائل الاعلام » ، واكتفوا بالتعاميم الداخلية ،لكي لا يفسدوا امكانية عقد المؤتمر العام ، ولكي يدللوا على رغبتهم في الحرص على وحدة « فتح » ، وانهم اضطروا للقيام بانتفاضتهم لكي ينتشلوا

« فتح » من مأزق الانحراف وينتشلوا الثورة معها . والى جانب ذلك نلحظ طموحاً فائق الحد في قولهم ان تصحيح اوضاع « فتح » يمثل « خطوة اساسية لا بد منها لتصحيح الاوضاع في الساحة الفلسطينية كلها ، ومقدمة لتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها الراهنة » ! . .

ان الامر الذي لا ريب فيه يتجلى في ان تصحيح اوضاع « فتح » من شأنه ان يصحح اوضاع الساحة الفلسطينية . بيد ان الأعراب عن قدرة الانتفاضة على ان تكون مقدمة لتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها الراهنة ، قد اثار دهشة واستغراباً تجاوزا صفوف القوى المناهضة للانتفاضة ، ليشملا بعض القوى المؤيدة ، التي رأت فيه جرأة في التعبير عن الطموح فائقة عن اللزوم ! . .

ان طابع العجلةالذي اتسم به الافصاح عما يدور باذهان قادة الانتفاضة ، واضح ، بيد ان حجم الدهشة والاستغراب ، كان فائقاً عن الحد ايضا ، مما يؤكد ، ليس على ضخامة الدور الذي بمقدور القوى الاصلاحية المستسلمة ان تلعبه في توجيه الانظار ، فحسب ، بل ويؤكد على ان القوى التي تعتبر نفسها ثورية ، تعاني من وطأة عملية قتل الطموح لدى جماهيرنا ، لدرجة يمكن معها ان تنغمر باجواء تسفيه المنطق الثوري والازدراء به ! . .

ان الاعتراف بطابع العجلة وبكون التعبير جاء سابقاً لاوانه ، لا يبرر حملة الاستهجان التي قوبل بها . ذلك ان التعبير عن الطموح بتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها ، طموح مشروع ، وحق لكل فصائل هذه الحركة ، بصورة عامة وللفصائل الفلسطينية على وجه

الخصوص . فاين التجاوز فيما جاء بالتعميم الثالث يا ترى ؟!. .

ان بقاء حركة التحرر العربية اسيرة ازمتها الراهنة يعني تكريس الاستسلام للهيمنة الامبريالية والاغتصاب الصهيوني . ولذلك فأن مهمة القوى الصدامية الثورية ان تكسر شوكة الحالة الراهنة ، كسراً تمثل انتفاضة قاعدة « فتح » واية انتفاضة او مواقف اخرى رافضة للهزيمة ومقاومة للاستسلام ، مقدمات ضرورية له ! . .

ان الذين انتقدوا قادة الانتفاضة ، قد خلطوا بين حق الانتفاضة في التعبير عن طموحها الثوري ، وبين قدرتها على ترجمة طموحها الى فعل ملموس على ارض الواقع العربي ! . .

انني لا ادافع عن الانتفاضة ، وانما ادافع عن حق المناضلين الثوريين بالتعبير عن طموحهم بصراحة ، وبدون التقيد بالقدرة على نقله من صعيد القول المجرد الى واقع الفعل الملموس والمؤكد. لاننا بدون الافصاح عما نعتقد ونؤمن به ، نجعل من عملنا كله ممارسة تكتيكية عملية غير مفهومة من قبل الجماهير ! . .

ان التبشير بطموحنا ، مسألة على غاية الاهمية لكي نتميز عن القوى الاصلاحية ونفند ازدراءها بالمنطق الثوري . وحين نردد ان لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، علينا ان نفهم ان النظرية الثورية لاتستطيع لعب دورها في توجيه الجماهير وتعبئتها ، ما لم تكن واضحة ومفهومة . ولست اتصور طريقة لجعل مفاهيمنا واضحة ومفهومة غير التبشير بصوت عال ونشر العقيدة علنا وبدون تردد او خشية ! . .

قطعاً ، انني لا اعني الاكتفاء بالقول المجرد والتبشير اللفظي بالمفاهيم،والعزوف عن الترجمة العملية الملموسة التي يتحول التبشير

بالعقيدة ، بدونها ، الى مجرد ثرثرة ولغو قد يعجب السامعين لاول وهلة ، بيد انه (التبشير) سيعجز عن الاقناع والتحول الى قوة مادية تملأ الاذهان وتحركها ، نحو الهدف ، اذا ما اتضح عجز المبشرين به والداعين اليه عن تعزيزه والتأكيد على صحته بالممارسة العملية . ومن ينتفض بوجه القيادة التي ارهبت الجميع وجندت قوى فلسطينية وعربية وعالمية ضارية لخدمة انحرافها عن الثورة ، أليس جديراً بالتبشير بطموحه بتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها الراهنة ، طالما انه يوظف انتفاضته وجهده النضالي في خدمة القوى الداعية لاستمرار الفعل الثوري والمجابهة الصدامية مع اعداء امتنا العربية المجيدة ؟

دعونا نطالع قول التعميم الثالث الذي يعتبر الانتفاضة « مقدمة لتخليص حركة التحرر العربية من ازمتها الراهنة » ، مطالعة مقرونة بطبيعة الحدث الذي صنعته الانتفاضة ، وبتطوراته اللاحقة ، التي عكست الفعل وردة الفعل ، على الساحات الفلسطينية واللبنانية والعربية ، لكي نتمكن من الحكم عليه ، او نسلم بوجاهته وشرعيته :

سأكتفي بطرح الاسئلة التالية ، لاترك للصفحات المتبقية مهمة الافاضة بطبيعة الحدث وظروف نشوئه :

- ألم تنقسم المنظمات الفلسطينية على نفسها من جراء قيام الانتفاضة ؟

- ألم ترتبك القيادات الفلسطينية الملتزمة بنهج التسوية ، بصورة عامة وقيادة منظمة التحرير على وجه الخصوص من جراء قيام الانتفاضة ؟

- ألم يرتفع صوت التحدي المقرون بالفعل الثوري للقيادات

المساومة والمهزومة ، من جراء قيام الانتفاضة ؟

- ألم تجد المعارضة لاتفاق الحاق لبنان بإسرائيل موقفاً جدياً لمقاتلة المدافعين عنه ، بفضل قيام الانتفاضة ؟ .

قد تشيرون الى وقوف الاحزاب الشيوعية العربية ، وبعض فصائل المقاومة الفلسطينية والعديد من اطراف ما يسمى بحركة التحرر العربية ، ضد الانتفاضة بحجة عدم ملاءمة الوقت ، ولكن اشارة كهذه لن تكون الا لصالح الانتفاضة وليست ضدها . اذ يكفيها انها بثت الرعب في نفوس دعاة « ازالة اثار العدوان » على اساس الاعتراف المتبادل و « السلام العادل والدائم » مع الصهيونية والامبريالية ! . .

لولا الانتفاضة ، ولولا العنف الذي تحلت به لما جابت الوفود مواقع التأثير من اجل الضغط على قاعدة « فتح » وارهابها والحيلولة دون نجاحها ولولا الانتفاضة ، لانتزع ملك الاردن حق المفاوضة باسم الفلسطينيين . ولولا الانتفاضة ، لما انشغل الرئيس حافظ الاسد باستقبال الوفود للضغط عليه كي يسخر قوات الجيش العربي السوري الموجودة في البقاع للمساعدة على تصفية الانتفاضة ! . .

ان ما يحدث في « فتح » ينعكس على الساحة الفلسطينية برمتها ، وما تتأثر به الساحة الفلسطينية تتأثر به الساحة العربية ايضاً . وما يحدث في الساحتين الفلسطينية والعربية يتفاعل مع قوى الثورة العالمية وينعكس سلباً على الامبريالية والصهيونية والرجعية . ولست اتصور قول الانتفاضة سوى انه التزام ثوري بصنع المثال لكيفية ردع الانحراف ومجابهة قوى الاستسلام والخنوع ، ودعوة جريئة لكل

الفصائل والعناصر الثورية لان تلتحم مع الانتفاضة وتسهم بصنع المثال الرادع لاعداء امتنا العربية ، وعزل العاجزين عن متابعة الكفاح الثوري عن مواقع الفعل والتأثير لكي تجدد حركة التحرر العربية نفسها وتعاود صعودها .

ان الطموح الذي عكسته هذه العبارة ، يدل على وعي قيادة الانتفاضة للترابط بين « فتح » التي هي الثورة ، وبين ما هو قائم على الساحة الفلسطينية من جهة ، وبين الساحتين الفلسطينية والعربية ، من جهة اخرى ، وهذا النمط من الوعي يعكس نظرة قومية عربية سليمة ، تحتم على الرافضن للاستسلام دعمها وشد ازرها ، ومعاونتها على تخطي مصاعبها ! . .

واذن ، فإن الانتفاضة ، قد كشفت اوراقها ، كشفاً صعَّد لهجتها ووسع دائرة مطالبها . مما وضع قيادة «فتح» الرسمية ، امام مأزق لم تقدِّر حراجته لدى مواجهتها الاولى للانتفاضة ، فكيف تصرفت حيال تطورات موقف قاعدتها ، وما هي الاجراءات التي اتخذتها ، يا ترى ؟

قيادة تجتمع وتنفضّ . .
وقاعدة ترفض وتنتفض

لقد بقي الصراع ، ناشباً بين القائد العام ونائبه ، من جهة ، وبين الانتفاضة من جهة اخرى . وكان المتنفضون او المحتجون الثوريون ، كما كانوا يطلقون على انفسهم في الايام الاولى لانتفاضتهم ، يشيرون

الى اللجنة المركزية ، اشارة ترجع عجزها عن لعب دورها ، الى هيمنة القائد العام عليها وسلبها صلاحياتها . وكان الاكتفاء بهذا القدر لدى تناول موقف اللجنة المركزية ، ينطوي على تبرير غير واقعي . وما ان بلغت تطورات الصراع مرحلةالحسم وبادرت اللجنة المركزية لاتخاذ قراراتها التي تناولناها فيما سبق من صفحات هذه الدراسة ، حتى بادر المنتفضون الى مواجهتها ، بتعميم صدر في ٢٣/ ايار/ ١٩٨٣ ، عنيت التعميم الرابع الذي اعتبر اللجنة المركزية مجرد عدد من الاعضاء يشاركون القائد العام موقفه وخطوته المتمثلة بالقرارات الصادرة بحقهم والتي اعتبروها عملاً انشقاقياً وانقلاباً عسكرياً :

« ان الاجراءات التنظيمية والتشكيلات العسكرية التي صدرت ، تشكل انقلاباً تنظيمياً وعسكرياً في الحركة وتعبر عن نهج انشقاقي تمهد لترتيب الأوضاع في الحركة لتصبح اكثر انسجاما مع المشروع الامريكي الرامي الى تصفية قضية فلسطين واحكام القبضة الامبريالية الامريكية على عموم منطقتنا العربية .

فلقد اقدم عدد من اعضاء اللجنة المركزية يوم امس على اصدار بيان باسم اللجنة المركزية يعلنون فيه عن وضع عدد من الضباط المناضلين بامرة القائد العام اي احالتهم الى الاستيداع . وهم الضباط الذين يعرف كل المناضلين في حركتنا وفي الساحة الفلسطينية دورهم وصمودهم البطولي في بيروت والجنوب ، وهم الذين يسهمون الان في قيادة الاحتجاج الثوري على الاجراءات والتشكيلات الخاطئة والخطيرة التي صدرت مؤخرا ، وفي الدعوة الى اصلاح اوضاع الحركة وتطهير صفوفها من المنحرفين واللصوص والمشبوهين والمعتدين على تقاليد

الثورة والنضال ، والى تصويب مسارها السياسي ليكون منسجماً مع مبادىء « فتح » واهدافها واسلوب نضالها وبرنامجها السياسي .

اما ما ترافق مع هذه القرارات الجديدة من دعوة المجلس الثوري للانعقاد لمناقشة اوضاع الحركة ، وللتحضير لعقد مؤتمر عام فليست اكثر من محاولة للتغطية على القرارات الجديدة التي جاءت مكملة لسلسلة القرارات الانقسامية وتمعن في تسميم الاجواء داخل الحركة ، واحباط اي مسعى لعقد مؤتمر عام .

ان بعض اعضاء اللجنة المركزية ، بقراراتهم التي اصدروها ، يؤكدون رفضهم لأي حل للازمة ، ينسجم مع مصلحة الحركة والثورة ويمهدون لاتخاذ قرارات انشقاقية اشد خطورة ، ويقومون بحركة التفاف ساذجة تنسجم مع خطتهم الداعية الى تصغير تحركنا والرامية الى عزل هذا التحرك ومن ثم احتوائه وتصفيته بعد ان فشلوا في استعداء ثوار العاصفة بعضهم على بعض .

لقد عمد اصحاب هذا النهج الانشقاقي ، منذ الايام الاولى لاحتجاجنا،الى محاولة تصغير حجم تحركنا واغراقه بحملة واسعة من الاشاعات والافتراءات والاتهامات الباطلة ، ولكنهم كانوا يفاجأون ، كل يوم ، باتساع التأييد لتحركنا وبتعاظم التفاف ابناء « فتح » حولها ، فلم يجدوا امامهم الا ان يصدروا قراراتهم الجديدة ، مرفقة بانذار الى ثوار العاصفة بوضعهم تحت طائلة المسؤولية اذا اقدم احدهم على الاتصال باحد من الذين عبروا باحتجاجهم عن ضمير كل فتحوي مخلص .

ان الذين اصدروا القرارات الجديدة ، والانذار الذي ترافق

معها ، يقدمون برهاناً جديداً على نهجهم الانشقاقي من خلال احداث شرخ اخر في صفوف القوات والتنظيم ، باغلاق ابواب الاتصال والحوار بين ابناء حركة فتح ، ولا ينسون بعد ذلك ان يتغنوا بالحرص على وحدة الحركة وعلى الحوار الديمقراطي داخل صفوفها .

ان هذه القرارات تكشف بوضوح كامل المأزق الذي يتخبط فيه اصحاب النهج الانشقاقي ، كما تظهر خشيتهم من تواصل الوعي الثوري داخل حركتنا ، من خلال اصدار الاوامر بوقف اتصال الثوار بعضهم ببعض تحت طائلة المسؤولية التي طالما طالبناهم باستعمالها ضد المنحرفين والمشبوهين واللصوص والمعتدين على كرامة الجماهير .

ان من يمتلك الثقة بموقفه السياسي ، وبصحة قراراته واجراءاته لا يخشى ان يتصل الثوار ببعضهم ، وان يتحاوروا فيما بينهم من اجل ايجاد سبيل لخروج حركتهم من مأزق جاء نتيجة نهج خاطىء ، اما الذين لا يستطيعون الدفاع عن موقف خاطىء ، ويصرون على فرض قرارات لاقت المعارضة الشاملة ، فانهم يعمدون الى قمع الاتصال ، ويحولون دون استمرار الحوار الاخوي الديمقراطي ، لانهم يعلمون ان كل ابناء « فتح » وكل المناضلين في قوات « العاصفة » ايدوا تحركنا ورفضوا ادانة احتجاجنا الداوي ، وابدوا التعاطف الكبير مع المطالب العادلة التي تعبر عن ارادتهم ولكي يحولوا دون تضامن الجميع للاسهام في فرض ارادة القاعدة الثورية الفتحوية حفاظاً على وحدة الحركة ، واحباطاً للنهج الانشقاقي ، والقرارات الانقسامية التي جاءت منسجمة مع تعليمات الدوائر الرجعية في بعض البلدان العربية للتخلص من كل المناضلين الثوريين في الساحة الفلسطينية المعارضين للمشروع

الاميركي المعادي لثورتنا وقضيتنا .

اخي يا ابن فتح

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة .

ان التطورات الاخيرة ، وما شهدته حركتنا من قرارات جديدة تعيد الامور مرة ثانية الى جوهر المسألة السياسية والتنظيمية . ان لنهج الثورة والتحرير ادواته ورموزه كما ان لنهج المساومة والتفريط ادواته ورموزه . ان من يريد النضال من اجل تحرير فلسطين لا يقوم بتعيين المنهزمين والمنحرفين والمدانين قادة على قوات الثورة ، ولا يصر على بقاء هذه القوات مشتتة في الاقطار النائية ، بعيدة عن ساحة الثورة ، بعيدة عن جماهيرها التي استفرد بها الصهاينة والفاشيون وعملوا فيها قتلاً واذلالاً وانتقاماً . وان من يتحدث عن رفض الاتفاق الصهيوني اللبناني وعن احتمالات نشوب الحرب مع العدو لا يقوم بنقل عدد من خيرة ضباطنا وكوادرنا الى المنافي البعيدة ، ولا يحيل الى الاستيداع اولئك الذين اسهموا في صنع مأثرة البطولة والصمود في بيروت والجنوب .

ان هذا الاصرار الغريب على تنصيب اولئك الذين لفظهم شعبنا وادانهم كل عضو في « فتح » وكل مقاتل في « العاصفة » وكل مناضل في الساحة الفلسطينية لامر يدعو الى التساؤل والارتياب .

وردا على المحاولة التي تسعى لتضليل الاعضاء والجماهير من خلال الايحاء بان القرارات التي صدرت عن اللجنة المركزية تعني تراجعا عن القرارات السابقة وانها بداية ايجابية للخروج من المأزق ، فاننا نؤكد وبعد قراءة متأنية لبيان اللجنة المركزية انها لا تتضمن اية ايجابية لا تصريحاً ولا تلميحاً ، فتشكيل قيادة جبهة تشمل جميع قوات

الثورة الفلسطينية المتواجدة في لبنان وسوريا تعني مجرد استحداث تشكيل جديد دون الغاء اي قرار من القرارات القديمة ، فالعقيد ابو هاجم حسب تلك القرارات القديمة هو قائد الساحة اللبنانية ، وهذا لا يتعارض مع التشكيل الجديد . كما ان تعيين العميد ابو المعتصم قائداً لهذه الجبهة لا يحمل اي جديد اذ من قبيل تحصيل حاصل ان يكون العميد ابو المعتصم بوصفه نائباً لرئيس الاركان ، قائداً لكافة القوات سواء كانت موزعة على ساحات او جمعت في جبهة ، في حين يتضح للجميع ان وضع الاخوة الضباط الخمسة في امرة القائد العام يشكل تصعيداً للموقف وعزلاً لهم من مواقعهم .

اما الفقرة المتعلقة بالعقيد الحاج اسماعيل فقد جاءت خارج نصوص القرارات وهي تقول حرفياً « وقد اوصت اللجنة المركزية ان يوضع الاخ العقيد الحاج اسماعيل بامرة الاخ قائد الجبهة نائب رئيس الاركان » وهو كما نرى مجرد توصية ، قد يؤخذ بها وقد لا يؤخذ ولا تعني قراراً .

وعليه فان هذه القرارات لا تشتمل الا على تغييرات لا قيمة لها ، وتهدف الى امتصاص الابعاد السياسية والتنظيمية التي طرحها تحركنا الثوري وتصغير حجمها الى مجرد سلوك عسكري لا انضباطي ولا جذور له في اعماق تنظيمنا وثورتنا ومنظماتنا الجماهيرية .

ان السؤال الاساسي المطروح الان على كل المناضلين في حركتنا هو : كيف نحمي الثورة ؟ .

كما ان القضية المركزية المطروحة الان على جدول اعمال كل الفتحويين هي « فتح » حركتنا التي انطلقت لتكون رأس الحربة في

مواجهة العدو الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي والتي يراد لها ان تكون الجسر الذي يعبر فوقه المشروع الاميركي الرامي الى تصفية قضيتنا واحكام القبضة على وطننا والمتمثل في مشروع ريغن وقرارات فاس ومشروع الكونفدرالية ، وما رافق ذلك من اتصالات مع نظام مصر كامب ديفيد ، ومن لقاءات مع الصهاينة ودعوات للاعتراف بدولتهم .

هذا هو جوهر الصراع الدائر الان في حركتنا وعلى امتداد ساحة النضال الفلسطيني والعربي ، وهنا يتحدد بالضبط ، دور وموقع المناضلين والوطنيين المخلصين لقضية الشعب والثورة .

واذا كان اصحاب النهج الانشقاقي يتحملون ما اصاب حركتنا وثورتنا من مصائب وانتكاسات ، فان كافة ابناء فتح يتحملون في هذه الساعات الحاسمة شرف المسؤولية لانقاذ حركتنا وفرض ارادة قاعدتها للانطلاق بها مجدداً على هدى ومنطلقات « فتح » وبرنامجها السياسي وفاء لفلسطين ، وللشهداء ، ومن اجل شرف ومجد امتنا العربية .

اخي يا ابن فتح

ايها الاخوة المناضلون في قوات العاصفة

امام حملة التضليل والتشويه ، وفي مواجهة خطة العزل والتصغير التي اعتمدها البعض لمواجهة احتجاجكم الداوي ، تعلن القيادة العامة لقوات العاصفة :

١ ـ ان العقيد ابو موسى ، والعقيد ابو مجدي ، والمقدم ابو رعد ، والمقدم زياد الصغير ، والرائد ابو عيسى ، باقون في مواقعهم الثورية ، ومستمرون مع باقي اخوانهم من الضباط والمناضليين الثوريين ، في قيادة التحرك الثوري من اجل تصحيح مسار الثورة ، ومنع استمرار

الانحـراف فيهـا ، ومـن اجـل تصـعيد الكفـاح المسلـح ضد العــدو الصهيوني .

٢ ـ ان تحركنا الثوري باق ومستمر حتى تتحقق كافة المطالب من اجل حشد الامكانيات الكاملة لافشال مشروع ريغان وكل المشاريع المشبوهة المكملة له . ومن اجل المساهمة في منع انضمام النظام الاردني الى مفاوضات الخيانة مع العدو ، ولمنع مشاركة فلسطينيين مع النظـام الاردني في هذه المفاوضات ، كما يريد البعض في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ـ ان تحركنـا الثـوري باق ومستمــر حتــى نزيل العوائــق والعقبات التي تمنع اقامة جبهة وطنية فلسطينية حقيقية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية ، تتلاحم مع القـوى الـوطنية اللبنـانية في نضالهـا لتحويل البقاع والشمال الى قاعدة للنضـال الوطنـي اللبنانـي كخطـوة اساسية لدحر الاحتلال الصهيوني للبنان واحباط اتفاق العار اللبناني ـ الصهيوني .

وعهداً للثوار ان يستمر النضال دون تراجع او هوادة حتى يعود الى « فتح » وجهها الثوري وحتى تظل طليعة الثورة والكفاح المسلح من اجل تحرير فلسطين » .

طالعنا في هذه الصفحات اهم ما جاء في التعميم الرابع .

ان الامر الذي لا ريب فيه ، يتجلى بكون قرارات القائد العام واللجنة المركزية ، بل والسياسة العامة التي سلكها القائد العام وقيادة « فتح » ، مخالفة لنصوص البرنامج السياسي للحـركة ومتعارضـة مع

البـدهيات التـي نص عليهـا . فالـولايات المتحــدة الامــيركية، بنظر البرنامج السياسي، متحالفةمع الصهيونية وتحاول «القضـاء على ثورتنا المسلحة سياسياً وعسكرياً»، والتسوية مشروع اميركي «يكتسب في كل فترة ثوباً جديداً يحقق اهدافاً تكتيكية في تمزيق حركة التحرر العربية وقوى الصمود فيها والهائها عن المواجهة . ولذلك فان المؤتمـر الرابـع لحركة « فتح » يعلن ان مقاومة هذه المشاريع هي مهمة ثورية لكافة فصائل حركة التحرر العربية وقواها الوطنية وقوى الصمود فيها . كما يقرر ان يحكم هذا التوجه كل خطوات الحركة المقبلة » .

وتحت عنوان : « معسكر الاعداء » يقول البرنامج :

« تقف الولايات المتحدة الأميركية على رأس معسكر اعداء شعبنا وامتنا كونها تنتهج سياسة معادية لشعبنا وثورتنا وامتنا العـربية ولكافـة قوى التحـرر العـربية والعـالمية وتدعـم الـكيان الصهيونـي وعملائها في المنطقة وتقيم احلافـا عسـكرية هدفهـا اخضـاع المنطقـة لنفوذها عسكرياً من اجل الحفاظ على نهب ثرواتنا ولـذلك لا بد من تعزيز الجبهة العالمية ، المعادية للسياسة الاميركية وخوض المعارك ضد هذه السياسة واسقاطها وضرب مصالح امريكا في المنطقة » .

اما اهداف حركة « فتح » ، فيحددها البرنامج بقوله :

«ان حركة فتح هي حركة وطنية ثورية مستقلة وهدفهـا تحـرير فلسطين تحريراً كاملاً وتصـفية الـكيان الصهيونـي اقتصـادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً وفكرياً .

واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية على كامل التـراب الفلسطينـي تحفظ لجميع المواطنين فيها حقوقهم الشرعية على اساس العدل والمساواة

دون تمييز بسبب العنصر او الدين او العقيدة ، وتكون القدس عاصمة لها ويسود في هذه الدولة المجتمع الديمقراطي التقدمي الذي يضمن حقوق الانسان ويكفل الحريات العامة لكافة المواطنين . ويتمكن من المشاركة الفعالة في تحقيق اهداف الامة العربية في تحرير اقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد .

ان معركة تحرير فلسطين هي جزء من النضال القومي المشترك ، ولهذا فان واجب الامة العربية ان تدعم هذه المعركة بكافة امكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية والتحرير هو واجب عربي وديني وانساني ، لهذا فاننا نعتبر ان المشاريع والاتفاقيات والقرارات التي صدرت او تصدر عن هيئة الامم المتحدة او مجموعة الدول او اي دولة منفردة بشأن فلسطين والتي تهدر حق الشعب الفلسطيني بكامل ترابه الوطني هي باطلة ومرفوضة » .

والطريقة التي ينبغي اتباعها لتحقيق هذه الأهداف :

« ان اسلوبنا لتحقيق اهدافنا هو الثورة الشعبية المسلحة كونها الطريق الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين وان الكفاح المسلح هو استراتيجية وليس تكتيكاً ، والثورة المسلحة للشعب العربي الفلسطيني عامل حاسم في معركة التحرير وتصفية الوجود الصهيوني ، ولن يتوقف هذا الكفاح الا بالقضاء على الكيان الصهيوني وتحرير فلسطين ، ونعتمد في كفاحنا على الشعب العربي الفلسطيني كطليعة واساس وعلى الامة العربية كشريك في المعركة والمصير . لهذا فنحن نسعى للقاء كل القوى الوطنية العاملة على ارض المعركة من خلال النضال المسلح لتحقيق الوحدة الوطنية والى تحقيق التلاحم الفعلي بين الامة العربية

والشعب العربي الفلسطيني باشراك الجماهير العربية في المعركة من خلال جبهة عربية موحدة » .

والعلاقة مع الدول على الصعيدين العربي والعالمي ، تنظمها وتضبطها الاعتبارات التالية :

« ان علاقاتنا مع الدول العربية تهدف الى تطوير الجوانب الايجابية في مواقف هذه الدول بشرط الا يتأثر بذلك امن الكفاح المسلح واستمرار تصاعده ، ونحن لا نتدخل في الشؤون المحلية لهذه الدول ولا نسمح لاحد بالتدخل في شؤوننا او عرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه .

اننا نعمل على ابراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي. وهذا لايتناقض مع الارتباط المصيري بين الامة العربية والشعب العربي الفلسطيني ونعمل كذلك على اقامة اوثق الصلات مع القوى التحررية في العالم لمناهضة الصهيونية والامبريالية والتي تدعم كفاحنا المسلح العادل ، ونعمل على الحد من الهجرة الصهيونية بشتى الوسائل في فلسطين كاسهام في حل المشكلة ونقاوم كل الحلول السياسية المطروحة كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين وكل المشاريع الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية او تدويلها او الوصاية على شعبها من اية جهة .

وايمانا من حركتنا بان فلسطين هي جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني هو جزء من الامة العربية وانطلاقاً من ان الكيان الصهيوني في فلسطين هو جزء من الغزوة الصهيونية العدوانية الاستيطانية وقاعدة استعمارية توسعية فان الثورة الفلسطينية هي طليعة

الامة العربية في معركة تحرير فلسطين وكفاح الثورة جزء من كفاحها وتمثل حركة فتح الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني الذي يمثل كفاحه جزءا من النضال المشترك لشعوب « العالم الثالث » ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية وضد العنصرية والفاشية » .

ويتجاوز الصيغة ليؤكد على العلاقة مع الانظمة الوطنية :

« العمل على تطوير جبهة الصمود والتصدي لتصبح اداة فعل رئيسية على قاعدة دعم منظمة التحرير الفلسطينية ومواصلة الصراع مع العدو ومواجهة كافة حلول التصفية واسقاطها وكذلك تصليب المواقف العربية لمواجهة واسقاط التسوية بكافة اشكالها ومسمياتها والوقوف بحزم امام اية محاولة لاعطاء اتفاقات كامب ديفيد غطاء شرعيا.

العمل على خلق جبهة عربية قوية عريضة كما نصت على ذلك قرارات جبهة الصمود والتصدي لمواجهة جميع مؤامرات الامبريالية والصهيونية ، وفي مقدمتها مؤامرة كامب ديفيد بكل صورها واشكالها».

هذه نصوص مقتطفة من البرنامج السياسي لـ « فتح » .

واذا ما اجرينا مقارنة سريعة بين النهج الذي ترسمه نصوص البرنامج السياسي هذه ، وبين النهج الذي يمارس على ارض الواقع سنلحظ بوناً شاسعاً بين النص والممارسة العملية لدرجة يتأكد معها الانفصام الكلي بين النظرية والممارسة العملية . ونظراً لكون البرنامج محدود الانتشار ، في وقت ان رئيس الحركة يدلي بقناعاته ومفاهيمه في كل ساعة ، في الصحافة والاذاعات ومختلف الوسائل المسموعة والمرئية ، فان

« فتح » الممارسة العملية ، اي « فتح » « ابو عمار » هي المعروفة بعلاقتها الوطيدة مع الرجعية وخاصة مع السعودية وبسعيها المثابر من اجل اقامة العلاقة مع الولايات المتحدة الاميركية ، ومن اجل تحقيق الاعتراف المتبادل مع اسرائيل ، وبدورها في تخريب العلاقات بينها وبين سوريا وليبيا . لذلك قد لا يسهل فهم قول التعميم الرابع : ان « فتح » « انطلقت لتكون رأس حربة في مواجهة العدو الامبريالي - الصهيوني - الرجعي » ، فمعاداة هؤلاء الاعداء ، اذا سلمنا بها بالنسبة للامبريالية والصهيونية فمن الصعب التسليم بمعاداتها للرجعية . ان موقفها من الرجعية لم يعرف بالعداء كما يؤكد التعميم . ربما كانت « فتح » البرنامج السياسي والتيار الديمقراطي ، هي المقصودة بالعداء للرجعية ، اما فتح « ابو عمار واللجنة المركزية » فعلاقتها بالرجعية تتسم بالتحالف والمحبة والاحترام المتبادل ! . .

واضح ان التعميم الرابع ، قد حدد موقفاً جديداً من اللجنة المركزية . ولكنه بدلاً من ان يسميها باسمها ويعتبرها هيئة متضامنة ، ويحملها مسؤولية تكريس المنهج المناقض لبرنامج الحركة السياسي ، راح يتحدث عن «عدد من اعضاء اللجنة المركزية » وعن « بعض اعضاء اللجنة » دون ان يوضح فيما اذا كان هذا العدد ، او البعض او الاصحاب ، يمثل الاغلبية ام الاقلية ، وفيما اذا كان يمتلك حق اصدار قرارات مصيرية ام لا ؟

ان كلام التعميم الرابع عن عدد اعضاء اللجنة المركزية الذين اصدروا القرار مبهم ، ولكنه ، مع ذلك ، يعتبر موقفاً جديداً من جهة ،

وينسجم مع وصف قرارات القائد العام والبيان ، بالنهج الانشقاقي من جهة اخرى ! . .

ان قراءة التعميم الرابع ، لا تؤكد على انهم يقدرون ـ خطأ ـ ان اثارتهم لاحتجاجهم الثوري كافية لدفع قيادة الحركة للمبادرة الى معالجة الازمة باسلوب ديمقراطي وان يكون المؤتمر العام الذي يمثلون اغلبيته هو الحكم ، فحسب ، بل وتؤكد ايضا ، على انهم حريصون على وحدة « فتح » بجناحيها ، شريطة تطهيرها من المنحرفين عن نهج الثورة والمشبوهين الذين يتمركز اغلبهم فيما يسمى بالهيئات الاستشارية المحيطة بالقائد العام ، واللصوص الذين يسرقون اموال الحركة ويبذرونها فيما يوفر لحياتهم الخاصة الرفاهية والبذخ ، والمعتدين على كرامة الجماهير الذين يتحملون وزر ما عرف بالممارسات السلبية ! . .

ولكن الا يعني ذلك كله ان الحفاظ على وحدة « فتح » ، كما يريدونها قضية مستحيلة في ظل عدم استجابة القيادة لدعوة عقد المؤتمر؟

عندما ينتفض الضمير . . .
يخضع الحاضر والمستقبل لتقرير المصير

بعد مرور اسبوع على صدور التعميم الرابع ، الذي نقل الصراع الى اطار اللجنة المركزية ، صدر التعميم الخامس في الاول من حزيران الجاري ، وفيه نطالع قولهم :

«كنا نحاول دائماً ان نكون حماة لضوابط الثورة وقوانينها لكي تظل في اتجاهها المرسوم ، ولكن الخروج عن الالتزام بالخط السياسي

للثورة والتفرد والانانية كانت السمة الاساسية للقيادة في الحركة ، كنا نقاوم كل التصرفات التي تؤدي الى تخريب الحركة ، وكان غيرنا يستغل المعارك المتلاحقة التي خاضتها الثورة لاجهاض كل محاولة لوقف الخراب ، ولاسكات كل صوت ينتقد الانحراف ويطالب بالاصلاح .

ولقد كان المؤتمر العام الرابع الذي انعقد في شهر ايار ١٩٨٠ ، بمثابة ناقوس خطر مرتفع الصوت ، يشير الى كل الاخطاء والخطايا ، وينذر باسم القاعدة الفتحوية الى ان للصبر حدوداً ، وان لفتح ابناء مخلصين وبدلاً من الانصات الى صوت القاعدة وتجنيد كل الطاقات لتنفيذ ما قررته في مؤتمرها ، وجدنا ان التسيب قد زاد وان الانحراف قد اتسع ، وان اللصوص والجبناء والمشبوهين والمنحرفين ازدادت سطوتهم واستفحلت جرائمهم وهجر المناضلون وابعدوا ، واستقدم بدلاً منهم المرتزقة من اقاصي الارض ، الى ان وجدنا انفسنا في صيف العام الماضي وجاً لوجه امام الاجتياح الصهيوني المدمر للبنان ، واستعدادنا لمواجهته ، اقل من قدراتنا المتوفرة وكان الصمود العظيم في بيروت الذي صنعه الرجال والكوادر المنسيون في القاعدة وحققته الجماهير الفلسطينية اللبنانية المناضلة بعذابها وبدماء اطفالها ، ورفض المناضلون ان ينسحبوا ، ولكنهم اضطروا للانسحاب على امل ان يعودوا للقتال بكل الخبرة التي اكتسبوها ، ورأى البعض ان ينسحب لكي يلقي المناضلين في المنافي البعيدة ومتعهداً لفيليب حبيب بألاّ يعود القادة الى ساحة القتال ورافضاً عودة اي مناضل من المنافي ، تحت طائلة فصله وقطع مخصصاته المالية ، وحالماً بأن يعطيه الامبرياليون والصهاينة دوراً في مفاوضات ، او حصة في تسوية ، وذبح اهلنا في صبرا وشاتيلا ،

واصبحت جثث الفلسطينيين المغدورين منظراً مألوفاً في مخيمات وشوارع وازقة الجنوب اللبناني ، وبكى شعبنا كما لم يبك في حياته ، وبدلاً من حشد كل القادة والمقاتلين لردع الفاشيين والصهاينة ، اخذ البعض يجوب ارجاء الارض على متن طائرات خاصة ، يلهث وراء السراب الامبريالي ، يقابل السماسرة وعرابي الخيانة ، ويلتقي الصهاينة سراً وعلناً ، متفرداً بقراراته ، مستهتراً بالشهداء وبالاطر والوحدة الوطنية ، وبالجماهير ، متنكراً لكل تضحيات شعبنا وتاريخه ضارباً عرض الحائط كل النصائح والتحذيرات .

واصبح الخطر ماثلاً للعيان ، واخذت قرارات الثورة المضادة تلبس رداء الثورة ، وتتقنع برداء النضال ، وتطورت قوانين الصراع مع العدو دفعة واحدة ، فاصبحت الخيانة وجهة نظر واصبح الحديث عن الاعتراف بالعدو الصهيوني حديثاً عادياً ، واصبح التنظير لصهيونية تقدمية وصهيونية رجعية فلسفة علمية تستوجب اقامة الندوات والمحاضرات لشرحها والدعوة لها ، واختلطت الاستراتيجية بالتكتيك ، ولم يعد هناك فارق بين اعدائنا واصدقائنا ، ولم يعد ممكناً التمييز بين ماهو رجعي وما هو تقدمي .

ومن اجل ان تمر فلسفة الثورة المضادة دون عوائق او عراقيل كان لابد من تجنيد الاموال الطائلة للتخريب والافساد ، فاغتنى الازلام والمحاسيب وتنعم اللصوص والمنحرفون ، وتقدم الصفوف ضعاف النفوس وابعد المناضلون ، وقهر الثوار الفقراء . »

ثم يستطردون قائلين :

«لقد كانت القرارات التنظيمية والتشكيلات العسكرية الانقسامية ، تحمل دلائل خطيرة ، تمثل مؤشراً واضحاً يستهدف السيطرة على قواتنا (العاصفة) ، وعلى قوات الثورة الفلسطينية ، تمهيداً لخطوة انسحابية ، تكمل خطوات الانسحاب من لبنان التي اتخذت من قبل ، وتؤدي الى عزل واضعاف اي موقف لبناني او عربي يسعى لافشال الاتفاق الصهيوني - الكتائبي في لبنان ، ومنع آثاره المدمرة على النضال العربي ، وحين نقول ان هذه القرارات انقسامية ، فاننا نعني مانقوله ، فقد قال الاخ ابو اياد لاحد اخواننا الموثوقين تحذيراً لنا من الاستمرار في تحركنا ، واعتقاداً منه اننا ندعو للانشقاق ، بان هذا ما طلبه الملك حسين من الاخ ابو عمار حين دعاه للتخلص من المعارضين وفصلهم ، ولم يجب الاخ ابو اياد ، حين قال له هذا الاخ ، ان هذا يؤكد قولنا ، بان هذه القرارات بمثابة فصل لفئة معروفة بمواقفها ، وهي في حقيقتها قرارات إنشقاقية تمهد للعودة للحوار الاردني الفلسطيني ، والتوقيع على الاتفاق الذي علق التوقيع عليه بسبب تنامي الدور الوطني الفلسطيني الذي لم يسمح بتوقيع مشروع الاتفاق المذكور ، كما اننا نعني ما نقول ولا نفتري على الحقيقة حين نؤكد ان هذه القرارات تمهد لخطوة انسحابية نهائية تكمل خطوات الانسحاب السابقة والتي يؤكدها مايلي : -

١ - اتخذت اللجنة المركزية في اجتماعها في تونس بتاريخ ١٤/ ٩/ ٨٢ قرارا يقضي بتجميع قواتنا في كل من الاردن ومصر والعراق ، وان يكون وجودها في اي مكان اخر وجوداً رمزياً .

٢ - كانت قواتنا تعد للانسحاب من لبنان نفسياً ومادياً حيث منعت من

الحفر والتحصين وكانت تسحب بالتدريج الى الجزائر أو تونس او اليمن وغيرها من المنافي ، تحت اعذار مختلفة ، كإكمال تجميع قوات اجنادين ، او المشاغل ، او مديرية التدريب ، او اللوازم ، وما الى ذلك . وكان يمنع اي مقاتل من العودة الى ساحة الثورة ، حتى لو كان عياله في سوريا او في لبنان تحت عذر ان سوريا ترفض ذلك ، ولما وصل المئات منهم فرادى وبواسطة جوازات سفرهم فصلوا وقطعت مخصصاتهم ، وان خيارهم الوحيد هو ان يعودوا الى المنافي .

٣ ـ كانت هناك دعوة لتسريح المقاتلين ، ودعوات مماثلة للعودة الى الاردن افرادياً ، وبعد الحصول على راتب سنة ، واجرة بيت عن سنة ، ومساعدات مالية كبيرة تحت شعار زائف يتحدث عن تركيز تواجدنا في الاردن ، وعلى اية حال ، فان الاخ ابو جهاد الوزير كفانا مؤونة الاجتهاد بتصريحه الى مجلة التايمز في الاسبوع الماضي حين قال : «انه على استعداد لسحب قوات الثورة من لبنان مقابل اربعة شروط هي :

أ ـ ان يتيح الاتفاق الاسرائيلي اللبناني نوعاً من التواجد السياسي لمنظمة التحرير في لبنان .

ب ـ ان يكون لمنظمة التحرير وجود عسكري رمزي في لبنان .

جـ ـ ضمانات لحماية الفلسطينيين في لبنان

د ـ حوار بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية .»

والتفسير البسيط لهذا التصريح يعني ان هناك استعداداً للانسحاب وللاعتراف بالاتفاقية الصهيونية ـ الكتائبية ، مقابل مكسب

تافه هدفه تضليل الجماهير يتحدد في وجود سياسي ما ووجود عسكري رمزي في لبنان .

ولمزيد من توضيح الحقائق نذكر بان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد منعت من اتخاذ قرار برفض الاتفاق الكتائبي الصهيوني في لبنان ، وذلك في اجتماعها الذي عقدته في دمشق في الاسبوع الاول من شهر ايار سنة ١٩٨٣ ، وحين حاول الناطق الرسمي للمنظمة ان يصرح بما يعني رفض الاتفاق ، منع من ذلك ، تحت طائلة التهديد بتكذيبه وانه اذا اراد التصريح بشيء عليه ان يصرح به باسمه الشخصي ، وليس بوصفه الناطق الرسمي .

وامعاناً في ابداء (حسن النية) تجاه المخططات ومشاريع الاتفاقات الاميركية ، صرح الاخ ابو جهاد الوزير الى مجلة كل العرب : «ان الموساد الاسرائيلية هي التي نسفت السفارة الاميركية في بيروت ، وان روبرت ايمز ، رئيس محللي وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في الشرق الاوسط والذي قتل في حادث السفارة الاميركية كان متعاطفاً مع القضية الفلسطينية» .

وحين نقول ان القرارات والتشكيلات الانقسامية كانت تمهد للانسحاب من لبنان ، بكل مايعنيه من الاسهام في تمرير الاتفاق الكتائبي ـ الصهيوني ، وتمهد لاعادة الحوار مع النظام الاردني من اجل التوقيع على الاتفاق ، فاننا لانلقي الكلام جزافاً ، فقد قال الاخ ابو اياد : لاحد الاخوة الموثوقين انه يخطيء من يقول ان هناك تراجعاً من قبل البعض عن اصرارهم على توقيع مشروع الاتفاق الاردني

الفلسطيني ، او انهم يرون طريقاً اخر للتسوية غير هذا المشروع . ومن المفيد ان نذكر ان هذا المشروع قائم على اساس مشروع ريغن وعلى مدخل خبيث هو الكونفدرالية الذي يعني كما قال عدنان ابو عودة تكتيكاً لتجاوز ثلاث عقبات ، هي عقبة الدولة المستقلة ، وعقبة حق تقرير المصير ، وعقبة الوفد المفاوض مع العدو الصهيوني» .

وبعد ان يؤكدوا على تمسكهم باسلوب الحوار الديمقراطي لمعالجة الازمة ، يعلنون ان اللجنة المركزية والمجلس الثوري قد تخليا عن دوريهما ، لدرجة انهما كانا يطلعان على القرارات المصيرية عندما تنشرها وسائل الاعلام ، وبذلك فقدا : «مشروعيتهما واهليتهما لحل مشاكل الحركة مما يجعل الاسلوب الذي اتبعناه ثورياً وضرورياً ومشروعاً» .

اما بالنسبة لتوقيت الانتفاضة ، التي اتخذت من صدور القرارات ذريعة لاماطة اللثام عن نفسها ، فقد تساءل التعميم :

منذ «متى لم تمر الثورة في مرحلة لم تكن فيها عرضة للهجوم باتجاه تصفية قضيتنا وجاء في اللحظة التاريخية الحاسمة التي تقرر فيها ان ينتقل المشروع الاميركي ضد ثورتنا ومنطقتنا العربية الى مرحلة الحسم سواء في لبنان او في الاردن والتي تسمح لنا بالقول انه لو لم نتحرك في تلك الساعة التي تحركنا بها لتسارعت الاحداث بطريقة تسمح بتقدم المشروع الاميركي وباضعاف روح التحدي والمواجهة لدى المواطن العربي .

اما القول باننا نسعى للانشقاق : فهو اتهام يطلقه الانشقاقيون انفسهم فنحن لا نريد الانشقاق ولو كنا نريده ، فعلاً ، لكان من

السهل ان يعقد عدد من الاخوة المعروفين مؤتمراً صحافياً يعلنون فيه انشقاقهم وينتهي الامر .

اما الذين يريدون الانشقاق فهم الذين طلب منهم ملك المغرب ان يفصلوا المعارضين ويتخلصوا منهم ، ونفس هؤلاء الذين طلب منهم الملك الحسن فصل المعارضة يقولون بان لامجال لعودة الامور الى مجاريها وانه لابد من «التفريق باحسان» .

والحقيقة اننا حين نصر على عدم الانشقاق فلا يعني هذا ان نسمح ببقاء اللصوص والمنهزمين والمشبوهين والمدسوسين في صفوف «فتح» ، وحين نطالب باخراجهم فاننا ندعو الى ممارسة اعقد عمل تنظيمي ، لابد ان يقدم عليه كل تنظيم يريد ان يحمي نفسه ويحقق اهدافه ، ونقصد به تطهير الصفوف من كل الذين لم تعد تنطبق عليهم شروط العضوية .

ثم اخذنا نسمع باننا نرفض الحوار ، وانهم قبلوا عقد المؤتمر العام وتساهلوا الى اخر مدى حتى انهم يقبلون اي شيء ، ونجيب بان هذا تضليل وخداع ، فقد حاورنا كل من جاء للحوار معنا الى أن فوجيء الجميع بقرار علني يمنع الاتصال بنا تحت طائلة المسؤولية ، ولقد قبلنا انعقاد المؤتمر العام الطاريء ووافقنا ان يعقد في عدن بتاريخ ١/ ٦/ ٨٣ ، وابلغنا موافقتنا الى معتمد الحركة في عدن وفوجئنا رداً على ذلك بتعميم يتهمنا بالعمالة لليبيا والتنسيق مع الجبهة الشعبية القيادة العامة ، ومع «ابو نضال» بل وبخدمة مدير اذاعة لندن الصهيوني ، وان تحركنا ياتي في سياق حملة تشنها الولايات المتحدة على قيادة منظمة

التحرير الفلسطينية ، مع ان ريغن وصف هذه القيادة بالاعتدال واعلن انه لن يسمح للعناصر الراديكالية بتخريب التسوية الاميركية ، وليس صحيحاً انهم وافقوا على عقد المؤتمر الطاريء » بل انهم تهربوا من عقده ، ولم يوافقوا على اي مطلب من مطالبنا ! . .

هكذا جاء التعميم الخامس ، ليحسم الموقف وينهي الجدل حول امكانية التوفيق بين القيادة المنشغلة بعقد الاجتماعات واتخاذ القرارات ، وبين القاعدة الرافضة لقرارات القيادة والمنتفضة على سياستها ونهجها . وببلوغ عملية الصراع هذا المستوى اصبحت امكانية انعقاد المؤتمر الطاريء لتسوية الازمة ، ضئيلة جداً ، ان لم نقل مستحيلة ! . .

هكذا جاء التعميم الخامس مؤكداً على فزع قيادة «فتح» من حجم «التفاف ابناء «فتح» حول المطالب التي اعلناها . . . ولم يجدوا مخرجاً من مأزقهم الا بتوجيه الاتهامات والتشكيك ونحن لا نستغرب ذلك ، بل انه امر متوقع ومفهوم ، فحين تتعرض مكاسب المنحرفين وامتيازاتهم ومناصبهم للخطر يلجأون الى توجيه الاتهامات ، والتشكيك باخلاص المناضلين واستقلالية تحركهم ، ونحن لانريد ان نرد على حملة الافتراء والاتهام ، اذ لن يهزنا صراخهم ولن تبتزنا اتهاماتهم ، فجماهيرنا تعرف الحقيقة ، وتعرف في اي محور رجعي تتركز ارتباطات الذين يتهموننا ، والى اي مكان اوصلوا قضيتنا ، وتعرف في نفس الوقت اننا شكلنا عبر سنوات النضال الطويلة ضمير «فتح» وبؤرة الحفاظ على قرارها الوطني المستقل .

واننا اذ نؤكد على هذه الحقيقة نعاهد كل المناضلين في حركتنا وفي

الساحتين الفلسطينية واللبنانية ان نظل على الاصالة النضالية التي هي رأسمالنا ، نرفع صوتنا عالياً ، لا تبعية ولا وصاية ، ولا احتواء ، ونرفع بنادقنا شامخة من اجل حماية ثورتنا وصون قضيتنا» .

هكذا بلغ التفاقم ذروته ، ورجعت لجان ومنظمات وحكومات الوساطة بخفي حنين امام ثبات التيار الديمقراطي وانتفاضته ، التي ادهشت الجميع واربكت دعاة الحل السلمي واحرجت موقفهم لدرجة تأكد معها ان التيار الديمقراطي ،كان فعلاً ، كما يصف نفسه ، بانه ضمير «فتح» ، وعندما ينتفض الضمير يوضع حاضر «فتح» ومستقبلها امام تقرير المصير ! . .

وتبقى ملاحظة اخيرة ، تتوجب علينا الاشارة اليها . قصدت كلام التعميم عن الاساس النظري للقضية التنظيمية التي يريدها التيار الديمقراطي لـ «فتح» : «وكانت نظريتنا التنظيمية بناء متكاملاً يقوم على اساس المركزية الديمقراطية ، وخاصة المؤتمرات وانتخاب القيادات واتباع القيادة الجماعية» ! . .

ان مبادئ المركزية الديمقراطية ، لاتصلح اساساً تنظيمياً لمنظمة كـ «فتح» فهذه الصيغة لاتصلح الا للاحزاب الشيوعية . اما «فتح» فهي منظمة ليبرالية تسمح تركيبتها وطبيعتها بتعدد وجهات النظر فيها . ان المحذور الذي يترتب على عدم مراعاة هذه التركيبة والطبيعة يتجلى في ان اخضاع منظمة شعبية كـ «فتح» لصيغة المركزية الديمقراطية ، قد يؤدي الى تقليص حجمها وتحويلها من منظمة لفئات الشعب الفلسطيني الوطنية ، الى منظمة لبعض فئاته ، كما هو حال بقية

الفصائل الفلسطينية الاخـرى . وعندهـا تصبـح مسألـة قيام «فتـح» ليبرالية الى جانب «فتح» البروليتارية ، مسألة ليست طبيعية ، فحسب ، وانمـا ضرورية ، امـا اذا كان القصـد من التـزام صيغـة المركزية الديمقراطية ، ان يصار الى الالتزام ببعض مبادىء هذه الصيغة ، كالقيادة الجماعية والانتخابات الديمقـراطية التـي تجعـل القاعـدة صاحبـة رأي وسلطة في تحديد سياسة «فتح» وتوجيه قيادتهـا . . . اذا كان هذا هو القصـد ، فبوسـع التيار الديمقراطـي الـذي يتحمـل اليوم مسـؤولية الاحتجاج الثوري ، ان يخضع «فتح» لهذه المباديء دون ان يلغي تركيبة وحدة «فتح» الجدلية بين «التيارين» اللذين تتركب منهما حركة الشعب الفلسطيني ، بعد تطهيرهـا من العنـاصر السيئـة سواء كانـت يمينية ام يسارية ديمقراطية ! . . .

هكذا تطور الصراع بين تيارات «فتح» ووجد التيار الديمقراطي نفسه امام طريق وحيدة ، هي طريق حسم الموقف عسكرياً . ولكن ، ماهو التيار الديمقراطي وما هي الخلفية التاريخية لرموزه القيادية ؟

الفصل الرابع :

الشروط الموضوعية والذاتية للانتفاضة التاريخية

* الفعل ... والفاعل ... والخلفية التاريخية
* الشروط الموضوعية والذاتية للانتفاضة التاريخية
* ظرف موضوعي ناضج وتوقيت ملائم
* ظروف الانتفاضة الفلسطيني
* ظرف الانتفاضة السوري
* ظرف الانتفاضة اللبناني



الفعل ... والفاعل ...
والخلفية التاريخية

وصفوه بأنه : «الاحتجاج الثوري» ، «الاحتجاج المشروع» . «التحرك الثوري من اجل تصحيح مسار الثورة» ، «انتفاضة قاعدة فتح المقاتلة» ، «انتفاضة العاصفة» !..

ان كل هذه الصفات والنعوت التي اطلقت على الفعل الذي نهضت به قاعدة «فتح» تؤكد على أهميته وضرورته في هذه المرحلة . ان الفعل الذي احتوى تأثيره الساحة الفلسطينية بأسرها ، والذي اربك الرجعية العربية وشمل صداه الساحة العالمية على سعتها ... ان هذا الفعل لجدير بأن يوصف بـ «الانتفاضة» !..

فاذا كانت حركة التاسع من ايار ١٩٨٣ ، تستحق ان تنعت بـ «الانتفاضة» ، فان فاعليها لابد ان ينعتوا بالبطولة لان الانتفاضة تحتاج كي تنجز ، لقسط من الجرأة والبطولة لايتحلى بهما غير مقاتلي الحركة التي لايمكن فهم الثورة الفلسطينية بدون فهمها !..
ولكن من هم هؤلاء المناضلون الذين ينعتون بالتيار الديمقراطي الذي يقود الاحتجاج الثوري في حركة «فتح» ؟

منذ بدأت حركة التحرر الوطني الفلسطيني «فتح» تفرض نفسها على الواقع العربي ، باعتبارها «ثورة حتى النصر» على الاغتصاب الصهيوني ، تبينت حقيقتها بكونها حركة للشعب الفلسطيني بمختلف فئاته الاجتماعية ، وتياراته الفكرية والسياسية . وقد استوعبت

تركيبة «فتح» هذه ، العديد من المثقفين الثوريين والضباط المناضلين الذين كانوا منخرطين في صفوف الجيش الاردني . وما ادراك ما الضباط المناضلون والمثقفون الثوريون : عناصر نشأت باحضان المعاناة وتربت في خضم العنف الثوري ، فامتلكت روح التمرد وشبت على نزعة الميل الموضوعي لمقاومة الظلم والثورة عليه ! . . .

ان هؤلاء الضباط المناضلين والمثقفين الثوريين الذين انخرطوا في حركة «فتح» قد عبروا عن وعيهم لضرورة الكفاح الثوري ضد الظلم . واذا ادركنا ان بلوغ هذه الدرجة من الوعي يقتضي تجاوز مرحلتي الشعور بالظلم والوعي لضرورة مقاومته اللتين يمر بهما المناضل الثوري قبل اعتناقه للعنف الثوري وممارسته له . . . اذا ادركنا هذه البدهيات فسندرك ان محفزاتهم لتفجير خلافاتهم مع قيادة الحركة ، ليست وليدة الظروف الراهنة ، كما انها ليست مجرد ردة فعل على قرارات نقل بعضهم من مراكزهم القيادية في قوات الحركة المسلحة ، وانما ترتبط بخلفية تاريخية تمتد لفترة سابقة بعيدة ، وتتصل بطبيعة نشأتهم وصيرورتهم مناضلين ثوريين . وليس سراً انهم قد شكلوا داخل «فتح» ما عرف بالتيار الديمقراطي ، الذي اضفى وجوده صفة اليمين على خصومه ، وجعل الحركة تعاني من انقسام بين تيارين متصارعين : يمين انتهى به المطاف الى الاقتناع بعدم القدرة على الحاق الهزيمة باسرائيل ، فقزم هدفه ليتطابق مع حدود قناعته الجديدة ، فاصبح حلم «الدولة» لديه بديلاً لواقع الثورة . وتيار ديمقراطي زادته تطورات الاحداث ووقائع الكفاح تمسكاً بالثورة ، وعناداً لتمكينها من متابعة حمل رايتها حتى النصر ! . .

وكما هي طبيعة الواقع الذي يخلقه نشوء التيارات الديمقراطية في المنظمات الشعبية الثورية ، فان تياراً ليبرالياً وسطياً قد نشأ بين التيارين ليشكل صمام ضبط لحركة الصراع بين اليمين وبين ديمقراطيي «فتح» . بيد ان تطورات الاحداث قد دفعت الصراع بين التيارين للتفاقم لدرجة جعلت الليبراليين الوسطيين عاجزين عن السيطرة على الموقف فاحتواهم الصراع وجرفتهم امواجه العاتية ، لتحسم الغالبية الكبرى ترددها بالانحياز الى اليمين خوفاً من نتائج «المغامرة» وتجنباً لمتاعب الفعل الثوري . فالوقوف مع الديمقراطيين اشرف واسمى ، بيد ان لقمة العيش مع اليمين ادسم واغنى ! . .

لقد اختار «الليبراليون» الوسطيون اليمين لانهم يعرفون الديمقراطيين ، معرفة تؤكد على ان الضباط منهم كانوا قوة داخل الجيش الاردني ، وكان قلب النظام هماً من همومهم الاساسية . وان مغريات الرجعية الاردنية والامبريالية البريطانية لم تستطع افساد ايمانهم بقضية تحرير وطنهم ، وانتزاعهم من موقع الاصرار على مواصلة النضال الثوري حتى تحرير فلسطين . وان اختيارهم لـ «فتح» قد حسمته معركة «الكرامة» التي اقنعتهم بأن «فتح» هي المنظمة الفلسطينية التي يستطيعون من خلالها ترجمة قناعتهم بالثورة ورغبتهم في فداء فلسطين . ولولا معركة الكرامة لربما حافظوا على بقائهم السري بالجيش الاردني وصلتهم الحركية القومية العربية القديمة ! . .

كما يعرف الليبراليون ، ان الديمقراطيين قوة اساسية فاعلة داخل «فتح» وان معارك الحركة منذ عام ١٩٦٨ حتى اليوم ، نهضت على

اكتافهم ، وان صمود بيروت يشهد لدورهم القتالي الطليعي . وان ثبات الايمان الذي يتحلون به ، يجعل الانحياز الى جانبهم مغامرة لاقبل لهم على تحمل نتائجها !..

فان كانت عناصر التيار الديمقراطي ، تستند الى هذه الخلفية التاريخية وتتميز بسمة الصراع الداخلي الدائم مع اليمين ، فان اختيارهم للظرف الراهن يجعل من الانتفاضة حدثاً تاريخياً وليس مجرد انشقاق مسوق بردة فعل آنية لقرارات القائد العام ضدهم !..
ولكن هل ان الانتفاضة جاءت بغير اوانها ، ام ان الظرف الراهن ملائم لقيامها ؟

الشروط الموضوعية والذاتية للانتفاضة التاريخية

قبل الاجابة على السؤال المتعلق بطبيعة الظرف الراهن وفيما اذا كان ملائماً للانتفاضة ، علينا ان نحدد الطبيعة العامة للشروط الموضوعية والذاتية التي يتطلبها قيام الانتفاضة التاريخية ، لكي نعرف المقياس الذي نحاكم الجواب على السؤال بموجبه :

يعرف الظرف الموضوعي للانتفاضة التاريخية ، بأنه الوقت الذي يتمرد فيه المحكومون على الحاكمين ، والذي يعجز فيه الحاكمون عن فرض سلطانهم على المحكومين !

ان انتفاضة تقع خلال ظرف موضوعي كهذا لابد ان تتحلى بالخصائص التاريخية بيد ان هذا الظرف الموضوعي ينبعث من نضج

العوامل الموضوعية التي تضغط على الحاكمين والمحكومين في آن معاً ، ضغطاً يعجز الحاكمون تحت وطأته عن اقناع المحكومين بأهليتهم للسلطة وقيادة تطور حياتهم الاجتماعية - الاقتصادية وانعكاساتها الفكرية والسياسية ، مما يدفع المحكومين للتمرد على سلطة الحاكمين نتيجة شعورهم بالاختناق الذي تضج به الحياة من جراء تراكم المطالب الحياتية المستجدة للدرجة التي تفوق قدرات الحاكمين على تلبيتها ، فيمتنعون عن الاستجابة ، امتناعاً لايترك مجالاً غير اللجوء للعنف والانتفاض على الحاكمين ! . .

ان هذا الظرف الموضوعي الحرج يمر به القائد في المنظمة السياسية مثلما يمر به الحاكم في النظام الاجتماعي ، عندما يجنح نحو الدكتاتورية ويتجاوز القواعد والاصول التي تنظم العلاقات بينه وبين قاعدة منظمته او جماهير شعبه . اما القائد او الحاكم الذي يلتزم الديمقراطية ، ويعتمدها وسيلة لاشغال مركزه ، فلا يمكن ان يمر بظرف حرج كهذا . لأن التزام الديمقراطية تعبير عن الزهد بالمركز ، مثلما ان الدكتاتورية تعبير عن التشبث بالمركز وعدم الاستعداد للتخلي عنه ! . .

اما ، لماذا لايمر الحاكم او القائد الديمقراطي بمثل هذا الظرف الحرج ، فلأن ظرف الحراجة لايمكن ان يحدث مالم يتفاقم الظلم للدرجة التي تدفع لمقاومته . واول مراحل طغيان الظلم تتجلى في الشعور به من قبل الذين يتعرضون له ، ولكن الشعور بالظلم ، ليس سوى مرحلة اولى ، غير كافية لنشوء مقاومة او انتفاضة وثورة ، فمرحلة الشعور بالظلم ، ماهي الا مرحلة تمهيدية لنشوء مرحلة جديدة ، هي

مرحلة الشعور بضرورة مقاومة الظلم ، وهذه تنشأ باحشاء المرحلة الاولى وتتولد عن نضجها الذي يتجلى بصيرورة الشعور بالظلم ظاهرة عامة وشاملة . وعن نضج مرحلة الشعور بضرورة مقاومة الظلم تنشأ الطليعة الواعية لهذه الضرورة والمنظمة لكيفية ترجمتها وتوجيه المظلومين للانخراط في اطارها ! . .

اذا كانت المقاومة وبالتالي الثورة الفلسطينية ، هي الوليد الطبيعي للشعور بضرورة مقاومة الظلم الصهيوني ، فان الانحراف عن الثورة ، لا يمكن فهمه بغير كونه استسلاماً للظلم الصهيوني وركوعاً تحت وطأته . وبما ان المستسلمين عاجزون عن الاستمرار بمقاومة الظلم الصهيوني ، فان انتفاضة قاعدة «فتح» ، ينبغي ان تفهم بكونها اعادة للتأكيد على الظلم الصهيوني ، ورد اعتبار للثورة عليه ! . .

ولكن ، هل يعني توفر الظرف الموضوعي الناضج لقيام الانتفاضة ، ان النجاح سيكون حليفها لمجرد توفر مقدماتها الموضوعية ؟

طبعا ، كلا ! . .

ان نضج الظرف الموضوعي ليس كافياً لنجاح الانتفاضة حتى لو اعلنت عن نفسها ، مالم يتوفر لها شرط العامل الذاتي . فبدون توفر عنصر الوعي لطبيعة الانتفاضة والاهداف التي تعتزم تحقيقها لتبرير قيامها ، فأن الانتفاضة قد تنتهي الى مجرد هبة عفوية سرعان ما يتغلب عليها خصومها ، وتنتكس وتستحيل الى مجرد حدث تاريخي تنحصر معطياته في الدلالة على نضج الظرف الموضوعي للتغيير . وبما ان ترابط

العوامل الموضوعية والـذاتية شرط لامفـر منـه للنجـاح ، فان الهبـات الشعبية العفـوية التـي تنهض بهـا الجماهـير ضد الحـاكم او القواعـد التنظيمية ضد القائد الفرد المستبد ، قد تتكرر ، ولكن تكرارها لايقدم اكثـر من مؤشر لضرورة التغيير ، وداع يحفـز الطليعـة للعمـل على احداثه ! . .

فاذا اعتبرنا العناصر القيادية العسكرية والمدنية التي انحازت الى القاعدة وقادت انتفاضتها . . . اذا اعتبرنا هذه العنـاصر قيادة فكرية وسياسية وعسكرية للانتفاضة ، فاننـا سنلحـظ توفـر العامـل الذاتـي للانتفاضة ، لحظاً يؤكد وجود طليعة واعية لضرورة الانتفاضة ومدركة للمهمة التاريخية المنوطة بها ! . .

واذن ، فان توفر الشرط الذاتي للانتفاضة ، اذا مااقتـرن بتوفـر الشرط الموضوعـي ، فان الانتفاضـة تكتسـب خصائصهـا التـاريخية . والعـكس يحـدث ، في حال فقـدان اي شرط من هذين الشرطـين . فبفقدان الشرط الموضوعي ، تكون الانتفاضة مغامرة سابقة لأوانهـا ، والمغامرات من هذا النوع ، لن تكون سوى ممارسات غـير محسوبـة ، ونادراً مانجا ابطالها من عقـاب التـاريخ الصـارم . امـا اذا افتقـدت الانتفاضة شرطها الذاتي ، فلن تكون سوى هبة عفوية عابرة سرعان ماتخمد جذوتها وتهلك تحت وطأة ضغط خصومها ! . .

لذا يتحتم علينا البحث في طبيعة الظرف الموضوعي الذي انجب الانتفاضة ومعرفة ابرز سماته وخصائصه . لكي نعـرف ما اذا كانـت الانتفاضة مغامرة لقيطـة معزولـة عن واقعهـا ، ام انهـا تتحلى بشرعية

الحدث التاريخي الذي تنجبه ، مقدماته الموضوعية ، مثلما تنجب الوالدة مولودها ! . .

ظرف موضوعي ناضج وتوقيت ملائم

فيما تقدم ، عرفنا المقياس الذي بموجبه يمكننا تحديد طبيعة الظرف الملائم لقيام الانتفاضة . واعتبرنا التيار الديمقراطي ، طليعة واعية ومنظمة ، اعتباراً جعلنا نتأكد من توفر الشرط الذاتي للانتفاضة ، ويبقى علينا ان نبحث بطبيعة الظرف الموضوعي الراهن ، لنعرف فيما اذا كان ملائماً لقيام الانتفاضة ، وبالتالي فهل ان الذين ينصحون الانتفاضة بمراعاة الظرف الذي يدعون انه غير ملائم . . . هل ان هؤلاء مخلصون فيما يسدون من نصائح أم انهم يعبرون بموقفهم هذا عن تطيرهم مما تحمله الانتفاضة من تخريب لسياستهم المسالمة وتعلقهم بذيل التسوية القائمة على اساس الاعتراف المتبادل ؟

انه لخطأ فادح ، ان ننظر الى انتفاضة قاعدة «فتح» كما ننظر الى الانشقاقات التي تعرضت لها بعض فصائل المقاومة الاخرى ، ولعل الثرثرة التي تحرص القيادات اليمينية واليسارية الانتهازية ، على اشاعتها ، للتشكيك بقدرة مقاتلي «فتح» على الانتفاض وغمز قناتهم بالقول انهم اتباع مسيرين من قبل سوريا والجماهيرية . . . لعل هذه الثرثرة من اكثر انماط الكلام مدعاة للضحك والسخرية ، لانها تعبر عن سطحية اصحابها وعجزهم عن استيعاب مغزى الحدث ودلالة

وقوعه . فلو كانت انتفاضة قاعدة «فتح» كما يصفهـا العاجـزون عن الاستمرار بالتزام النهج الذي رفعهم الى مصاف الرمز للقضية ، او كما يتهمها الذين يبررون الاستسلام والخيانة القـومية والـوطنية ، بحالـة العجز التي يعيشونها . . . لو كانت الانتفاضة كما ينعتونها ، لرأينا دوراً لما يسمى باليسار الفلسطيني والعربي ، غير دور المشاغب الذي يحذر من خطر الاحتراق الذي يحمله فتيل الانتفاضة لاولئك الذين لم يعرف لهم مكان غير السير بذيل حركة التطور التاريخي ، والارتباك امام منعطفاتها الاساسية ! . .

ان العلاقة مع سوريا والجماهيرية ، ليست تهمة ، ولا تعتبر كذلك الا من قبل الرجعية والسائرين بركابهـا . لانهـا (العلاقـة) دليل على سلامة الاتجاه وصواب الموقف القومي ، وان لم تقم العلاقة القومية مع سوريا والجماهيرية ، فمع اي نظام عربي يمكن اقامتها يا ترى ؟

ان موقف الأنتفاضة القومي ، آية على ثورية رجالها ، طالما انهم مع استمرار الثورة ومواصلة القتال ضد اسرائيل وضد دعـاة تسـوية الصراع مع العدو الصهيوني ! . .

لقد استخلص المنتفضون على نهج التسـوية والاستسـلام ، من صمود بيروت ، درساً يقول : بامكانية مواجهة اسرائيل ، لان الصمود يعلمنا بان عجز العدو عن القضاء علينا ينطوي على احتمال انتصارنـا عليه ! . .

واستخلصوا من المقاومة الوطنية اللبنـانية ، التـي بات الشعـب وقواه الوطنية والتقدمية ، اللبنانية والفلسطينية ، مجنداً في اطارها . . .

استخصلوا من المقاومة الـوطنية ، درسـاً يؤكد على امـكانية استمـرار الثورة المسلحة ضد اسرائيل وعملائها ! . .

ان إثبات القدرة على المواجهة والصمود بوجه العدو ، برهان على امكانية دحره . لان الصمود ينهك العدو ويدخل اليأس الى اذهـان افراد قواته ، ادخالاً ، يضمر معه العامل المعنوي ، ويتضـاءل لدرجـة يمكن استغلالها لشن هجوم معاكس عليه . واظن ان القاعدة التي تقوم عليهـا حرب الشعـب هي الاستمـرار وعــدم الاستســلام وبمـا ان الاستمرار يقوم اساساً على عوامل الهجوم فيه ، فانـه استمـرار هادف انضاج الظرف لحسم الموقف وتحقيق الانتصار النهائي للثورة ! . .

ان يعجز ابو عمار عن قمع الانتفاضة ، وان يتخبط جورج حبش مؤسس حركة القوميين العرب وصائـغ شعـارات الوحـدة والتحـر ر والثأر والحديد والنار ، ويقف حائراً في مواجهة الحدث ، بدلاً من ان يكون قائده ومرشـده . . . ان يحـدث ذلك كلـه ، فلابـد ان تكون لظاهرة الانتفاضة مقومات الحدث التاريخي ! . .

ولكن هل يعني هذا الكلام ، نفياً كلياً لدور سوريا بالحدث ؟

ان نفي دور سوريا ، يساوي بعـدم صوابـه ، نفـي موضـوعية الانتفاضة واصالتها . واذن ماهي حدود الدور السوري في الحدث ، ومـا هي حدود تأثـير هذا الـدور على مستقبـل الانتفاضـــة ، وافـــاق تطورها ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة تستدعي رؤية ظروف الانتفاضـة وعوامل نجاحها :

ظرف الانتفاضة الفلسطيني

١ ـ

ان نجاح الانتفاضة ، يدل على انها وليدة تخطيط مسبق ورؤية واقعية . وبوسعنا رؤية ذلك بوضوح ، اذا ما استطعنا رصد تطورات الاحداث منذ خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت . يومها حاولت القيادة المستسملة اظهار خروجها كخروج الابطال وختمت تلك المحاولة بعقد الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، لتوحد صفوفها وتتابع نهجها المنحرف وسعيها لدى الاوساط الامبريالية والرجعية للتوسط بينها وبين اسرائيل . ان « ابو موسى » ورفاقه هم القائلون : « ان المجلس الوطني في دورته هذه قد ذهب بالمقاومة الى القدس ، كما السادات . والفارق بينهما يتجلى برفض اسرائيل لاستقبال المقاومة ، كما استقبلت السادات» ! . .

ولكن نتائج دورة المجلس الوطني بقدر ما اظهرت المقاومة بمظهر الوحدة والاصرار على السير بطريق التسوية ، فانها قد القت مزيداً من الضوء على انحرافها لدرجة اصبح معها الاستسلام القائم على اساس الاعتراف باسرائيل هو النهج الملتزم من قبل اليمين واليسار . الى ان انتهى زحف أبي عمار الى النميري وبعده لملك الاردن وتوقيع التحاقه بركب جزار الشعب الفلسطيني بعد القبول بمشروع ريغن وقرارات فاس . وكان الامر مفضوحاً ، لحد اضطرت معه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وقيادة فتح لان تمارسا دورهما بـ « الاعتراض » على اتفاق عرفات ـ حسين ! . .

انىا ندرك ان هذه « الاعتراضات » لا تعدو عن كونها مواقف تتخذ لامتصاص ردود الفعل السلبية من جهة ، ولدعم تكتيك الانحراف في المفاوضات التي يأملون منها مشاركة الاردن ، بما يحتمل ان يتحقق من « مغانم » على يد الرجعية والولايات المتحدة الاميركية مقابل التخلي عن الثورة من جهة اخرى . ولكن مجرد اعلان تلك «الاعتراضات » عنى فشل سياسة الانبطاح امام اميركا واسرائيل وعميلتهما الرجعية العربية !

هكذا بدأت الطريق مسدودة بوجه ابي عمار ، وبدأ « الاعتراض » على سياسته بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير . وكما كانت عفونة الحساء ذريعة لانتفاضة ثوار الدارعة الروسية « بوتمكين » عام ١٩٠٥ ، فان قرارات ابي عمار ، في ظل فشله فلسطينيا ، كانت الذريعة لانتفاضة التاسع من ايار . والفارق بين الانتفاضتين يتجلى بكون تلك كانت انتفاضة ضد القيصر الذي استطاع عزلها في عرض البحر ، في وقت ان هذه انتفاضة على خطوط التماس مع العدو الذي يفترض بقائد الثورة مقاتلته . . . تلك كانت ردة فعل على قيصر متمكن ، وهذه انتفاضة بوجه قيادة مرتدة عن اهداف ثورتها . . . تلك كانت صرخة من صرخات ثورة ١٩٠٥ ، وهذه انتفاضة في جسم الثورة بغية تطهيره من الفساد والعفن الذي شوهه ! . .

واذن ، فان الانتفاضة ، وليدة ظروف هزيمة وانحراف عن الثورة ، انها وليد طبيعي بعد تجربة صمود بيروت والحرب الخامسة ! . .

فاذا كانت هذه هي ظروف الانتفاضة الفلسطينية ، فما هي حدود

الدور السوري في صنعها ، وما هي حدود تأثير هذا الدور على مستقبل وآفاق تطورها ؟!

ظرف الانتفاضة السوري

لا ريب في ان لموقف سوريا دور واضح ، وبوسعنا القول لولا الموقف السوري لتردد قادة الانتفاضة عن تفجيرها ، او على الاقل لحسبوا الف حساب وعدوا للعشرة قبل الاقدام عليها . ان عدم الحساب للدور السوري ، يعني الاقدام على مغامرة غير محسوبة ! . .

ولكن ماذا يعني الاعتراف بدور سوريا ؟

انه يعني ان قادة الانتفاضة ، قد وجدوا بموقف سوريا الرافض للانسحاب من لبنان والرافض للاتفاق والداعي للتصدي لاسرائيل وعملائها ، كما وجدوا في اختلافها مع ابي عمار ، فرصة سانحة لضرب ضربتهم التي نعلم جميعاً انهم كانوا يعدون لها ، منذ حصار بيروت ، وانهم لم يرفضوا الذهاب لغير سوريا ، الا من اجل ان يفتحوا حواراً مع دمشق ، وان يتابعوا الاعداد للانتفاضة ! . .

واذن ، فان السوريين لم يصنعوا الانتفاضة ولم يخططوا لها ، انما وجدوا المخططين والصانعين ، فالتقوا معهم على ارض الخلاف مع ابي عمار اولا،وعلى ارض رفض الاحتلال الاسرائيلي للبنان ثانياً ، ورفض الدور الاميركي والتسوية التي تمثل مصر ولبنان نماذجها الملموسة ثالثاً .

هذه هي حدود علاقة سوريا بالحدث . وهي علاقة مهمة رغم صدفيتها . ولكي نتأكد من هذه الاهمية علينا ان نتصور الموقف

السوري السابق الذي اعقب خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت . والذي كان قائماً على اساس الانسحاب المتزامن مع الانسحاب الاسرائيلي . . . لو تصورنا ان الموقف السوري السابق ما يزال قائماً ، فهل بوسعنا ان نتصور ملاءمة الظرف لتفجير الانتفاضة ؟

هذه هي حدود الدور السوري ، في صنع الانتفاضة ، فهل بوسعنا ان نلحظ حدود تأثيره على مستقبلها وآفاق تطورها ؟

مرة اخرى لا بد من الاعتراف بتأثير سوريا على انتفاضة قاعدة « فتح » ، لكن لا بد من النظر الى حدود هذا التأثير من منظار التطورات المحتملة التي تحكم الموقف السوري نفسه ، رغم ان انتفاضة قاعدة « فتح » عملية داخلية تقوم اساساً على ارادة المقاتلين وقناعتهم الذاتية بقضية استمرار الثورة حتى تحرير فلسطين ! . .

ان الموقف السوري يشكل واقعاً موضوعياً ضاغطاً على الانتفاضة ، وتجاهله يوقع القائمين بها في مأزق رغم اختلافه عن مأزق ابي عمار مع سوريا ، بيد انه يبقى مأزقاً حرجاً ! . .

ان سوريا مصرة على رفض الاتفاق الاسرائيلي ـ اللبناني ـ الاميركي ، لذلك فان تعاون الانتفاضة مع سوريا يساعدها على ممارسة دورها القتالي على الوجه الاوسع !

اما حجم تأثير سوريا على افاق تطور الانتفاضة ، فامر يعتبر البحث فيه سابق لاوانه . وجل ما يمكن ان نقوله حالياً ، هو اعادة التأكيد على ان الايمان بقضية تحرير فلسطين واستمرار الثورة من اجل تحقيق الهدف وارتباط الثورة الفلسطينية بالثورة العربية . . . ان الايمان بهذه القضية ، يشكل ضمانة لاستمرار الانتفاضة وتطورها ! . .

هذه هي ظروف الانتفاضة الفلسطينية والسورية ، وعلينا رؤية مستقبلها (الانتفاضة) في الساحة اللبنانية ؟

ظرف الانتفاضة اللبناني

ان قيمة الحدث الذي فجرته قاعدة« فتح »تتجلى اكثر ما تتجلى بكونه يعبر بوضوح عن ان دروس صمود بيروت وظهور المقاومة الوطنية اللبنانية ، التي يجب ان يستخلصها الثوريون المؤمنون ، تتمثل بامكانية مواجهة اسرائيل واستمرار الثورة ضد الاغتصاب الصهيوني بدون مكاتب فخمة علنية او قيادات بيروقراطية كما الحكومات العربية ، وبدون مؤتمرات قمة رجعية . فارادة الشعب هي القوة الكفيلة بالتفوق على اسرائيل وهي طاقتنا التي نتغلب بفضلها على اعدائنا : الامبرياليين والصهاينة والرجعيين . ولنا من الجزائر والفيتنام مثلا هادياً ومرشداً وموضحاً ليس لحجم التضحية التي يتطلبها تحقيق اهدافنا في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن الكفاحي الاممي ، فحسب ، وانما ـ وهذا هو الاهم ـ لامكانية دحر الامبريالية والصهيونية والانتصار عليهما ! . .

لذا فان الانتفاضة الفتحاوية سيكون لها دور كبير وهام في لبنان ضد اتفاق الالحاق وصانعيه . اننا سنجد بهؤلاء المناضلين المتفانين في سبيل قضايانا المشتركة ، رفاق كفاح ثوري وتضحية سخية . ويكفي ان نعلم انهم مصممون على مقاتلة الفاشية اللبنانية ، كي ندرك أهمية دورهم الكفاحي بالنسبة لشعبنا ! . .

ان كل المناضلين التقدميين والوطنيين الحقيقيين يتحملون مسؤولية دعم هذه الانتفاضة ومعاونتها لتشق طريقها الى النجاح لكي تستطيع لعب دورها النضالي المأمول .

فاذا كانت هذه هي ظروف الانتفاضة الفلسطينية والسورية واللبنانية وهي ظروف تجعل طابع الانتفاضة العام ايجابياً لدرجة تكشف حجم التضليل والخداع في الادعاء القائل بعدم ملاءمة الظرف الراهن . . . اذا كانت هذه هي ظروفها ، فما هي دلالتها بالنسبة للتسوية السياسية ، وما هي علاقتها بطبيعة المرحلة الراهنة وسمتها الابرز المتمثلة بتراجع الموقف الوطني امام الهجمة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية ؟

سنجيب على هذا السؤال لدى الكلام عن دلائل الحدث الفلسطيني الابرز ، اما الان فسننهي الكلام عن ظروف الانتفاضة ، ببعض الكلمات عما يقال عن انعدام الفوارق بين بعض الكوادر التي تنحاز الى جانب الانتفاضة ، وبين كوادر « فتح » ابي عمار ! . .

ان هذه التقولات مثارة بشكل واسع ، وان اجهزة « فتح » الرسمية ، وبعض الاحزاب اللبنانية والمنظمات الفلسطينية المعارضة للانتفاضة ، تعمل على نشرها لتعمل منها قضية القضايا ، ومأخذ المآخذ على الانتفاضة ! . .

ان الانسان العلمي ، لا يجوز ان ينجر وراء هذه التقولات الساذجة والسطحية ، لان مثل هذه المآخذ ، على افتراض وجودها فعلا ، هي في حقيقتها مآخذ مفروضة على الانتفاضة ذلك ان النظرة العلمية ، تدلنا ، الى ان وحدة المتضادات المتصارعة ، حين يعاد تشكيلها لا يمكن ان

تكون نقية تماماً . وانما تتكون من العناصر الجديدة والعناصر القديمة التي ما تزال قابلة للاستمرار والتعايش مع الجديد . ان وحدة الجدل الجديدة تحتوي بالضرورة بعضاً من عناصر الوحدة القديمة . وهم (المنتفضون) لا يستطيعون ان يرفضوا انحياز ضابط او مقاتل او موظف او حتى « مرتزق » الى جانبهم .. وان استطاعوا ان يرفضوا فليس بوسعهم ان يشطبوا على كل العناصر « السيئة » طالما ان اساس التربية في « فتح » قد تعرض للافساد المقصود منذ بدأت قيادتها تنحرف عن نهج الثورة . ثم ان المقياس لعملية الفرز يتمثل في الموقف من قضية القتال ، ولكل فتحوي يختار القتال ان ينحاز الى صف الانتفاضة ، حتى لو لم يعجبهم ، والا فان الانتفاضة ستكون حكراً على فئة بعينها وليست انتفاضة لمقاتلي « فتح » والقاعدة العريضة للحركة ! ..

ان هذه الحالة سوف تبقى قائمة حتى ينحسم الصراع ... فان قيادة الانتفاضة مطالبة بتطهير صفوف « فتح » من كل « السيئين » و « المسيئين » ، والا فان انتفاضتهم سيصيبها ما اصاب « فتح » القديمة وبقية فصائل المقاومة الفلسطينية ! ..

فيما سبق حاولنا الاجابة على السؤال المتعلق بتفسير عجز قيادة « فتح » عن معالجة الحدث والحيلولة دون تفاقمه . كما اجبنا على الاسئلة المتفرعة عنه والمتعلقة بطبيعة « الحدث الفلسطيني الابرز » وفيما اذا كان يتحلى بالمقدمات التاريخية الموضوعية والذاتية ، التي تجعل من عجز القيادة امراً واقعاً لا حول لها عليه ولا قوة لديها للتغلب على تفاقمه . كما اوضحنا الظروف المولدة للانتفاضة والمحيطة بها والمؤثرة

عليها . ويبقى ان نستكمل الموضوع بالاجابة على بقية الاسئلة ، التي يتقدمها السؤال المتعلق بموقف المنظمات الفلسطينية الاخرى من انتفاضة قاعدة « فتح » ، ولماذا انقسمت بين مؤيد للحدث ومعارض له . وما هو حجم الانسجام والتناقض في مواقفها ، لكي نتفرغ لصياغة دلائل الحدث وافاق تطوره .

الفصل الخامس :

الخلفيات السياسية لمواقف المنظمات الفلسطينية

* الخلفيات السياسية لمواقف المنظمات الفلسطينية
* موقف الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة
* موقف جبهة النضال الشعبي الفلسطيني
* موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
* موقف جبهة التحرير الفلسطينية
* موقف «فتح» المجلس الثوري
* مواقف المنظمات . . . وانعكاس الحدث



الخلفيات السياسية لمواقف المنظمات الفلسطينية

كان متوقعاً ان تؤيد الحدث كافة المنظمات الفلسطينية باستثناء الجبهة الديمقراطية المعروفة بحماسها للحل السلمي وتسوية حالة الحرب مع الحركة الصهيونية واقامة الدولة الفلسطينية على اساس الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير واسرائيل . وموقف الجبهة الديمقراطية هذا مرسوم بشكله العلني منذ عام ١٩٧٣ بخلفية تاريخية ترجع الى الظروف التي خلقتها هزيمة المقاومة الفلسطينية في الاردن عامي ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، والتي جعلتها تنقلب على مواقفها السابقة التي كانت تعتبر مشروع « الدولة » مؤامرة امبريالية لتصفية القضية الفلسطينية .

فاذا اكتفينا بهذه الاشارة الموجزة لموقف الجبهة الديمقراطية المعارض للحدث والذي ينسجم كلية مع موقف الاحزاب الشيوعية العربية . فعلينا ان نشير الى موقف الصاعقة المؤيد بالحدود التي تسمح بها اعتبارات السياسة السورية المعروفة ، ولكي نركز البحث على مواقف كل من الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحرير الفلسطينية ، وان نخرج عن اطار منظمة التحرير لننوه بموقف « فتح » المجلس الثوري من الحدث .

موقف الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة

بادرت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة لتأييد الحدث بحماس ملحوظ .

ولدى البحث عن خلفية هذا التأييد المطلق نلحظ انسجاماً بينه وبين موقف الجبهة الذي حدده امينها العام بالمجلس الوطني الفلسطيني السادس عشر . فالذين حضروا تلك الدورة واستمعوا للرفيق احمد جبريل ، لحظوا المعارضة الواضحة التي سجلها بخطابه للسياسة المرسومة من قبل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ! . .

لقد استفز خطاب الامين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة كل المنظمات والاعضاء المنسجمين مع رئيس منظمة التحرير . ولولا موقف « ابو عمار » لاحدثت ردة الفعل للموقف العنيف الذي اتخذه احمد جبريل ، هزة في جو الدورة ، لربما ادت الى افساد جو الوحدة والانسجام الذي حرص رئيس منظمة التحرير على الظهور به !

موقف جبهة النضال الشعبي الفلسطيني

ان جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، معروفة بكونها احدى منظمات ما يسمى بيسار المقاومة الفلسطينية ، وهي معروفة بتناقضها مع سياسة منظمة التحرير القائمة على اساس الاعتراف المتبادل . ولذلك فان تأييدها للحدث ينسجم مع موقفها المعارض للاعتراف والذي عبر عنه امينها العام الرفيق سمير غوشه بخطابه في الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

اذا اعتبرنا المواقف المسجلة على لسان الامناء العامين في دورة المجلس الوطني السادسة عشرة ، هي المقياس للانسجام والتناقض للمواقف تجاه الحدث فسنلحظ تناقضاً صارخا بين ما سجله الرفيق جورج حبش بخطابه في المجلس وبين موقف الجبهة المعارض للانتفاضة .

ان الموقف الطبيعي للجبهة الشعبية ان تكون داعمة للحدث ، ليس لانه ينسجم مع اعتراضاتها التي سجلها امينها العام في المجلس الوطني على سياسة الاعتراف باسرائيل ومقررات فاس ومشروع ريغن والمفاوضات مع الاردن فحسب ، وانما لان الانتفاضة تضرب بالصميم نهج التسوية السياسية الذي لم يعد احد بقادر على عدم الاعتراف بكونه نهج السير بذيل الامبريالية وخدمة مصالحها في المنطقة ! . .

ان الجبهة الشعبية بالموقف الذي اتخذته لم تبق سائرة بذيل اليمين الفلسطيني ، فحسب ، وانما رسمت علامة استفهام كبرى حول مدى جدية معارضتها لنهج التسوية السياسية ومدى صدق التزامها بقضية تحرير فلسطين ورفضها للاعتراف باسرائيل ! . .

إما الذرائع الشكلية التي بررت بها موقفها ، فقد مسخها اندفاعها للوحدة مع الجبهة الديمقراطية الذي اعتبره ابو عمار ردا على الانتفاضة وشجباً لها .

لقد قيل في موقف الجبهة الشعبية ، انها تعاملت مع الحدث باعتباره انشقاقاً ، وانها معقدة من كثرة الانشقاقات التي تعرضت لها . بيد ان هذا القول ان لم يكن ذريعة لتبرير معارضتها ، فانه يكشف عن

نظرة سطحية لاهمية الحدث ومغزى حدوثه . انه يحدث في « فتح » اي في قلب الثورة الفلسطينية والحياد تلقاء مثل هذه الاحداث موقف انتهازي ، اما المعارضة ، فموقف صارخ في تناقضه مع استمرار الثورة ضد اسرائيل والالتزام بقضية تحرير فلسطين ورفض الاعتراف بالاغتصاب الصهيوني لها .

لقد قيل ان الوقائع اشياء عنيدة . وها هي التطورات ، تجعل صاحب شعارات الوحدة والتحرر والثأر وامين عام حركة القوميين العرب ، يقف حائراً بين « ابو عمار » و « ابو موسى » ، وهو يردد : « ان انتفاضة قاعدة « فتح » سوف تقضي على حياتي » . . !

موقف جبهة التحرير الفلسطينية

قيل ان معارضة جبهة التحرير الفلسطينية ، للبيان الختامي الصادر عن الدورة السادسة عشرة ، مدفوعة بكونها ليست عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ومع ذلك كانت معارضتها موقفاً متميزاً سجله وفدها الى المجلس الوطني ، بيد ان عدم تأييدها لموقف قاعدة « فتح » جعلها تتناقض مع الموقف الذي سجلته لنفسها . اذ كيف ، تصح معارضة حدث يدعم ما اعلنته في المجلس الوطني ! . .

موقف « فتح » المجلس الثوري

لا غرابة اطلاقاً ، ولا تناقضاً ، في موقف « فتح » المجلس

الثوري (ابو نضال) . فما ان اعلن الحدث حتى بادرت الى حشد مقاتليها في ميدان الصراع الى جانب الانتفاضة ، ومع ان مبادرتها تلك لم تكن سوى امتداد طبيعي لموقفها المناهض لـ « فتح ابو عمار » ، فان مسارعتها مرتبطة بكونها في سجال عنيف مع اجهزة « فتح » ابي عمار قبل حدوث الانتفاضة بوقت طويل ولذلك اعتبرت الحدث تدعيماً لموقفها وتأكيداً لوجهة نظرها المعارضة لسياسة منظمة التحرير و« فتح ابو عمار » . ولا بد من جلب الانتباه الى السرعة التي اتسمت بها مبادرة المجلس الثوري ، اذ كانوا موجودين منذ بداية الحدث ، حتى لكأنهم كانوا ينتظرون حدوثه ! . .

مواقف المنظمات . . . وانعكاس الحدث

هكذا انكشفت الخلفيات السياسية ، لمواقف المنظمات الفلسطينية ، تلقاء « الحدث الفلسطيني الابرز » . ولدى تأملها نلحظ ان الحدث قد اكد صدق الالتزام الثوري لدى بعضها ، وكشف حجم الكبت الذي كان بعضها الاخر يعاني منه ، وعرى الزيف في الادعاءات التي كان البعض الثالث يستر بها حقيقة موقفه ! . .

اذا كان موقف « فتح » المجلس الثوري معروفا في صراعه مع قيادة « فتح » الرسمية ، وبالتالي متوقعاً تأييده للانتفاضة ، انسجاماً مع سياسته المعارضة للتسوية السياسية والمناهضة لدعاتها . فان المنظمات الفلسطينية الاخرى التي بادرت لدعم الانتفاضة قد كشفت عن مدى معاناتها من سياسة الانحراف المرسومة من قبل قيادة منظمة التحرير

الفلسطينية تحت وطأة الضغط المفروض بذريعة الحفاظ على الوحدة الوطنية . اما المنظمات التي عارضت الانتفاضة ، والتي تستر موقفها بالذرائع اللفظية التي تصوره باعتباره تكتيكاً مرحلياً لمجاراة اليمين حتى يضعف للدرجة التي يمكن معها خوض الصراع المكشوف معه وتجاوزه . . . اما هذه المنظمات فقد كشفتها الانتفاضة فظهرت حقيقتها عارية امام المنعطف الحاد الذي رسمته الانتفاضة . فاذا بها تدعي اليسارية لفظاً وتسهل مهمة اليمين وتدعم نهجه عمليا ! . .

ان انتفاضة قاعدة « فتح » ، قد شكلت تجاوزاً لحالة الركود التي فرضتها قيادة المقاومة الفلسطينية ، والتي نجم عنها ذلك السقف المعروف بالوحدة الوطنية والمكرس للحيلولة دون الخروج على السياسة المرسومة منذ اواسط السبعينات حتى اليوم ، والذي تجلت صورته في بيروت وفي الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

فقد منعت الانشقاقات واعتبر الخروج على نهج المساومة السياسية ، خروجاً على الوحدة الوطنية ، ومساً بقدسيتها ، وفرضت العزلة والكبت على كل من يحاول تجاوز ذلك السقف .

لا ريب في ان الانتفاضة ما تزال في مرحلة تثبيت نفسها . وخطر القمع ما يزال يتهددها ، بيد ان هذه التحفظات كلها لا تقلل من خطرها على النهج السياسي الملتزم من قبل منظمة التحرير والمكرس بدورة المجلس الوطني السادسة عشرة ، ولا تلغي كونها مؤشراً لمنعطف تاريخي جديد ، من شأنه ان يهدد ليس وحدة « فتح » الرسمية ، فحسب ، وانما سوف يهدد وحدة كل منظمة فلسطينية تعارضه . ومع ان هذا التهديد

ما يزال ضعيفاً بيد انه سيقوى على مر الايام وسيستفحل بعد ان تتثبت الانتفاضة ويسود منطقها ! . .

ان المنظمات الفلسطينية المناوئة للانتفاضة ستجد نفسها في المأزق ذاته ، في يوم من الايام القادمة . غير ان ذلك لا يعني عدم تعرض وحدة المنظمات المؤيدة للاضطراب ، ابداً ، فالحدث ان كان واقعة تاريخية ، وان شكل منعطفاً جديداً بالقياس للواقع الراهن ، فانه سيخلق اختلافات في الرؤى السياسية في صفوف كل المنظمات الفلسطينية ، مما سينعكس على الوحدة التنظيمية لكل منها ، انعكاساً من شأنه ان يعرضها للاهتزاز والاضطراب وربما للانهيار ليعاد تشكيلها (الوحدة التنظيمية) من جديد بعد ان تتحرر من التباين في الرؤى الناجم عن مؤثرات الانتفاضة والمنعطف التاريخي الذي رسمته . ومع ان حجم الاهتزاز والاضطراب او الانفلاش الذي ستتعرض له كل منظمة على انفراد ليس بالضرورة ان يكون متساوياً ومن نمط واحد ، او ان يعبر عن نفسه جهراً كما حدث في « فتح » فقد تتمكن منظمات من استيعاب الاختلاف في اوساطها ، وتعالجه باسلوب يساعد على احتوائه والحيلولة دون تفاقمه . وقد تضطر اخرى الى تجميد او فصل بعض اعضائها ، وقد تنشق منظمات ثالثة وتنقسم على نفسها . غير ان ذلك كله خاضع لتوفر عدد من العوامل في مقدمتها عامل صعود الانتفاضة وثباتها وتطورها للدرجة التي تستطيع معها خلق بديل سياسي ومسلكي تلمس معه الجماهير عامة والمناضلين خاصة ممارسة جديدة تعبر عن نهج جديد ومناقبية جديدة ، اولاً ، وعامل اخر يتمثل بقدرة اليمين على المناورة والصمود بوجه تيار الرفض الجديد ، الامر الذي يساعد على خلق حالة

من المراوحة في المكان تستغلها الفصائل الاخرى لترتيب اوضاعها الداخلية وتبرير مواقف المعارضة او التريث التي اتخذتها ، ثانياً ! . .

ولكن لا بد من رؤية الاختلاف النوعي بين ما يمكن ان تتعرض له المنظمات المؤيدة للانتفاضة ، وتلك المعارضة لها . فالتطورات التي تتعرض لها المنظمات الاولى ، هي عبارة عن عمليات فرز من شأنها تصليبها وتحريرها من عناصر الخمول والاستسلام التي خلقها السير بركاب اليمين والخضوع لسياسته . اما التطورات التي تتعرض لها المنظمات الثانية ، فعمليات فرز من شأنها ان تفاقم مأزقها وتعزلها بعد ان تضيق هامش المناورة والتضليل لديها . الاولى تنطلق مع الانتفاضة وبيدها راية الهجوم على الاصلاحية وحلولها الاستسلامية ، والثانية تتراجع تحت وطأة هجوم الانتفاضة ، تراجعاً يحشرها في موقف دفاعي انتهازي لا يجد له تبريراً غير الخشية من مواجهة الامبرياليين والصهاينة والرجعيين ! . .

ان قاعدة « فتح » والمنظمات التي وقفت معها ستخلق وضعاً جديداً وستبلور وحدة وطنية جديدة تختلف من حيث الشكل والمضمون عن الوحدة الوطنية السائدة حالياً . فالعلاقات بين الفصائل سترسو على اسس من التعاون والممارسة المشتركة بغية خدمة الثورة وصيانة استمرارها . وبدلاً من الفردية سوف تسود الروح الجماعية ، وبدلاً من الاستعلاء على الجماهير وافسادها ، سيسود الحرص على خدمتها والتفاني في سبيل تطوير وعيها وارشادها وتعبئتها ضد اعدائها الامبرياليين والصهاينة والرجعيين ، وستحل علاقات الاخوة والتعاون بين الشعبين اللبناني والفلسطيني وقواهما الطليعية الثورية ! . .

الفصل السادس :

دلائل الانتفاضة وآفاق تطورها



دلائل الانتفاضة وافاق تطورها

مما تقدم يتضح اننا ننظر للحدث الفلسطيني الابرز نظرة متفائلة تسمو به الى ذرى الحدث التاريخي الذي يعتبر حدوثه وديمومته ضرورة لا بد منها . ومعلوم فان مصدر تفاؤلنا يرجع الى ان الانتفاضة قد حدثت في قلب الثورة الفلسطينية لتعيد اليه حيوية حركته وانتظام نبضه واستمرار ضرباته ، بعد ان كاد يتوقف من جراء الشرخ الذي اصاب شريانه ، اصابة قدرت لها الامبريالية والصهيونية والرجعية ان تقضي عليه وتسكته بغية القضاء على الثورة وانهاء وجودها !

وانطلاقاً من هذه النظرة ، فاننا سنحدد دلائله وافاق تطوره المحتملة ، باعتباره منعطفاً تاريخياً لا يقرر مصير فصيل اساسي من فصائل المقاومة الفلسطينية ، فحسب ، وانما يتوقف على تطوره مصير الثورة برمتها . فان نجح القائمون به وتمكنوا من استعادة نهج الثورة المفقود الى ميدان الممارسة العملية التي تقرن القول بالفعل ، فان الحدث سيكون انتفاضة تصحيح تاريخية للنهج الملتزم حالياً ، وان تحولوا الى مجرد منظمة فلسطينية نتيجة عجزهم عن خلق البديل المطلوب ، فان بعض الدلائل التي سنحددها والافاق التي سنرسمها ، ستبقى مجرد امنيات مواطن عربي يحلم باستمرار الثورة ويتمنى عدم هلاكها ! . .

فاذا تجاوزنا هذه الملاحظة المفروضة بحكم قصر الفترة التي تصرمت على الحدث فبوسعنا رؤية دلائله وبالتالي آفاق تطوره المقدّرة . فما هي هذه الدلائل ، وما هي آفاق تطور الفعل التاريخي الذي تصنعه قاعدة « فتح » المناضلة ؟ :

الدلالة الاولى :
اختراق لسقف الهيمنة
وتنديد بالانحراف عن الثورة

لقد تمكن اليمين الفلسطيني ، من فرض هيمنته على مصير الثورة ، ومضمون القرار الفلسطيني الذي يصفونه بالاستقلال ، وما ادراك ما الاستقلال : تعبير عن اقليمية المقاومة وحقها في قبول المساومة الرخيصة على القضية الفلسطينية ! . .

ان التمسك باستقلالية القرار ، حق لكل حزب ومنظمة وحكومة ، لانه تعبير عن الحرية ، ونقيض للتبعية والوصاية على الرأي والرؤية السياسية . فاذا كان التمسك باستقلالية القرار يتمتع بمثل هذه الدرجة من الاهمية ، فان الثورة احق به من غيرها من القوى واجدر على صيانته وجعله امراً واقعاً مفروضاً على الجميع ! . . .

هنا ، ينبغي علينا ان نتوقف عند العبارة الاخيرة التي انتهى اليها تأكيدنا لحق التمسك باستقلالية القرار السياسي : « . . . وجعله امراً واقعاً مفروضاً على الجميع » .

من هم هؤلاء « الجميع » الذين ينبغي ان يرضخوا للأمر الواقع الذي يحققه كفاحنا من اجل استقلالية قرارنا السياسي . ؟

ان الاجابة على السؤال ، لا يصح ، اطلاقا ان تخرج عن اطار البدهيات ولذلك فان المقصودين بمفهوم « الجميع » ، هم الاطراف التي لها صلة بالثورة : الامبرياليون ـ الصهاينة ـ الرجعيون . . التقدميون والوطنيون : البلدان الاشتراكية وقوى الثورة العالمية ـ

الانظمة والاحزاب العربية المندرجة ضمن اطار ما يسمى بحركة التحرر العربية ! . .

هؤلاء هم المقصودون بمفهوم « الجميع » ، الامر الذي يجعل الثورة الفلسطينية خاضعة لاجتهاد قيادتها وتقديرها (القيادة) للفائدة او للضرر الذي يلحق بها وبثورتها من جراء قراراتها وقرارات الاخرين التي لها علاقة بقضيتها ! . .

ان التمتع بحق استقلالية القرار ، مفهوم عام وشامل لكافة اطراف العلاقة الذاتية والموضوعية ، لذلك فان تمتع قوة من القوى بحق « الاستقلالية » ، يفرض تمتع القوى الاخرى بهذا الحق ايضا . وعندما تقرر الثورة الفلسطينية توطيد علاقاتها مع الامبريالية والصهيونية والرجعية ، فمن حق المتضررين من توطيد هذه العلاقة ان يبادروا للتدخل بشؤون الثورة الفلسطينية كي يقنعوها ، وان اقتضى الامر يمنعوها من التمادي في طريق التحالف مع اعداء الشعب القوميين والطبقيين . ولولا هذا الحق لاصبح موقف جبهة الصمود والتصدي واصدقائها ، ضد السادات وضد زيارته للقدس خطأ ، ولاصبح الوقوف ضد الحرب العراقية ـ الايرانية خطأ ، طالما انه حق لكل من العراق وايران! . .

ان المقاومة الفلسطينية ، على حق في تمسكها باستقلالية قرارها . ولكنها مطالبة بان تدرك حق الاخرين بتأييدها او معارضتها لدى تعبيرها عن هذا الحق ، طالما ان استخدامه يمسهم ويؤثر عليهم ايجاباً ام سلباً ! . .

انه ، لمنطق مفلوج ، ذلك المنطق الذي يتهم قيادة الانتفاضة

بالتفريط باستقلالية القرار الفلسطيني ، لمجرد طلبها تأييد سوريا او الجماهيرية او بقية الانظمة والقوى . لان للانتفاضة رأي يختلف عن رأي قيادة « فتح » وقد اعترف ابو اياد بوضوح بهذا الاختلاف حين اعلن بان « المتمردين » يعارضون التسوية السياسية ونحن نؤيدها ، ولذلك فاننا نعارضهم (٤) . فكيف يحق للقيادة ان تتمتع بحق « الاستقلالية » هذا دون ان يصبح للانتفاضة التمتع بهذا الحق ايضاً ، طالما انها جعلت شرعية القيادة موضع « اعتراض » وجيه ، لن يحسمه (الاعتراض) غير السلطة العليا ، اي المؤتمر العام ؟

ان انتفاضة قاعدة «فتح» قد اخترقت سقف هيمنة اليمين الفلسطيني على مصير الثورة الفلسطينية ، وبهذا الاختراق اصبح امام الثورة طريقين : طريق اليمين المؤدي الى انهائها وتصفيتها ، وطريق التيار الديمقراطي القائد للانتفاضة والمؤدي الى ردع الانحراف والارتداد ، وتمكين الثورة من متابعة مسارها التاريخي . لذلك فان كل شيء قد اصبح ملكاً مشتركاً بين الطريقين ، وموضوعاً للصراع بين الفريقين : فريق التسوية وتصفية الثورة الفلسطينية ، وفريق التنديد بالتسوية وبرموز الانحراف عن الثورة ونهجها المرسوم بمؤتمر «فتح» الرابع . ولسوف يبقى هذا الواقع قائماً حتى تتمكن الانتفاضة من حسمه ووضع حد له ! . .

---

(٤) لقد ادلى ابو اياد برأيه هذا بعد انجاز كتابة هذه الدراسة ، وقد رأيت الاستشهاد به رغم ذلك !

الدلالة الثانية : ضربة موجعة للتسوية وصفعة مستحقة لدعاتها

ثاني دلائل الفعل الذي ترسم معالمه قاعدة «فتح» ، يتجلى بالضربة الموجعة التي وجهها للتسوية ، ولنهجها ، وبالصفعة المستحقة التي تلقاها دعاتها . . . كل دعاتها !

ان «لا» الرفض لنهج التسوية السياسية للقضية الفلسطينية التي اختطها مقاتلو «فتح» بانتفاضتهم ، جاءت ضربة موجعة ومؤثرة اكثر من كل ما فعلته جبهة الرفض المندثرة .

ان حجم الالام التي سببها المنتفضون لدعاة التسوية لايتمثل بعدد المواقع التي انتزعوها ولا بعدد المقاتلين المنحازين الى جانبهم ، ولا بسعة التأييد الشعبي الذي حظت به انتفاضتهم ، فهذه كلها امور ثانوية جداً بالقياس لطبيعة الظرف الذي حدثت به . فبعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت وعقدها للدورة السادسة عشرة لمجلسها الوطني التي كرست نهج التسوية وخطت خطوة على طريق السادات المؤدية الى القدس ، وبعد عقد اتفاق الحاق لبنان باسرائيل . . . بعد هذه التطورات كلها جاء صوت قاعدة «فتح» مدوياً ليبدد ضباب التضليل الذي نسجوه حول منافذ الرؤية ، ليكشف امام الانظار ليس حجم الخداع الذي يشوه عقولنا ، فحسب ، وانما كشف هزالة القيادات المسؤولة عن انحدارنا للدرك الذي نحن فيه ! . .

ان الذين لاحظوا حجم الاضطراب الذي سببته الانتفاضة في

صفوف القيادات والدو... ...صة على اطراد سير قافلة التسوية السياسية ، يستطيعون ... ...ـم الصداع الذي انتاب المتآمرين والمستسلمين !..

قبلاً كانوا يشغلوننا بالتزمير لنتائج اجتماعاتهم . فتارة يتبجحون باحباط مشروع فهد بقمة فاس ، ولكن المشروع تحول الى سياسة ملتزمة من قبلهم . وتارة اخرى يتبجحوا بايقاف المفاوضات مع الاردن . ولكن المفاوضات استمرت رغم ذلك وبلغت درجة من الانسجام دفعت رئيس اللجنة التنفيذية الى توقيع اتفاق مع ملك الاردن الذي لم يعرف بصفة مثلما عرف بصفة جزار الشعب الفلسطيني !

قبلاً كانوا يصدعون رؤوسنا بحركتهم الدؤوبة لتضليلنا تارة ولوضعنا امام الامر الواقع تارة اخرى . اما اليوم فقد ارتد السحر على الساحر وضيعتهم الانتفاضة ، بخضم السجال الذي اثارته وبقوة المنطق الذي التزمته وبفعالية الموقف الذي اتخذته !..

كانوا مشغولين باستقبال الصهاينة والامبرياليين ليدللوا على حسن نيتهم وبراعتهم بالسير على طريق النضال السلمي والاعتراف المتبادل . اما اليوم فانهم مشغولون باحصاء مردود الافلاس الذي حصدوه من سياسة المساومة الرخيصة ونهج التسوية السياسية !..

كانوا مطمئنين لوحدة قواهم وهدف فعاليتهم ، واليوم باتوا تائهين بصحراء السراب الذي اندفعوا نحوه !..

يكفي قاعدة «فتح» انها اشغلت القيادات بتشكيل لجان الوساطات والتوسط بغية التفاهم والتفهم ، بدون نتيجة مرضية لهم . وليس عملاً سهلاً ان تنشغل قياداتنا عن انضاج طبخة الحل السلمي كل

هذه الفترة والفترات القادمة ! . .

انها ضربة موجعة فعلاً لنهج التسوية وللتسوية نفسها . قد لا تستطيع المقاومة الجديدة المؤلفة من قاعدة «فتح» والفصائل المؤيدة لها ، احباط التسوية ، ولكن وجودها سيكون عائقاً يصعب على المنحرفين تجاوزه ! . .

ولكن ، اذا كانت الضربة موجعة للتسوية ، فان دعاتها قد تلقوا صفعة يستحقونها وبدون ريب فان استحقاق هذه الصفعة يختلف من داعية لآخر . فالامبرياليون والصهاينة والرجعيون كان قسطهم اكبر ، وحظهم من الآلام اوفر واغزر ، في حين ان وطنياً يحلم بدولة مستقلة تحققها له التسوية ، لا يناله سوى تلاشي اوهامه وخيبة أمله . اما الشيوعي الذي يتبجح بدعوته لاسقاط الحرب بين العرب واليهود منذ ١٩٤٨ . . . اما هذا الشيوعي الاصلاحي ، فحصته ضئيلة كضآلة دوره في الكفاح الثوري!

ان نجاح الانتفاضة ، وقيام المقاومة الجديدة كفيل بتحرير العديد من دعاة التسوية من اوهامهم واعادتهم الى رشدهم . ليدركوا حجم خيبة احلام العصافير التي انساقوا وراءها !

الدلالة الثالثة : تجديد لحيوية الثورة وتجاوز للقيادات العاجزة

اذا كان الواقع الذي خلقته الانتفاضة ، يمثل اختراقاً لسقف الهيمنة اليمينية ، فان هذا الاختراق لن يتوقف عند حدود منظمة «فتح»

وسيشمل الفصائل الفلسطينية الاخرى ، وربما يتجاوزها الى القوى العربية أيضاً !..

اذا اعتبرنا سيادة نهج ما : فكراً وممارسة هو المقصود بمفهوم «السقف» ، الذي تعرض للاختراق ، وان الاشخاص ليسوا اكثر من مقولات معبرة عنه ومترجمة لمضمونه ، فان دوي صوت الانتفاضة سيجد له رجعاً وصدى في صفوف كافة القوى الفلسطينية والعربية ، بدرجات متفاوتة . ذلك ان التنديد بنهج التسوية ينطوي على تشهير متعمد بكل المفاهيم والشعارات الداعية لتسوية الصراع مع الحركة الصهيونية . وليست جملة عابرة تلك العبارة التي نطق بها عبد الحليم خدام يوم ابدى استعداد سوريا لأعلان رفضها للقرار ٢٤٢ والقرارات المماثلة التي يعتبر قبولها معيقا للثورة ومتعارضاً مع استمرارها . . . ليست جملة عابرة ، وانما هي سياسة تقتضيها الحالة الجديدة التي خلقتها الانتفاضة !..

أليس كلام خدام هذا ، محاولة منه ، لتأكيد موقف سوريا الداعم لاستمرار الثورة الفلسطينية ؟

واضح لو ان لقاء خدام كان مع ابي عمار وقيادة «فتح» التقليدية لما احتاج للحديث عن رفض القرار ٢٤٢ والقرارات المماثلة ، لانه لو فعل ذلك لكان كمن يتحدث لنفسه ، لكي يستفز من يريد استفزازهم !..

اذا جاز اعتبار النهج ، هو منظومة الافكار والمفاهيم والشعارات التي تتملك اذهان معتنقيه وتوجه ممارساتهم وتحدد مضامين تصرفاتهم ،

واذا كانت سيادة نهج ما تشكل ما اعتبرناه سقفاً تصطدم به كل محاولات التعبير المتناقضة مع محتوى النهج السائد ، فان اختراق هذا السقف في موقع فاعل ومؤثر من شأنه ان يشمل كافة الاطر والرموز التي تمثلها ! . .

لذا ، فاننا نعتقد ، بان حالة الجمود التي فرضتها القيادات القائمة منذ مرحلة السبعينات ، حتى الان ، ستتبدد ، وستنهض قيادات جديدة ، لتزاحم قيادات قديمة عاجزة عن مواكبة تطورات الاحداث ورؤية الافاق التي ستبلغها !

ولكن لابد من تبديد الخلط بين حالتين من حالات انعكاس انتفاضة قاعدة «فتح» . ففي حالة تكرار ماحدث في «فتح» ، في صفوف منظمة مؤيدة للانتفاضة فان القائمين به ، يعتبرون انصاراً لليمين ومؤيدين لنهجه وسياسته ، وبالتالي فان موقفهم يسهم بتكريس حالة الاستسلام السائدة . اما اذا كان التكرار ، في صفوف منظمة معارضة للانتفاضة او متحفظة على قيامها ، فإن القائمين به يعبرون عن رفضهم للتسوية وسحب ثقتهم من رموزها والمحبذين لها ، تعبيراً يجعل من موقفهم اسهاماً بتجديد حيوية الثورة وتعرية القيادات العاجزة وتجاوزاً لها !

لقد كشفت انتفاضة مقاتلي «فتح» ليس انحراف اليمين عن نهج الثورة ، فحسب ، وانما كشفت ، ايضاً ، انتهازية بعض اليسار واستسلامه ، بل ومشاركته بتكريس نهج التسوية التي عبد طريقها السادات ومن هم على شاكلته ومثاله .

الدلالة الرابعة : استيقاظ لوعي الجماهير
ومؤشر لبداية مرحلة جديدة

ان الانتفاضة عمل موجه ضد التسوية السياسية للقضية الفلسطينية ـ فهي ، اذن ، ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ! . .

ان التسوية السياسية هي وسيلة الامبريالية والصهيونية والرجعية للهيمنة على المنطقة وتكريس اغتصاب فلسطين واحلال القناعة باستحالة تحريرها محل القناعة بالثورة من اجل تحريرها . ولذلك فان التسوية تطبع المرحلة بطابعها العام ، مما يجعل التراجع امام الهجمة الامبريالية هو السمة السائدة . ولكن التراجع يتوقف عندما تبلغ التسوية نهايتها المنطقية ، اي الوقت الذي تنكشف فيه على حقيقتها للعيان وتنفضح باعتبارها تسوية امبريالية ـ صهيونية ـ رجعية ! . .

ان التراجع ، كما يفهم ، تقليدياً هو التكتيك الذي نتبعه لتغطية الانسحاب المنظم امام هجوم العدو ، بغية اعادة تجميع قوانا وتوظيفها لشن هجوم معاكس ، في الوقت المناسب الذي يصبح فيه العدو متعب ومنهك بنتائج هجومه ! . .

اما التراجع الذي تعيشه حركة الثورة العربية ، فمفهوم مختلف عن المفهوم التقليدي للتراجع . فقوى حركة التحرر العربية لا تتراجع أمام هجمة الاعداء بغية معاودة الهجوم ثانية ، وانما هي تتراجع عن الاهداف الاستراتيجية بغية تذليل الخلاف مع اعداء شعبنا

وايجاد اساس للتفاهم وتسوية الصراع معهم والارتماء باحضانهم نتيجة الشعور باستحالة الانتصار عليهم !..

لذا يتضح ان التراجع الذي يطبع مرحلتنا الراهنة، هو شكل من اشكال الاستسلام التدريجي للهيمنة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية. والفارق كبير جدا بين تراجع تكتيكي يسعى للحفاظ على القوى وتجميعها استعداداً للهجوم المضاد، وبين التراجع عن الاهداف الستراتيجية والسعي للتفاهم مع العدو والاستسلام لارادته !..

ويترتب على هذا الفارق الكبير ان التزام تكتيك التراجع المنظم بغية معاودة الهجوم، يعتمد على الجماهير وتوعيتها باهمية الصمود والقتال (النضال) التراجعي، والتنديد بالاستسلام وانهاء حالة الحرب مع العدو. اما تكتيك التراجع عن الاهداف الستراتيجية بغية التفاهم مع العدو. فانه تكتيك للاستسلام، وتضليل للجماهير وابعادها عن دائرة الصراع الفعلية، واخافتها وتصوير مواجهة العدو والصمود امامه، باعتبارها امراً من الامور المستحيلة، وللتدليل على هذه الاستحالة فان القوى المنحرفة تتبع سياسة تعمل على احباط المعنويات واشاعة اليأس بين اوساط الجماهير، مما يشجع العدو على الاستمرار بتوجيه الضربات وتكثيف الاعتداءات، تشجيعاً تستغله القوى المنحرفة للتدليل على استحالة الانتصار على العدو !..

ولكن اذا كان التراجع تكتيكاً يخدم نهج الانحراف عن طريق الثورة، والارتداد عن الاهداف الستراتيجية، فكيف يكون بلوغ التسوية لنهايتها المنطقية، مؤشراً لتوقف التراجع ياترى ؟

علينا ان نعترف بتناقض صارخ بين تأكيدنا على كون التراجع هو تكتيك القوى المنحرفة والمرتدة لتذليل الخلافات مع اعداء شعبنا ، وتسوية الصراع معهم ، وبين الادعاء بان بلوغ التسوية لنهايتها المنطقية دليل على توقف التراجع . . . علينا ان نعترف بهذا التناقض طالما ان التسوية لن تبلغ نهايتها المنطقية ما لم تبلغ القوى المناهضة لها ، درجة من الضعف ، تتيح للاعداء تحقيق التسوية وفق المضمون الذي يخدم مصالحهم ؟

ولكن اعترافنا بهذا التناقض ينبغي ان يساعدنا على رؤية كون خداع الجماهير وتضليلها يصبح خطأً اساسياً من خطوط السياسة التي تتبعها القوى المنحرفة عن طريق الثورة والمرتدة عن الاهداف الستراتيجية ، وان هذا الخداع ينكشف ، بفضل افتضاح الزيف الذي صور التسوية على انها وسيلة لنيل الجزء ، بديلة لوسيلة الثورة التي يدعون بانها باتت تهدد بفقدان الكل . انهم يخدعوننا لكي نقبل بالجزء ، اي بالدولة الفلسطينية ، بعد ان يصوروا لنا استحالة الانتصار على اسرائيل وكسب فلسطين كلها ! . .

واذن ، فان التأمل الملي ، يرينا ان توقف التراجع يكمن في صلب هذا التناقض ، لان انكشاف التسوية لايتأكد تماماً الا عندما تضعف القوى المناهضة لدرجة تسمح لقوى الاعداء بترجمة تطبيقات التسوية على ارض الواقع . والتطبيق العملي هو الذي يعري الخداع والتضليل ويظهر الزيف للعيان ، بحكم كشفه لحقيقة التسوية ! . .

ان التسوية تعني الخيانة القومية . لذلك فان الخداع والتضليل

يشكلان خطاً من الخطوط الفاعلة والنشطة في الصف الوطني المناهض للصهيونية ، ولعل ابرز ظواهر الخداع ، تلك التي تتجلى في التفريق بين الامبريالية عامة واميركا خاصة وبين اسرائيل ، بحيث يُسوّغ الاتصال والتعامل مع الامبريالية من موقع مناهضة الصهيونية ، اي من الصف الوطني وتصبح الصهيونية صهيونيتين : عدائية ومسالمة . وان هذا الخداع مفروض بحكم حاجة القوى الساعية لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، للتغطية على حقيقتها ، الامر الذي يجعل عملية الفرز بين الثوريين والمستسلمين ، غير مرئية تماماً بسبب التمويه الذي يضفيه الخداع عليها . ولكن استمرار التراجع يعمق عملية الفرز ويكرس الاختلافات في الرؤى ، فينقسم الصف الوطني رغم الوحدة الظاهرية التي تجمعه ، الى فريقين : فريق مع استمرار الثورة ، وفريق يستبدل تكتيك استمرار الثورة بتكتيك المساومة الرخيصة ، للحصول على الجزء ، مقابل التنازل عن الكل ، نتيجة عجزه وجزعه واستسلامه للامر الواقع المفروض من قبل الاعداء . وبما انه لا يجرؤ على الجهر بتخليه عن جدوى الايمان باستمرار الثورة وجنوحه نحو المساومة الرخيصة ، فانه يستخدم الخداع والتضليل بغية تمويه قناعته الجديدة وتزيين ممارساته . ولتغطية نهجه ومسلكه المنحرف فانه يلجأ لتضخيم مخاطر مجابهة العدو وأحياناً ، يلجأ للتواطؤ مع العدو بغية الحاق الهزيمة بالثورة كي يقنع المقاتلين المهزومين ومن خلالهم الجماهير الشعبية بعدم جدوى الاستمرار بالثورة ! . .

هذا ما فعله السادات والعملاء من حوله . وهذا ما فعله ويفعله امين الجميل وهذا ما لحظناه خلال الحرب الخامسة ، من قبل بعض

قيادات المقاومة الفلسطينية . ان فريق المستسلمين يبرر مسلكيته بأنها مراجعة وادراك لعدم موضوعية هدف تحرير فلسطين ، ويدعي ان هدف التحرير الشامل قد حدد بدون وعي لحجم ردود الفعل لدى العدو . وان العاطفة لعبت دورا في تبسيط ردة فعل الأعداء ، مما جعله (التحديد) غير موضوعي وغير واقعي . وان الضرورة تدعو للمراجعة واعادة النظر بهدف التحرير واستبداله بهدف الدولة الفلسطينية اي الحصول على الجزء مقابل التنازل عن الكل ! . .

ان خط الخداع والتضليل هذا ، يزداد افتضاحه كلما اقتربت التسوية من نهايتها المنطقية . وفي اليوم الذي تصبح فيه هذه التسوية مكشوفة وواضحة على انها امبريالية - صهيونية - رجعية . . . في هذا الوقت تتوقف عملية التراجع عن الخط الوطني . . . عن الأهداف الوطنية ، وينكشف خطأ وضرر الشعارات الوسطية والمفاهيم السطحية ، وتتعرى اوهام العناصر والقوى الداعية للتسوية مع الصهيونية فينحاز بعضها نهائيا الى صف الأعداء القوميين والطبقيين ، ويتذبذب بعضها الآخر مبررا وقوعه بهذا الخطأ الفادح بذرائع مختلفة ! . .

ان بلوغ التسوية السياسية لنهايتها المنطقية ، يحدث ارتباكا في صفوف دعاتها ، وان هذا الارتباك يمثل مؤشرا هاما الى ان التراجع الوطني بدأ يتوقف ، بحكم كونه (الارتباك) ينجم عن حالة الحرج التي تصيب العناصر والقوى التي جندت نفسها وامكانياتها لخدمة التسوية والتراجع عن الأهداف الستراتيجية ومعلوم فان التراجع عما هو استراتيجي ، يفرض تراجعا عما هو تكتيكي ايضا بحكم ارتباط

الستراتيجي بالتكتيكي . وبكون التكتيك يرسم لخدمة الأهداف الستراتيجية . ففي وقت يكون فيه الكفاح المسلح والعنف الثوري بكل انواعه واشكاله ، تكتيكا ثوريا لستراتيجية تحرير فلسطين ، فان المسالة والمساومة الرخيصة ، هي التكتيك الملائم للتسوية مع ا لعدو الصهيوني . . . ان افتضاح امر التسوية ، يكشف اوهام دعاتها ويعري خداعهم فيضعف منطقهم ويقزم موقفهم ، ومعلوم فان الضعف في صفوف دعاة التسوية هو قوة لمناهضيها الحقيقيين ! . .

ولكن امر توقف التراجع لا نلحظه في ارتباك المحسوبين على الصف الوطني من دعاة التسوية ، فحسب وانما نلحظه ايضا في خيبة امل الجماهير التي صدقت خداع المستسلمين وتضليلهم ، يوم اقنعوها بضرورة تقزيم ا لأهداف ، بحيث يقزم هدف تحرير فلسطين لهدف الدولة على الضفة والقطاع . ويقزم هذا الهدف القزم الى هدف الكونفدرالية مع الملك حسين ، وينحدر التقزيم لمستوى مثير للسخرية والضحك حين تبلغ المساومة حضيض قبول مشروع ريغن وتخويل ملك الأردن حق التفاوض باسم الفلسطينيين ، دون ان يسأل المسالمون انفسهم : من اجل ماذا طلب من ياسر عرفات تقديم كل هذه التنازلات . . . أمن اجل الشعب الفلسطيني ام من اجل الصهيونية ؟

اذا كان التنازل لسواد عيون الشعب الفلسطيني ، فلماذا يرفضون مجرد الاعتراف به ولماذا يرفضون التفاوض معه ، اذا كانوا فعلا يريدون التفاهم معه ؟

هكذا يقزمون الأهداف ، تقزيما مستمرا حتى ينكشف دجل المستسلمين وخداعهم ، وتصاب الجماهير بخيبة امل تهز مشاعرها

وتحررها من تأثير الأوهام التي غرست بأذهانها ، فيأخذ اليأس من جدوى التسوية المطروحة مداه ، اخذا هو المقدمة الضرورية للانفضاض عن دعاتها ! . .

ان يأس الجماهير من جدوى سياسة المستسلمين ، مرحلة ضرورية لا بد من مرور وعي الجماهير بها . لأنها (الجماهير) في الوقت الذي تكتشف فيه خداع المخادعين وتضليل المضللين ، لا تستطيع رؤية البديل الثوري ، بحكم ضعفه وطغيان نهج التسوية على النهج الثوري . غير ان مجرد تفشي خيبة أمل الجماهير ويأسها ، يعني وبكل تأكيد نهاية مرحلة وبداية مرحلة . اذ طالما ان خيبة الأمل هذه ، تعود على رموز التسوية ودعاتها ، وطالما ان اليأس يعود على سياسة الاستسلام ، فانه يعني انفضاض الجماهير عن المستسلمين ، ولذلك فان ظاهرة اليأس تنطوي على كسب لدعاة استمرار الثورة ، بحكم كون هذه الظاهرة مرحلة عابرة وحالة مؤقتة تنتاب الجماهير لتدفعها بعيدا عن الرموز التي خدعتها وتجبرها على مراجعة موقفها والعودة الى الثورة والرموز الجديدة لاستمرارها .

هذه هي ظروف بلوغ التسوية لنهايتها المنطقية . ولذلك فان قوى استمرار الثورة مطالبة بأن ترمي بثقلها خلال هذه المرحلة لكي تحرر الجماهير من اليأس وتحفزها للانخراط بصفوف ارادة التصحيح واستمرار الثورة . وكلما استطاعت ان تلقى مزيدا من الضوء على طبيعة التسوية ومخاطر الانحراف والارتداد والخيانة القومية كلما كسبت اكثر وتدعمت اكثر . ولكن اليأس شكل من اشكال الوعي الذي لا

تكفي الكلمة المجردة لردعه ، ولذلك فان الممارسة الثورية تطرح نفسها باعتبارها شاهد الاثبات على كفاءة دعاة استمرار الثورة ، وقدرتهم على قيادة المرحلة الجديدة . ان المفهوم العلمي : «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية» يحتاج في مرحلة يأس الجماهير وانكفائها ، الى ان تعاد صياغته ويقرن بالفعل العملي الملموس بحيث يصبح القول : لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ولا نظرية ثورية بدون ممارسة عملية ثورية ! . .

ولدى تأمل انتفاضة قاعدة «فتح» نلحظ القول مقرونا بالفعل ، ومن لم يدرك مغزى انبجاس صوت الرفض من مواقع التماس مع العدو الاسرائيلي وانتزاعها موقعا بعد اخر ، وانحسار مواقع الاستسلام التابعة لأبي عمار الى الوراء بعيدا عن خطوط التماس . . . من لم يدرك مغزى هذه الوقائع لا يمكن ان يدرك معنى الحدث وما يرمي اليه .

ان ارتباط الحدث بالمكان كما ارتباطه بالزمان . ولا يعقل ان تكون طرابلس كما البقاع ، كما لا يمكن ان يكون لبنان كتونس . ان المكان الذي يشغله ابو خالد وابو موسى وابو مجدي وابو صالح وابو علي وقدري وابو أمجد وابو عيسى وابو حازم وابو اكرم ورفاقهم ، له صلة مباشرة بالمعركة وبالتالي بالصراع مع الحركة الصهيونية . في حين ان طرابلس وتونس حيث يقيم ابو عمار وابو جهاد ، لا تتمتعان بهذه الصلة التي سيكون تأثيرها على تطورات الأحداث كبيرا ! . .

ان قادة الانتفاضة لن يكونوا رموزا لكفاح الشعب العربي الفلسطيني الا على حساب الرموز القديمة للثورة الفلسطينية . لذلك فان التراث الذي صنعته «فتح» والذي تجمع في صورة ابي عمار ، كما

يتجمع الضوء في البؤرة ، سوف يعود ليتجمع من جديد في صورة الرمز الجديد . ومثلما ارتبطت انطلاقة الثورة بأبي عمار ، فان تصحيح مسارها ، ينبغي ان يرتبط بقادة الانتفاضة ! . .

الدلالة الخامسة : ضغط على الاصلاحية وتهديد للفاشية

اذا كانت الانتفاضة صفعة لدعاة التسوية والحلول الوسطية الانتهازية ، فانها ستشكل ضغطا كبيرا على الاصلاحية وتهديدا جديا للفاشية ! . .

لقد قام الاصلاحيون ولم يقعدوا احتجاجا على الانتفاضة وتطيرا من نتائجها . ولم تكن قيامتهم مدفوعة بالحرص على الثورة الفلسطينية ، وهم الذين بذلوا كل ما في وسعهم من اجل اخراج المقاومة الفلسطينية والقوات السورية من بيروت ولبنان ، وانما قاموا وتطيروا حرصا على سلامة نهج المساومة الرخيصة . . . نهج ازالة اثار العدوان والاعتراف باسرائيل . وخشية من ان يعود الوضع اللبناني من جديد خاضعا لارادة الثورة الفلسطينية وازدواجية السلطة المفروضة على الفاشية ! . .

واذا كان بوسع الاصلاحيين ان يتعايشوا مع الأمر الواقع الذي يحتمل ان تفرضه الانتفاضة ، فان امكانية التعايش بين الفاشيين من اهل النظام اللبناني وبين الانتفاضة امر لا يمكن تصوره الا في حال تخلي الانتفاضة عن مفاهيمها التي تعتبر الرجعية عدوا من اعداء شعبنا وامتنا الأساسيين .

الآفاق المحتملة لتطور الانتفاضة

ان الكلام عن افاق تطورات «الحدث الفلسطيني الأبرز» سابق لأوانه . وربما اعتبر الخوض به ضرب من ضروب الرجم بالغيب . غير ان القدرة على تحديد اهم دلائله ، تساعد على التعرض لهذا الموضوع ، دون ان تنفي الحذر من التمادي فيه ! . .

وما يمكن ان يقال عن الآفاق المحتملة لتطورات الانتفاضة ، يتمثل بالاشارة الى انها قابلة لأن تمثل حالة ارقى من حالة المقاومة التي كرستها الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني . وقد تستطيع عزل القيادة التقليدية لـ «فتح» وابعادها عن مسرح الفعل الثوري ، كما ابعدت «فتح» الثورة الشقيري عن مركز قيادة المنظمة بيد ان بلوغ هذا المستوى يفرض على الانتفاضة ان ترتقي بفعلها المسلح الى الدرجة التي تجلب انتباه الجماهير وتدعوها لأن تعيد ثقتها بالثورة وبقدرتها على متابعة التصدي لأعدائها الامبرياليين والصهاينة الرجعيين ! . .

ان اهم الشروط التي ينبغي ان توفرها الانتفاضة لنفسها ، كي تكون بمستوى اعادة الاعتبار للثورة ولثقة الجماهير بها ، تتمثل بما يلي :

اولا : المحافظة على وتيرة التحدي لليمين وعدم الخضوع للضغوط الهادفة انهاء الصراع وحسمه باضافة منظمة جديدة الى فصائل المقاومة الفلسطينية . غير ان التزام هذا الموقف يتطلب كي يستقيم المحافظة على تركيبة «فتح» الوطنية وعدم الانزلاق نحو الصيغ اليسارية

الفكرية والتنظيمية ، لكي لا يجد اليمين فراغا يستقر فيه ، اولا ، ولا بد من استمرار واسترداد مواقع الثورة من اليمين ، وابعاده عن خطوط التماس الفاعلة مع العدو الصهيوني عامة ، وعزله عن الساحتين الفلسطينية واللبنانية خاصة ، ثانيا ، وتشكيل مقاومة فلسطينية جديدة ، تعزل اليمين والمتعاطفين معه بتحريض المقاتلين والجماهير الشعبية بالكلام وبالفعل الملموس ، ثالثا . غير ان ذلك لا يعني رفض الاحتكام للمؤتمر العام اذا ما وافق اليمين على شروط انعقاده ، لأن الرفض يعني عدم التزام الديمقراطية وعدم احترام رأي السلطة العليا للقاعدة الفتحوية ، رابعا .

ثانيا : ومثلما تحتاج الانتفاضة كي تكون البديل الثوري لليمين ولكل الداعين او السائرين بطريق التسوية الى الفعل الملموس في الساحة الفلسطينية ، فانها بحاجة لأن ترسي علاقات كفاحية مع قوى الثورة العربية ، متميزة عن العلاقات النفعية ـ الانتهازية التي تقوم عليها علاقات اليمين ومن هم على شاكلته حاليا .

ان الثورة الفلسطينية ، مطالبة بممارسة ثورية ملموسة على الصعيد العربي ، بحيث تلمس الجماهير ان الثورة تعبر عن مشاعرها وتعكس مصالحها وتناهض اعداءها وتدعم كفاحها . صحيح ان الثورة الفلسطينية غير مطالبة بأن تنوب عن قوى الفعل الثوري العربية ، ولكنها مطالبة بالانحياز الى جانب الجماهير وقواها التقدمية والوطنية ، لدى الخيار بين الأنظمة الرجعية وبين الجماهير العربية ! . .

ثالثا : ومثلما تحتاج الثورة الفلسطينية الى اعادة نظر بعلاقاتها مع الجماهير وقواها التقدمية والوطنية في وطننا العربي ، فانها مطالبة بمراعاة

تحالفاتها الأممية على الصعيد العالمي ، بحيث تكون قوة فاعلة من قوى معسكر الثورة العالمية ، لكي تستحق الدعم الذي تحتاجه من الشعوب المناضلة وقواها الثورية .

رابعا : ولكن هذه الشروط جميعها ، قد تجد التعبير عنها بسياسة عامة يمكنها ان تتخطى اشكالات العلاقة بين الحكومات والجماهير الشعبية . بيد ان خيار الثورة ـ اذا ما اضطرت للخيار ـ يجب ان يكون الانحياز الى جانب الجماهير الشعبية . واكثر من ذلك فانها قد تجد نفسها امام خيارين حتى ضمن صفوف قوى الثورة العالمية والعربية . فصيغة «قوى الثورة» هذه فضفاضة وقد تجد الثورة نفسها امام خيارين : قوى اصلاحية واخرى ثورية . وخيارها لدى الاضطرار ، ينبغي ان يكون الى جانب القوى الثورية . ولا يعني هذا الخيار معاداة القوى الاصلاحية بقدر ما يعني تجنب كل ما من شأنه تدعيم النهج الاصلاحي ولجم نمو القوى الثورية كما كانت تفعل المقاومة الفلسطينية .

وتبقى الكلمة الأخيرة بدلا من الخاتمة

هذه هي مقالتي ، صغتها على عجل وقد اعود الى موضوعها ثانية ، تحت ضغط ردود الفعل عليها .

انني حين اقدمت على قول كلمة الحق ، فانما قمت بواجب مدرك لملابسات ادائه مثل ادراكي لموجبات القيام به . وعلى اولئك الذين قد تزعجهم صراحتي ، ان يراجعوا نهجهم ويعودوا الى مواقع الثورة التي صنعوها بكفاحهم المشهود ، بدلا من ان يعميهم الحقد عن رؤية

الانحراف القاتل الذي انزلقوا اليه ! . .

قطعا ، انني لست فلسطينيا اكثر من الفلسطينيين رغم كوني عربيا قبل ان اكون اي انتماء اخر . كما انني لست مناضلا افضل من المقاومين الفلسطينيين الذين كانوا وما يزالون اصحاب مدرسة العنف الثوري التي تعلمنا وما نزال نتعلم منها . ولكن الفترة التي عشتها مع الشعب الفلسطيني الأبي ، عززت ايماني بقدرة هذا الشعب على اجتراح المعجزات ، وليس يعوزه غير قيادة بمستوى استعداده للتضحية والعطاء والفداء . انه شعب مناضل يأبى الخنوع والركوع ، ولكننا ننخدع احيانا فنحول ترددنا وعدم اقدامنا ، بل وجبننا الى صفات نلصقها بهذا الشعب البطل ، لكي نبرر ممارسة ما يترتب على التردد وعدم الاقدام والجبن ! . .

وكنت وما زلت اتمنى الحصول على جواب يفسر معنى الدموع التي ذرفتها جماهير صبرا وشاتيلا التي ودعت بها المقاومة لدى رحيلها من بيروت ! . . .

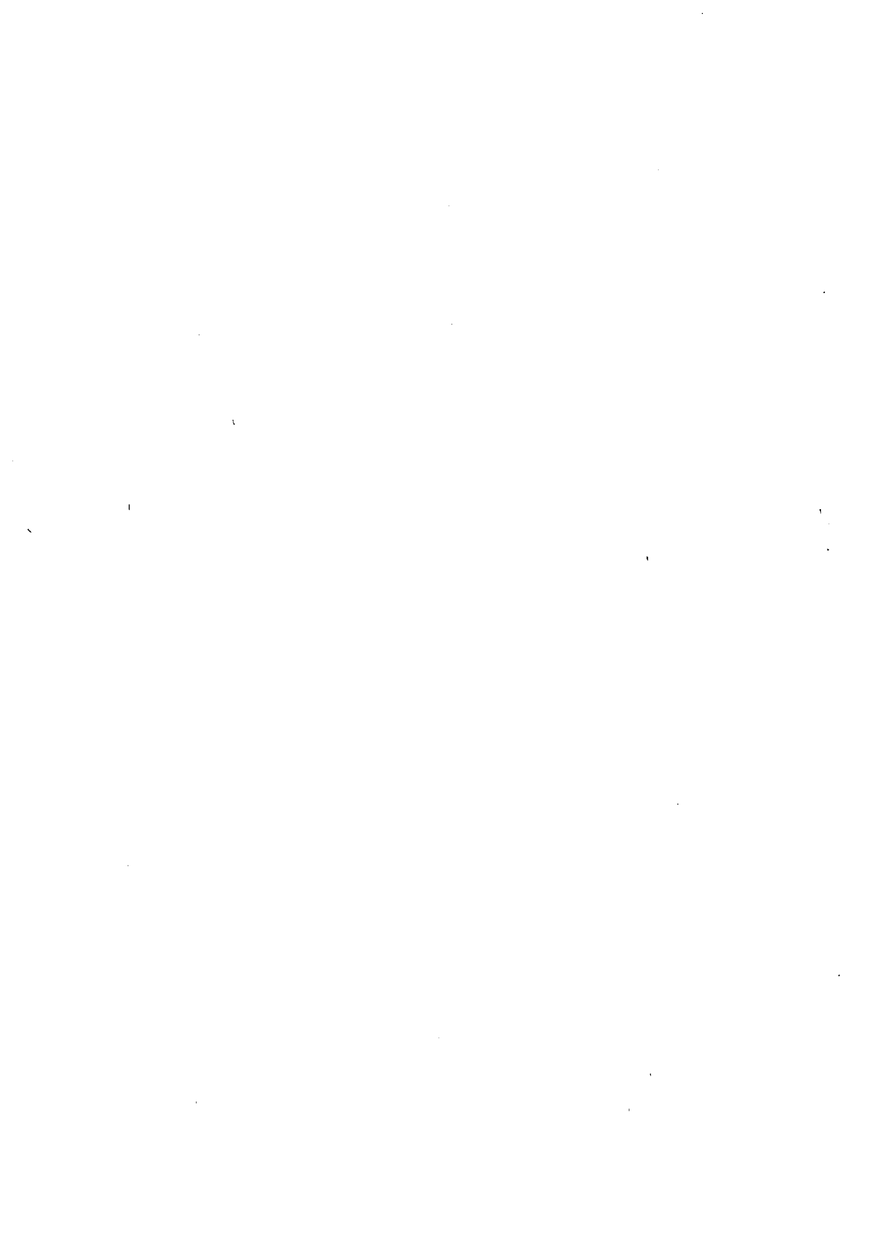
كنت وما زلت انتظر تفسيراً لمعنى علامة «النصر» التي كان يرسمها بعض قيادات المقاومة الفلسطينية كلما غادرت قافلة من المقاتلين خلال ايام الخروج من بيروت ! . .

وحتى احظى بمثل هذا الجواب ـ التفسير ، علي ان اوصم بالغش والخداع والدجل أو عدم الوعي كل من رفع اصبعيه علامة للنصر آنذاك ، لأن دموع الجماهير ، لم تذرف للتدليل على اعتبار «الهروب» من بيروت انتصارا ، وانما ذرفت اعتراضا على مغادرة البنادق لخنادقها ، وخوفا من غدر العدو الصهيوني وبطشه . وقد صدق حدس الجماهير وانكشف دجل القيادات وخداعها وعدم وعيها !

القسم الثاني :

خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان ومستقبل الثورة الفلسطينية

* الفصل الاول : ايها المقاتلون الراحلون ، الى اي هدف ماضون ؟
* الفصل الثاني : الحقائق التي أكدتها الحرب الخامسة
* الفصل الثالث : المحظورات التى بررها حوراني
* الفصل الرابع : ملاحظات هامشية على بيان هامشي



الفصل الاول :

ايها المقاتلون الراحلون
الى اي هدف ماضون ؟



أيها المقاتلون الراحلون
الى اي هدف ماضون[1] ؟

كان متوقعاً ان تتابع اسرائيل غاراتها الجوية وعملياتها الخاصة في الجنوب وغيره من مواقع تواجدكم ، وكان متوقعا ان تجتاح اسرائيل الجنوب وتحتله ، وقد تصل الى بيروت وتحاصرها وكان متوقعاً ان تحدث المجازر الوحشية البربرية ضد الانسان لمجرد كونه انساناً عربياً وطنياً ، بله ، مقاتلاً ثورياً . وكان متوقعاً ان تتمادى قيادة المقاومة الفلسطينية ومن هم على شاكلتها من الحكام واحزاب ومنظمات حركة التحرر الوطني العربية في التسليم بالحل السلمي الاستسلامي القائم على اساس الاعتراف باسرائيل والتفاهم مع أميركا . وكان متوقعا ان يعجز اليسار الفلسطيني عن تجاوز اليمين والاستمرار بقيادة الثورة . وكان متوقعاً أن يؤدي التمادي في التبشير بالحل السلمي الاستسلامي وعجز اليسار عن تجاوز اليمين الى الاندفاع أكثر فأكثر نحو الرجعية وتزيين مشروع فهد ، باعتباره الحل العربي المناسب والملائم لمصالح اميركا وعربها ، بل ، وكان متوقعاً حتى قبول الحكم الذاتي من قبل البرجوازية الفلسطينية في الأرض المحتلة ومن هم على مثالها من فلسطينيي الشتات وقيادة الثورة . كل هذه التوقعات البائسة كانت محتملة ، بيد أن امراً كهذا الذي حدث بالأمس امام انظارنا لم يكن متوقعاً إطلاقاً ! . .

---

(١) سجلت هذه الرسالة في ٢٢ آب ١٩٨٢ ونشرت بـ «صوت المقاومة الشعبية» في ٢٧ آب ١٩٨٢

أي يوم من ايام التاريخ البائسة ، هذا اليوم الاسود الذي تسجلونه بصفحاتكم النضالية الرائعة ايها المقاتلون الفلسطينيون ؟

ويحك يا يوم الواحد والعشرين من آب ١٩٨٢ ، فأي يوم انت في تاريخ ثورة شبت عن الطوق واغتنت بتجاربها الحية ؟

أصحيح ما يقوله المتخاذلون من قيادات المقاومة واوساطها من أن الرحيل انتصار للثورة وانجاز من انجازاتها ؟

وأي انتصار هذا الذي يتحقق بشحن ثورة الى حيث تريد الامبريالية والصهيونية والرجعية ؟

أصحيح ان الثورة لم تخسر في هذا الرحيل والحرب التي أدى اليه غير العلاقات والواقع ومكونات وجودها الزائدة عن اللزوم والفائضة عن الحاجة ؟

وإذا كان صحيحاً ان الثورة لم تخسر في هذا الرحيل والحرب التي ادت اليه غير سلبياتها وامراضها ، فأية ايجابيات حققها وسيحققها رحيلكم الى حيث تريد الامبريالية والصهيونية والرجعية ؟

لقد خسرتم موقعاً نضالياً هاماً لا يضاهيه الأردن خلال مرحلة تواجد المقاومة الفلسطينية فيه حتى عام ١٩٧١ . وفقدتم وجوداً مسلحاً ثورياً علنياً لم يتوفر للثورة في اي يوم من ايام سنواتها المنصرمة . وخرجتم من احضان شعب قل نظيره من شعوب اقطار وطننا العربي الكبير . . . شعب على قلة عدده وصغر مساحة وطنه ، استطاع ان يفعل ما عجزت عن فعله أكبر الشعوب عدداً واوسع الاوطان مساحة واغنى الثروات نفطاً وتخمة . . . شعب صغير ومتواضع ولكنه كبير وعظيم في وفائه للثورة وسخائه في البذل

والتضحية في سبيل الحفاظ عليها ورفع شأنها . وتخليتم عن حماية شعبكم الفلسطيني في لبنان دون ان تقفوا لحظة امام المصير المظلم الذي ينتظره ، وتركتم المخيمات الفلسطينية دون ان تهتموا بصيانة الأسماء الجديدة التي اطلقتموها عليها ، ولم تتأملوا فيما اذا كان بوسع هذه المخيمات ان تبقى معسكرات بعد رحيلكم عنها ، ام ان الجلادين سيعبثون بوجودها وبكرامة اهلها . كل شيء كان متوقعاً ، الآ هذا الذي حدث يوم أمس فلم يكن متوقعاً إطلاقاً . كان متوقعاً ان تحاصر اسرائيل مواقعكم وان تضطروا الى التخلي عنها الى مواقع اخرى أكثر ملاءمة لمقاتلة العدو واستمرار مقاومته المسلحة ، وكان متوقعاً ان تتمكن اسرائيل من محاصرة مواقعكم وابادتكم . كل هذه التوقعات كانت محتملة ومنطقية لانها جزء من طبيعة الصراع بين الثورة والثورة المضادة ، بيد ان ذهاب الثوار الى الميناء كي تشحنهم الامبريالية ليمخروا البحر الى مكان تقرره هي امر لم يكن متوقعاً اطلاقاً ! . .

ان المسألة ايها الرفاق المقاتلون ليست مسألة سلوك البحر ولا هي مسألة باخرة او طائرة ، فانتم قد استخدمتم وسائط عديدة ومتنوعة في صراعكم مع عدوكم الصهيوني وركبتم الزوارق المطاطية وخضتم عباب البحر مراراً عديدة وتعرضتم من جراء ذلك لمخاطر جمة . ولكن الفرق شاسع والبون غير قابل للقياس بين سفر تقررونه انتم من أجل هدف تحققونه وسفر تفرضه عليكم اسرائيل فتقبلونه بضمانة امبريالية . كنتم تركبون الزوارق المطاطية وتشقون عباب البحر الأبيض المتوسط بغية الوصول الى فلسطين وشن هجوم على الصهاينة في عقر مواقعهم العسكرية ، اما اليوم فأنتم تركبون السفن في ظل الحراب الامبريالية ،

راحلين الى اماكن هي المعتقلات بعينها وان كانت عربية . وهل بلغكم يوماً ان تونس بورقيبه كانت مع تحرير فلسطين ومع ثورتكم التي تغذت بتضحياتكم ودماء شهدائكم ؟

وهل بلغكم ان سودان النميري ربيب الخيانة والعمالة حريص على نجاح ثورتكم ؟

الى اين راحلون ايها المقاتلون ؟

وهل لهذا الرحيل علاقة بقوانين حربكم الشعبية التي خضتم غمارها ؟

اين هو دفاعكم الاستراتيجي الايجابي عن شعبكم وثورتكم ؟

وهل بوسعكم ان تتابعوا مقاتلة عدوكم الصهيوني من المواقع التي شحنتكم اميركا اليها ؟

وأي هدف ستحققونه برحلتكم هذه غير المزيد من الركوع والمزيد من الارتماء بأحضان السعودية واميركا ومصر السادات ومبارك شريكه في الخيانة القومية ؟

انه لأمر يحز بالنفس ويذيقها المرارة والأسى ان ينتهي صمودكم الرائع ومقاومتكم التاريخية الباسلة هذه النهاية المثيرة للحزن والرثاء .
لو ان رحلتكم هذه كانت اول رحلة في تاريخكم النضالي لتلمس الانسان عذراً لكم بقلة التجربة وضحالة المعرفة ، أما وانها ليست اولى الرحلات فإن الاستفهام والاستغراب اللذين تثيرهما مشروعان ومبرران بالحرص على سلامة الثورة وضمان استمرارها ! . .

لقد رحلتم عام ١٩٤٨ رحلة حولتكم الى شعب مشرد لاجىء ، ورغم مشاق اللجوء والتشرد ، رفضتم مشاريع الاسكان والتوطين

وفضلتم حياة البؤس والعذاب مع الاحتفاظ بذكرى الوطن والحلم بتحريره واستعادته على حياة الرفاه في كنف الامبريالية والرجعية مقابل التخلي عن الوطن للصهيونية . وقد أكدت الوقائع اللاحقة صحة موقفكم وصواب رؤيتكم وصدق ارتباطكم بوطنكم الحبيب السليب فلسطين ، بدليل تحولكم من تلك الحالة الى الثورة ، وتحول مخيماتكم الى معسكرات لثورة كانت مدرسة للكفاح المسلح وشعلة مضيئة وسط الظلام الدامس الذي يخيم على .وطننا .

وكانت تلك عبرة عظيمة جداً ، وأية عبرة أعظم من تحول شعب لاجيء الى ثورة وتحول مخيمات مشردين الى معسكرات ثوار مقاتلين . ولكنكم لمْ تتمكنوا من استيعاب العبرة التي صاغتها رحلتكم من التشرد الى الثورة كما يجب ان تستوعب . فقد اكتفيتم بتحمل آلام تشردكم واشعلتم فتيل حقدكم القومي على الصهاينة الذين اغتصبوا وطنكم وهجروكم وبطشوا بكم . ومع ان الحقد الذي حملتموه كان مبرراً وعادلاً بيد ان الانغماس فيه قد جعلكم عاجزين عن رؤية الجانب الآخر من جوانب تهجيركم من وطنكم ، عنيت : الجانب المتعلق بمسؤولية الرجعية العربية كما حدث لشعبكم ولوطنكم . فلولا تواطؤ الرجعية العربية مع الامبريالية كما هو الحال اليوم لكان يستحيل على الصهيونية ان تحقق ما نجحت به . ولولا الجيوش العربية السبعة التي استخدمت في حرب تضليلية غير وطنية بغية حجب الرؤية عن انظار الجماهير، لعجزت العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ ، عن تشريدكم واغتصاب وطنكم !..

ألم يمنعوا مندوب فلسطين من حضور اجتماعهم في لبنان رغم انه

معقود من أجل قضيتكم ؟ الم يطلبوا منكم الرحيل ويعدوكم بالعودة الى دياركم بعد فترة وجيزة ؟

فهم ، اذن ، مسؤولون عما حدث وما يزال يحدث لكم ، فكيف سمحتم بإهمال دور الرجعية والامتناع عن التدخل في شؤون انظمتها والمساعدة على ولادة القوى الثورية التي تحمل لواء اسقاطها مثلما تحملون انتم لواء تحرير فلسطين واسقاط الصهيونية !؟

ورحلتم عام ١٩٧٠ ، من عمان والزرقاء واربد الى اغوار الاردن واحراشه رحلة رغم انها كانت تعبيراً عن هزيمة وتسوية مؤقتة لصالح الرجعية الاردنية العميلة ، بيد انها بقيت رحلة ضمن نطاق الأرض المجاورة لفلسطينكم المغتصبة . ورحلتم عام ١٩٧١ ، رحلة كانت تتويجاً لهزيمتكم والتسوية التي اضطررتم لعقدها مع الرجعية الاردنية ، وكان المفترض ان تكون العبرة من هزيمتكم امام الرجعية الأردنية بليغة وحافزة لكم لكي تعيدوا النظر بشعار عدم التدخل في شؤون الانظمة العربية وان تدركوا اهمية تعزيز تحالفاتكم مع قوى الثورة العربية وتوطيد علاقتكم مع الجماهير الشعبية وان تدركوا ان عدوكم الصهيوني لا يستطيع النيل منكم ما لم تسهل له الرجعية سبل الوصول اليكم وبلوغ مواقعكم . فأين هي العبرة واين هو الدرس اللذان استخلصتموهما من تجارب رحلاتكم التاريخية تلك ؟

وهل يمكنكم ان تدعوا استيعابكم لدروس رحلاتكم التاريخية السابقة وترجمتكم لها ؟

وكيف تفهمون مغزى ومضمون رحلتكم هذه في ضوء عبر ودروس رحلاتكم التاريخية السابقة ؟

لقد رحلتم عام ١٩٤٨ ، وكانت رحلة الى الثورة على الاغتصاب الصهيوني ، ولكن ثورتكم بقدر ما كانت تعبيراً عن حقدكم على الصهيونية فإنها وبقدر أكبر انستكم حقدكم على الرجعية ، نسياناً ، عبّر عن رضوخكم لمصادر التموين والإعالة . وكانت هذه اهم ثغرة في مسار ثورتكم واخطر مقتل لها . ان الثورة تعبير عن الرفض للاستغلال والاضطهاد والاستعباد والاستلاب ، وعندما ترهن نفسها لدى مصادر التمويل فإنها تصبح اسيرة اللهف وراء متطلباتها المادية ، وفي هذا التناقض تكمن اسباب الهزائم لأية ثورة ، مهما كانت شجاعة وباسلة . ان الثورة تعتمد لدى قيامها على امكانيات شعبها ، وهي امكانيات ضعيفة وبدائية ، ومع ذلك ، تنشب ويستمر فتيلها بالاشتعال ، تغذيه تضحيات المناضلين ودماء الشهداء ، ولكنها تقع بتناقض قاتل حين تسمح لنفسها بالارتهان لدى مصادر تمويلها ومساعدتها . وقد وقعت ثورتكم بهذا التناقض حين ارتضت ان تسكت على الرجعية وتتهادن معها ، بل وتقمع محاولات الثورة ضدها ! . .

لقد مكثتم في الأردن سبع سنوات ، وانتقلتم من ثورة سرية فقدت اول شهدائها على يد الرجعية الاردنية الى ثورة علنية سجلت اول انتصاراتها الكبرى في معركة الكرامة البطولية . ومكثتم في لبنان خمسة عشرة سنة ، وها انكم راحلون ايها المقاتلون ، فماذا تركتم وراءكم في الأردن وماذا تركتم في لبنان بعد هذه السنوات الطويلة ؟

سؤال وجيه أليس كذلك ؟ . .

قطعاً ، انكم تركتم في لبنان قلعتكم التي كانت توحي بأنها منيعة : راجمات صواريخ ومدفعية بعيدة المدى وسلاح فردي يفوق بما لا يقاس

البنادق الراحلة برفقتكم الى تونس والسودان معتقلاتكم الاختيارية .
فهل اودعتم هذه القلعة لأيد قديرة على متابعة الثورة ام انكم تركتموها كما تركتم قلعتكم السابقة في الأردن تحمل معاناتها وتنوء تحت وطأة اخطائكم والفراغ القاتل الذي خلفتموه لها والذي جعلها لقمة سائغة في افواه الامبريالية والصهيونية والرجعية ؟

أين هي القوى الثورية في الأردن ولبنان التي ساعدتم على خلقها والتي أودعتم لديها سلاح ثورتكم ايها الرفاق المقاتلون الراحلون ؟

وما هي مسؤوليتكم التاريخية عن عدم وجود القوى الاردنية واللبنانية القادرة على حماية مواقع ثورتكم وضمان سلامة شعبكم المتواجد فيها ؟

وهل يغفر لكم التاريخ وشعبنا ان تهملوا اهمية وجود القوى الثورية القادرة على حماية مواقع ثورتكم وضمان سلامة شعبكم ؟

مهلاً ايها المقاتلون الراحلون ، الى اي هدف ماضون ؟

أهكذا هي مسيرة المقاتلين كما المشردين والمهجرين ؟

كيف تتركون عدوكم يدنس ارض لبنان بذريعة تواجدكم عليها ، وترحلون كمن يطلب السلامة لنفسه وليس للقضية التي يناضل من أجلها ؟

مهلاً ايها المقاتلون الراحلون ، الى اين انتم ذاهبون ؟

والقوات الامبريالية المتعددة الجنسيات تعسكر على ارض لبنان تلبية لطلب قياداتكم ، ولتأمين شحنكم الى تونس والسودان واليمن والأردن لتكونوا وديعة لدى الرجعية ورهينة في معتقلاتها ! . .

مهلاً ايها المقاتلون الراحلون ، لماذا انتم صامتون ، لا تنطقون ؟

لماذا لا تنطقون رغم الدهشة المرتسمة على وجوهكم والرفض الذي تطفح به نظراتكم والعذاب الذي يشدد قبضته على مشاعركم .

عفوكم يا مشاعل الحرية ونور الهداية للمضطهدين والمستغلين والمشردين ! . .

عفوكم يا عنوان الاقدام والفداء والتضحية والبطولة ، عفوكم يا من تعبدون طريق التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الأممي بتضحياتكم ودمائكم ! . .

عفوكم ايها الرفاق المقاتلون !

ان تعسفنا بحقكم وان قسونا على مشاعركم ، فانتم للشعب طليعة وللثورة فاعل وللحرية مشعل وللمستقبل امل وللأمل ضمانة ، وحقنا عليكم ان تكونوا معنا وفي مقدمة صفوفنا !

اننا نعلم مدى التضحية التي قدمتموها وعظمة البطولة التي صنعتموها ، فيوم صدر لكم أمر بالمواجهة واجهتم كما تتطلب المواجهة ، ويوم صدر لكم أمر بالصمود صمدتم كما يتطلب الصمود ، فبرهنتم على انكم مقاتلون فعلا وابطال حقا . اننا نعلم ذلك كله ، ونعتز به ونفتخر ، ولكننا لا نستطيع ان نفهم الانضباط للأوامر التي تدفع ثورة الى المصير الذي دفعتم اليه والموقف الذي وجدتم انفسكم فيه ! . .

أيمكن ان يحدث الذي حدث اليوم لولا توفر مقدماته الموضوعية والذاتية ؟

سؤال تتطلب الإجابة عليه ، مراجعة لسياسة ثورتكم ونهج التسوية المعروف بالهدف المرحلي والدولة الفلسطينية التي صوروها لكم ، دولة

مستقلة مقاتلة ، وهدفا مرحلياً على طريق تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني !..

ان السياسة التي وعدتكم بدولة فلسطينية مستقلة ومقاتلة ، واقنعتكم بمرحلية الكفاح ، كي تخفي سعيها الحثيث للاعتراف بإسرائيل ، هي التي سببت لكم هذه الرحلة البائسة . فبدلاً من ان توقظ فيكم روح اليقظة وتحذركم من مغبة الاستدراج للمشاريع التصفوية والحلول الاستسلامية ، راحت تصور لكم احلامها وامنياتها في تحقيق علاقة وثيقة بزعيمة الامبريالية العالمية على انها مكسب لقضيتكم ونجاح لثورتكم ، مع انها تعلم بأن اميركا هي حامية حمى اسرائيل وان اسرائيل قلعة عسكرية للامبريالية في وطننا ، وان الاغتصاب الصهيوني ليس استلاباً للأرض فحسب وانما هو إستلاب للارادة والحرية والكرامة !..

فأية دولة مستقلة ومقاتلة هذه التي يمكن ان تمنحها اميركا لشعبكم ؟

ايها المقاتلون الراحلون

ان التسوية السياسية المطروحة لا تعدو عن كونها حلا استسلامياً ، لا يحقق لشعبكم غير الإلتحاق بإسرائيل والخضوع للحركة الصهيونية كما يلتحق العبد بسيده، وكما يخضع الضعيف للمستبد ، وان الاعتراف بإسرائيل مهما كانت مبرراته لا يعدو عن كونه طلباً لهذا الالتحاق وسعياً للخضوع للصهيونية . ولولا النهج القائم على اساس الاعتراف بإسرائيل لكان يستحيل على اسرائيل والامبريالية والرجعية ان تحقق هذه الانتصارات ، ولتعذر عليهم تدبير مصير لكم كالمصير الذي

يريدونه . لذا وانطلاقاً من هذه الحقائق المرة ، فانتم مطالبون بالتفكير بمصير شعبكم وثورتكم وان تمدوا يدكم الينا رغم الرحلة البائسة التي ابعدتكم عنا لكي نتابع مسيرة الثورة معاً ، ونقطع المسافة التي تفصلنا عن اهداف شعبنا في التحرير والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والتضامن البروليتاري الاممي ! . .

سوية ويدا بيد حتى تحرير فلسطين واقامة الدولة العربية الديمقراطية الشعبية على انقاض دولة الصهيونية والفاشية !

عفوكم ايها المقاتلون الراحلون !

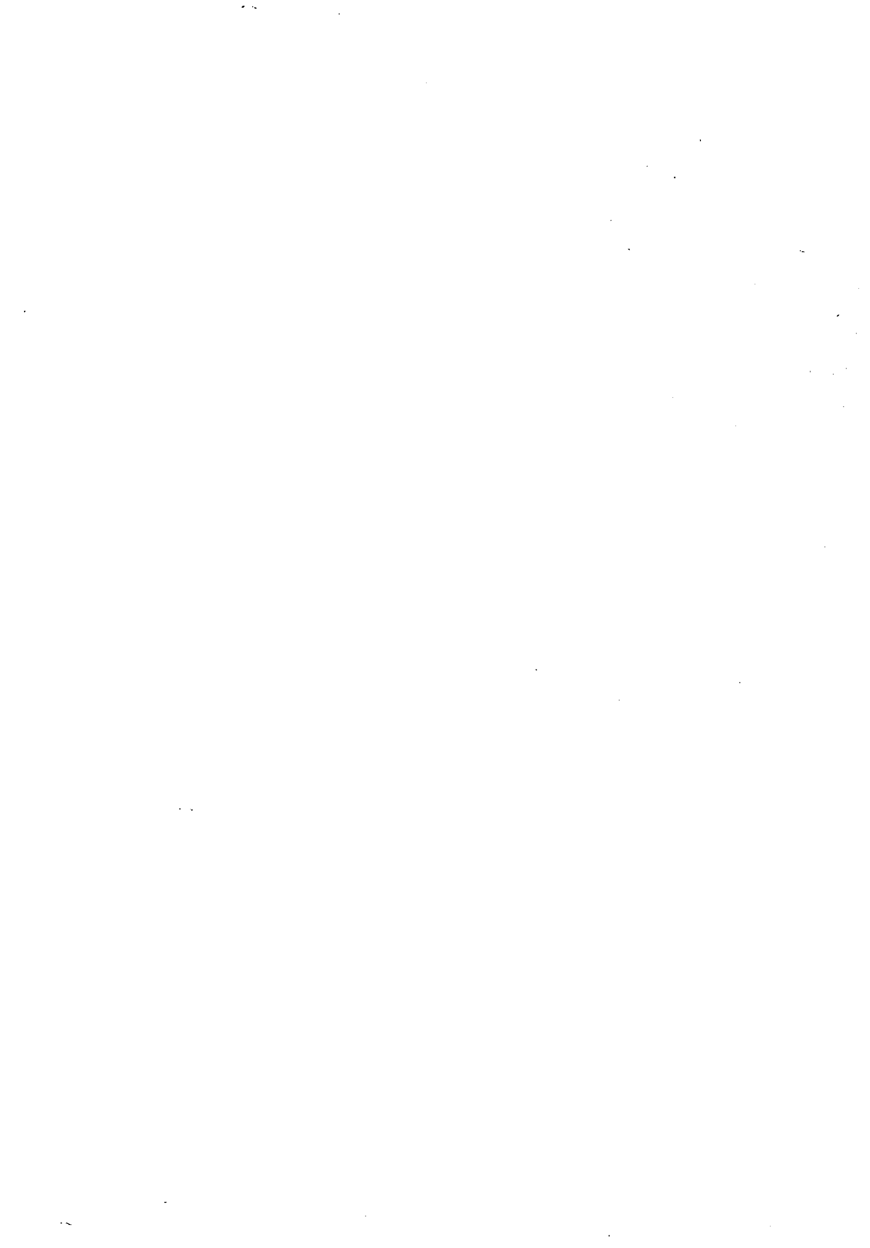
والى اللقاء من جديد على ارض الكفاح والثورة . . . على الأرض التي ستبقى تميد تحت اقدام المحتلين والفاشيين حتى تسقطهم وتتطهر من دنس وجودهم . . . على ارض لبنان وبقية اقطار وطننا العربي الكبير ! . .

عفوكم ايها المقاتلون الراحلون !

والى اللقاء . . . الى اللقاء وان غدا لناظره قريب .

رفيقكم

هاشم علي محسن



الفصل الثاني :

الحقائق التي أكدتها الحرب الخامسة

* ملاحظة واستنتاج
* رؤوس الموضوعات والقضايا المثارة
* الحقائق التي أكدتها الحرب الخامسة



ملاحظة واستنتاج :

يبدو أن رؤية وضع المقاومة الفلسطينية ، بعد خروجها من لبنان ، اسهل على الذين يعيشون معها في هجرتها ، التي عرفها الذين لا يحبون الأرقام المبهمة ، بالهجرة الرابعة ، من اولئك الذين ما يزالون في لبنان ، متأثرين باجواء ذكريات الصمود بوجه الحصار الصهيوني ! . .

أبدي هذه الملاحظة ، كي اشير الى الصدفة التي جعلتني الحظ جريدة السفير البيروتية ، مع بعض القادمين من لبنان ، فأطالعها بنهم من اعتاد عليها ، واشتاق اليها بعد غياب عن موطن صدورها ، واذا بعنوان الصفحة ما قبل الأخيرة ، «منظمة التحرير ودروس الحرب» يجذبني ، فأنكب على قراءته مرة وثانية وثالثة حتى خيل الي ، ان كاتبه واحد من اثنين :

اما انه ، كما يوحي مقاله ، مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية ، واما انه كاتب من كتابها المسخرين لصياغة المفاهيم والقضايا التي تطرحها قيد التداول في «بورصة» المفاهيم النظرية ! . .

فكلام الرجل يوحي وكأنه في موقع المسؤول المطلع على خفايا القيادة الفلسطينية ومكنون اسرارها ، «سنحاول . . ان نستعرض . . الرؤية الفلسطينية لما جرى في الشهور الثلاثة ... وان نضع اليد على اهم الاستنتاجات التي امكن للجانب الفلسطيني ان يتوصل اليها . . .» ، رغم ان الوقت لا يسمح ـ بسبب استمرار دوامة الأزمة ـ «بقول كل شيء بصراحة وموضوعية كاملتين . .» !

ان هذه الاشارات تدل بما يكفي على مركز المسؤولية الذي يشغله الرجل ، والذي يتيح له ان يطلع على «كل شيء» و «يتناوله بصراحة وموضوعية كاملتين» ، في الوقت المناسب ، وان يضع «يده على اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الجانب الفلسطيني » ! . .

وعلي ، ان اعترف ، مع الاعتذار الشديد من السيد فيصل حوراني ، بالشعور الذي انتابني بعد مطالعة مقالته ، والذي جعلني أتمنى أن تكون افكاره ، والمعلومات التي وضع يده عليها ، كما يدعي والدروس التي استنتجها ، مجرد تقديرات شخصية لكاتب لا يهتم بالنتائج الضارة لأفكاره على مستقبل القضية والمناضلين الثوريين في سبيلها ! . .

هذه ملاحظة عابرة ، استميح القارىء ، بعدها صبرا والسيد حوراني استفسارا ، عما يقصده على وجه الدقة ، بالفاظه ومفاهيمه التالية :

اولا :ـ «يجوز القول» ، يرد هذا التعبير تحت عنوان «غزو مقرر وخطة معدة» ، اكثر من مرة .

فما المقصود بقوله :

ـ «يجوز القول ، ان القيادة الفلسطينية ، لم تفاجأ بالاجتياح الاسرائيلي . . الخ» ؟

ـ يجوز القول ، كذلك ، ان القيادة الفلسطينية لم تكن راغبة في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل . . الخ» ؟

الى آخر ما هنالك من تكرار لهذا التعبير ، غير المفهوم كفاية ، فهل يقصد به : «يصح القول» أم أنه يعني «حدود» ما تسمح باباحته

القيادة الفلسطينية التي أملت عليه المعلومات والتقديرات والاستنتاجات التي رأت ضرورة طرحها على لسانه وبقلمه ؟

ان نقيض الفعل : «جاز» هو «منع» ، فعندما نقول : جاز له ان يفعل كذا . نعني : «أبيح له» . لذا ، طلبت استفساراً لما يعنيه السيد حوراني بتعبير «يجوز» ، لأنه غير مفهوم تماماً . فهل هو ينقل ما أبيح له نقله ، وناقل الكفر ليس بكافر ، كما يقال ، ام أنه أخطأ التعبير باستخدام فعل «الجواز» دون التفات للملابسات التي يثيرها لدى القارىء ؟

ثانياً ـ يقول السيد حوراني في الدرس السادس : «الانتباه لاهمية الرأي العام العالمي والرأي العام الدولي اللذين يلعبان دوراً مؤثراً في دعم المطالب الوطنية الفلسطينية . . الخ» هنا نلحظ استخداماً مكرراً لمفهوم «الرأي العام العالمي» فتارة يكون رأياً عاماً عالمياً وطوراً رأياً عاماً دولياً . فما المقصود يا ترى ؟

لولا ورود الاسم الموصول (اللذين) بصيغة المثنى ، لقلنا ان السيد حوراني اراد التأكيد على أن يوم الجمعة يجيء قبل يوم السبت ، وأن يوم السبت يجيء بعد يوم الجمعة !

ان مفهوم «الرأي العام العالمي» يطلق على الاتجاه العام لأغلبية سكان الكرة الأرضية ، ازاء القضايا والمعضلات الدولية ، سواء عبرت عنه الدول أو الأحزاب أوالشخصيات أ والاستفتاءات وما شاكل ! . .

اما اذا كان السيد حوراني يدعي ، أن أحد الدروس التي أكدتها الحرب الخامسة يتجلى بضرورة التمييز بين الدول والجماهير واقامة العلاقة مع الاثنين في آن معاً . . . اذا كان هذا هو القصد فان هذه السياسة قد أدت الى عزل المقاومة الفلسطينية عن الجماهير وأتاحت

للدول مجال محاصرتها وضربها . وما حصل للمقاومة في الأردن وفي لبنان شاهد على خطل هذه السياسة والنظرية التي تدعو اليها !..

ثالثاً ـ يشير السيد حوراني لصمود بيروت البطولي ، إشارة تنتهي الى القول : «ان معركة بيروت قد دخلت على قائمة المعارك الكبرى في تاريخ البشرية للدفاع عن الحرية والشرف الوطني والقيم الانسانية التقدمية بأتم مظاهرها ومعانيها ، ويمكن الان لكل منصف ممن تعنيهم هذه القيم في أي مكان في العالم أن يضيف معركة بيروت الى معارك كومونة باريس وحصار ستالينغراد وكل المعارك الأخرى التي تلهم الأجيال المتعاقبة من المناضلين ، من أجل الحرية» .

فعلاً ، ان معركة بيروت ، قد بلغت مستوى بطولي ، لدرجة تحول معها صمود المدينة الى بعبع مخيف ، ولا نبالغ اذا ما قلنا ان بيروت المحاصرة كانت ، بدورها ، تحاصر سائر العواصم العربية ، فضلاً عن العديد من عواصم العالم . فاسرائيل نفسها قد عانت كثيراً من صمود بيروت ولا يمكن ان يقتنع الانسان ، بان الشعور بالخوف من نتائج استمرار صمود المدينة حتى النهاية ، لم يكن سوطاً يجلد أميركا وبقية البلدان الامبريالية ، كي تتحرك للمساومة المعروفة التي انتهت بخروج المقاومة الفلسطينية !..

نعم ، كان خوف أميركا وعملائها من النتائج النهائية لمعركة الحسم الأخيرة ، أولاً ، وكانت خشية اسرائيل من جسامة الثمن الذي يتطلبه الحسم العسكري ، ثانياً !..

كان الخوف عاملاً حاسماً جعل أمريكا واسرائيل ، ترضخان للأمر الواقع المفروض بفضل الصمود البطولي ، وتعيدان النظر

بموقفهما ومخططهما المرسوم لتصفية المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية !..

ولكن لماذا تناسى السيد حوراني ، معركة عمان والزرقاء واربد عام١٩٧٠ ، ولم يتذكرى سوى كومونة باريس وستالينغراد ؟

ربما أراد عدم التشويش على العلاقات «الكفاحية» الجديدة ، بين المنظمة والأردن ، بفضل «ازدياد وزن منظمة التحرير» وتجنب تعكير صفو اللقاءات بين الفرقاء المتحمسين لمقررات فاس ومبادرة ريغان !..

رؤوس الموضوعات والقضايا المثارة

يمكننا تسجيل رؤوس الموضوعات والقضايا التي أثارها السيد حوراني ، حسب ورودها بسياق مقالته ، على الوجه التالي :

أولاً ـ تأكيده على معرفة القيادة الفلسطينية بالاجتياح الاسرائيلي !..

ثانياً ـ تأكيده على عدم رغبة القيادة الفلسطينية ، في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل على أرض لبنان !..

ثالثاً ـ تأكيده على أن اضعاف منظمة التحرير أو القضاء على وجودها في لبنان يشكل هدفاً مشتركاً لامريكا واسرائيل !..

رابعاً ـ تأكيده على أن عدم تعرض قوات الطوارىء الدولية للجيش الاسرائيلي وعدم مقاومة الشوف للاجتياح الاسرائيلي ، وعدم وفاء البلدان العربية بوعودها ... ان هذه الوقائع قد شكلت ثلاث

مفاجآت للقيادة الفلسطينية ! . .

خامساً ـ تأكيده على أهمية دور غرفة العمليات المركزية ، في معركة صمود بيروت .

سادساً ـ تأكيده على الوحدة الفلسطينية الوطنية التي تجلت إبان معركة بيروت ، وعلى ضرورة الحفاظ عليها ! . .

سابعاً ـ تأكيده على غلبة ، ما يسميه بعامل التناقض الاجتماعي ـ الطبقي على عامل التناقض القومي ! . .

ثامناً ـ اشارته الى تضاؤل العامل القومي فيما يسميه بالصراع العربي ـ الاسرائيلي وترجيحه لزواله على المدى اللاحق ! . .

تاسعاً ـ تأكيده على أن الخبرة التي اكتسبتها العسكرية الفلسطينية من تجربة الحرب الخامسة ، ستكون عامل ضغط على «كافة الأطراف المعنية بالصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني لصالح منظمة التحرير الفلسطينية ! . .

عاشراً ـ تأكيده على أن خروج المقاومة من لبنان وتوزع مقاتليها على البلدان لن يؤثر على مزاج الثورة ، ولن يزيد من تأثير النفوذ العربي عليها ! . .

حادي عشر ـ تأكيده على أن منظمة التحرير ستعيد النظر بتحالفاتها العربية في ضوء حجم الدعم الذي قدمته هذه البلدان للمدافعين عن لبنان ! . .

ثاني عشر ـ تأكيده على أهمية العمل داخل الأرض المحتلة .

ثالث عشر ـ وأخيراً ، تأكيده على «ازدياد وزن منظمة التحرير» وحصولها على ما يسميه بـ «ثمن مجز للجهود والتضحيات التي

بذلتها» !

هذه هي رؤوس أبرز الموضوعات والقضايا التي تعرض لها السيد حوراني ، فماهي شهادة الوقائع بمدى صوابها ؟

الحقائق التي أكدتها الحرب الخامسة

لدى استعراض هذه العناوين علينا قبل الدخول بالحوار الساخن أن نسلم بما نتفق فيه مع السيد حوراني . وأبرز ما يندرج في هذا الجانب ، يتجلى في صحة القول بأن الهدف الأساسي للعدوان الاسرائيلي ، يتمثل في اضعاف المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها ، كما أن التأكيد على صمود منظمة التحرير ورفضها للاستسلام العسكري ، ونجاح قيادة الأخ ابو عمار في نيل الاعجاب مما حقق التفافاً حول موقف الصمود البطولي الذي تجسد أمام الأنظار . . . ان التأكيد على هذه الحقائق موقف يجدر بمن يهتم بالتزام الموضوعية والعلمية ، ان يتحلى به . فلولا التضحيات والمعاناة وتحمل ما فرضه الفاشيون الصهاينة على سكان بيروت ، دون التفات لاي اعتبار انساني ، لدرجة كانوا معها يمنعون دخول أي شيء للمدينة ، وكم من أم تضرعت اليهم كي يسمحوا لها بادخال علبة حليب رضيعها ، فرفضوا بشدة ، لم تتجل بتنفيذ قرار الحصار بقسوة متناهية ، فحسب ، وانما كانوا يهينون الأمهات وينكلون بهن ، لدرجة كانوا ينتزعون قنينة الماء ليسكبوه على الأرض ويدوسون على القنينة بعد افراغها ، وبلغت بهم البربرية مستوى من الانحطاط الأخلاقي ، تمثل في اقتلاع حلم البزازات من

افواه الرضع وسكب الحليب على الأرض رغم توسل الأمهات وبكاء الرضع الذين لا ذنب لهم سوى انهم مصحوبون مع العائدين الى بيروت الوطنية الصامدة !.

ورغم المبالغة بحصر ظروف نجاح الغزو الصهيوني بسياسة كامب ديفيد، وطمس مسؤولية المنظمة في خلق مثل هذه الظروف، نلحظ الصواب واضحاً فيما سجله يراع السيد حوراني في الفقرتين التاليتين :

«في الحروب السابقة، كانت مصالح القوى العربية المستفيدة من قوة اسرائيل ودورها ضد التيارات الوطنية التقدمية تفصح عن نفسها بصورة ملتوية :

بالتخاذل في المساهمة بالمواجهة، وباستثمار وجود الخطر الاسرائيلي لتشديد القمع وإغراق الجماهير بالأعباء، وبالدعوة الى الاستسلام بحجة الواقعية، وبأساليب أخرى من هذا القبيل، أما في هذه الحرب، فالتعبير عن المصالح كان سافراً، وفي الحالات التي نتحدث عنها، أفصح عن نفسه، بغير ما التواء على الاطلاق.

وفي خلفية هذا التطور في التعبير، استند المعبرون عن أنفسهم الى سابقة مصر التي كان لرئيس جمهوريتها أنور السادات، «فضل» التعبير الأول عن مصالح الرجعيات العربية مع اسرائيل، ولأن السادات كسر بعمله حواجز الحياء القومي التي كان أمثاله يتبرقعون بها فلم يعد لأمثاله من الراغبين في تطبيع العلاقات مع اسرائيل والاستفادة من دورها ضد خصومهم ما يخشون من إظهاره. وإذا كانت سياسة كامب ديفيد هي التي ولدت ظروف نجاح الغزو العسكري الاسرائيلي

للبنان وتمييع ردود الفعل العربية ضده ، ذي أيضاً التي أفسحت في المجال أمام بعض القوى اللبنانية لكي تظهر تأييدها صراحة للغزو ورغبتها في الاستفادة من نتائجه» .

ولا بد من الاتفاق التام معه على أهمية وضرورة العمل داخل الأرض المحتلة ، ليس لأنه العمل الوحيد الذي يقوم على الأرض الفلسطينية وجماهيرها الشعبية كما يرى السيد حوراني ، فحسب ، وانما ، لأنه ، وهذا هو الأمر الأهم ، يحمل طابع المواجهة الفعلية المباشرة مع العدو الصهيوني ، بخلاف الكفاح الذي تخوضه الراجمات والمدفعية بعيدة المدى ، وبشكل ، تغلب عليه العشوائية مهما كانت دقة التسديد والتصويب فيه ، وما تميزت به الحرب الخامسة عامة ومعركة بيروت على امتداد الشهور الثلاثة ، يتجلى في هذا الطابع ... طابع المواجهة مع العدو الصهيوني للدرجة التي أظهرت تردده وجبن أفراده وتجنبهم معارك المواجهة البشرية في العديد من المواقع القتالية !..

بعد هذا التأكيد على الجوانب الصائبة فيما دونه السيد حوراني ، علينا أن نلحظ بصراحة الممنوعات الفلسطينية التي اكتفى بالمرور عليها بعبارة خجولة تدعو الى «تجاوز أوجه الخلل والقصور والسلبيات التي علقت بمسيرة الثورة» دون أن يشير ولو بكلمة لماهية هذا الخلل والقصور والسلبيات !

فما هي هذه المحظورات ؟



الفصل الثالث :

المحظورات
التي بررها حوراني

* المحظورة الاولى :
الحديث عن تحرير كامل التراب الفلسطيني
* المحظورة الثانية :
الحديث عن سلبيات علاقات القيادة الفلسطينية
* المحظورة الثالثة :
الحديث عن سلبيات ممارسات القيادة الفلسطينية
* المحظورة الرابعة :
الحديث عن اقليمية المقاومة الفلسطينية
* ويبلغ سيل الاقليمية الزبى
* الاحلام الحلوة ، والوقائع العنيدة



المحظورات التي برزها حوراني :

ان العديد من القضايا التي أثارها السيد حوراني تحتاج للتدقيق وإعادة صياغة تكسبهـا قليلاً من الموضـوعية والعلمية ، وتحررهـا من طابـع التبـرير اللامنطقـي ، الـذي مسـخ معـطيات الحـرب الخامسـة ودروسها الأساسية !..

ان اضطراره لاستخدام الفعل «يجوز» جعله يقفـز على حقائـق باتت تفقأ العين من شدة نفورها ، ولم تعد للثورة حاجة للتستر عليها ، اذا ما تجاوزنا مصلحة الافراد الذاتية .

اننا نحرص على مصلحة الشعب الفلسطيني واستمرار ثور وانطلاقاً من حرصنا هذا ، نرى من واجبنا التحدث عما أحجم الس حوراني عن كشفه ، نتيجة التزامه بالمحظورات الفلسطينية ، ولا ذلك اننا سنقول كل ما يجب قوله ، وانما سنحاول استكمال الجوانـب الغائبة او المبررة ببساطة متناهية . فنحن اذن ، سنحصر النقاش بما أثاره حوراني ، محتفظين ببقية الحديث لوقت آخر . فما هي المحظورات التي يحرصون على عدم التحدث حولها ؟

المحظورة الأولى :

الحديث عن تحرير كامل التراب الفلسطيني !..

يقول حوراني :

«بداية ، يجوز القول أن القيادة الفلسطينية لم تفاجأ بالاجتياح

الاسرائيلي للبنان . وعلى النقيض من ذلك ، توافرت لدى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، قبل الاجتياح بشهور ، معلومات تؤكد أن خطة الاجتياح قد وضعت وان الاستعدادات للقيام به قد أتمت وكانت القيادة على يقين من أن الاتصالات الامريكية ـ الاسرائيلية ، في اطار ما وصف بالتعاون الاستراتيجي بين البلدين ، تناولت مناقشة خطة الاجتياح والاعدادات اللازمة له ، وكان معدّو العملية ينتظرون الجو المناسب الذي يسمح بالشروع في تنفيذها ، ليس الا» .

ان هذا القول صحيح ، بيد أنه لا يمثل سوى جانب واحد من حقيقة الموقف الكامل والمفروض على قيادة الثورة . أما الجانب الآخر ، فيتمثل بما يجب على القيادة اتخاذه من اجراءات احترازية لمواجهة العدوان واحباطه ! . .

نعم احباطه ! . .

وقد تأكدت هذه الامكانية بفضل المقاومة الباسلة والصمود بوجه الفرق الصهيونية الخمس المحشودة في البر والبحر والجو حول بيروت طيلة ثلاثة شهور ! . .

فما هي خطط المواجهة التي اعدتها قيادة الثورة لمواجهة العدوان المعروف والمؤكد وقوعه لديها مسبقا ؟

من غير المقبول ، لاي مفكر او كاتب يقدر مسؤوليته ويحترم الالتزام بالواجبات المفروضة عليه بموجب موقعه النضالي ، ان يتجاهل مثل هذا السؤال الذي طرحته الجماهير على كل لسان منذ اتضحت صورة صمود بيروت البطولي .

لماذا لم يحدث الامر نفسه في الجنوب ، يا ترى ؟

وهل كان بوسع اسرائيل ان تبلغ بيروت لو انها واجهت مقاومة جدية من لدن قيادة القوات المشتركة في الجنوب ؟

لا ريب في ان حوراني يعرف مثلما يعرف كل الناس ، ان قائد القوات المشتركة في الجنوب قد ترك موقعه في صيدا قبل وصول القوات الاسرائيلية اليها والامر نفسه حدث في القطاع الغربي ، فاذا اضفنا قصة سحب تشكيلات بكاملها قبل خوضها لاية معركة من القطاع الشرقي ، فسنكون امام علامة استفهام كبرى ، حول مدى دقة معرفة قيادة الثورة ، لهدف الهجوم الاسرائيلي ؟

وأمام هذه الحقائق علي ان ابادر الى استبعاد اعتبار الجبن سببا وحيدا لهروب هؤلاء المسؤولين الذين تركوا مواقعهم .

فقائد القوات المشتركة لم يخبر أحداً بمغادرته ، مما اضفى على الموقف حيرة وارتباكا ، نتيجة عدم الرد على اسئلة المواقع التي كانت تواجه العدوان . ومسؤول القطاع الغربي ، غادر موقعه قاصداً صيدا وفي الطريق وقع بكمين اسرائيلي ، فأطلقوا عليه النار، فقتل.

واذن ، فان ما تعرفه القيادة ، هو الذي جعل هؤلاء القادة يتركون مواقعهم القتالية ، والذي يسمح حوراني لنفسه بتبريره لدى حديثه عن الايفاء بالوعود المقطوعة لمنظمة التحرير والتي يسميها بالمفاجأة .

قبل ان نسمح لانفسنا بالحديث عن عدم تصدي الشوف للعدوان الاسرائيلي ، علينا اذا كنا ثواراً حقيقيين ومخلصين للقضية التي نناضل من أجلها ان نتحدث عن هشاشة المقاومة في الجنوب في الايام الأولى .

وان نتعلم من اسرائيل ونشكل لجانا للبحث عن التقصير ونعاقب المقصرين بدلا من الاعتداد بالاحتفاظ على هيكلية منظمة

التحرير ! . .

اين صمود الجنوب من صمود بيروت رغم انه الموقع الاساسي ؟

يقول حوراني في تبريره لسياسة البحث عن الحلول السلمية :

«وبداية ، ايضاً يجوز القول ، كذلك ، ان القيادة الفلسطينية لم تكن راغبة في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل على ارض لبنان ، ولذا اتبعت القيادة الفلسطينية سلوكا يستهدف الحيلولة دون توتير الموقف ، ويحرم الجانب الاسرائيلي من اقتناص سبب مقنع يتخذه ذريعة للشروع في الهجوم ، وفي هذا السياق ، قامت القيادة الفلسطينية بكل ما هو ممكن ، وابرز ما فعلته هو تمسكها تمسكا حرفيا بالتزامها بوقف اطلاق النار عبر الاراضي اللبنانية ، طبقا للاتفاق الذي تم التوصل اليه بهذا الشأن في شهر تموز ١٩٨١ ، وحين توالت الاستفزازات العسكرية لا ستدراج منظمة التحرير الى رد واسع ، تجنبت قيادة المنظمة الاستجابة للاستفزاز . أما في المرات القليلة التي تعذر فيها الامتناع عن الرد ، فكان الرد الفلسطيني يأتي محسوبا بأقصى ما يمكن من الدقة ، ولم يتجاوز في أي حال من الأحوال ، حدود الرد الانذاري الذي يؤكد ان الجانب الفلسطيني مستعد للمجابهة ان هي فرضت عليه» .

هنا يكشف حوراني عورته دون وعي منه :

لماذا لم تكن القيادة الفلسطينية راغبة في خوض حرب مواجهة شاملة مع اسرائيل ، طالما ان الحرب مفروضة ومعروفة ؟

سؤال يلخص سياسة بكاملها :

«فكان الرد الفلسطيني يأتي محسوبا باقصى ما يمكن من الدقة ،

ولم يتجاوز في أي حال من الأحوال حدود الرد الانذاري الذي يؤكد ان الجانب الفلسطيني مستعد للمجابهة ان هي فرضت عليه» .

اية سياسة ثورية هذه التي تبنى على اساس الردود الانذارية ، والتي تجعل القيادات تبحث عن سلامتها كي تحفظ حصتها من «الثمن المجز» الذي وعدت به منظمة التحرير الفلسطينية ، من قبل الذين يملكون أوراق الحلول السلمية التي تنسجها رسل الامبريالية الامريكية !

ان سياسة عدم الرد وتجنب المواجهة تذكرنا بسياسة السادات التي سمحت لاسرائيل بتسجيل بطولة عبور القناة من ثغرة الدفرسوار والتلكؤ في مجابهتها حتى تمت السيطرة لها وطوقت الجيش الثالث ليكون حجة السادات في ولوج خيمة الكيلو متر ١٠١ وعقد اتفاقات كامب ديفيد . ولولا هذه السياسة لاستحال على اسرائيل الوصول الى بيروت وقد اكدت الوقائع هذه الحقيقة ! . .

يقول حوراني :

«وبداية ، وايضاً ، يجوز القول مرة ثالثة ، ان الجانب الفلسطيني ادرك على نحو قاطع ان اسرائيل ستهاجم لبنان ، وان دوافع اسرائيل للهجوم لا تتصل بالنشاط الفلسطيني وحده ، وكان في يقين الجانب الفلسطيني ان هذه الدوافع تنطلق من اعتبارات اسرائيلية وأمريكية اخرى . واذا كان من المؤكد ان اضعاف منظمة التحرير او القضاء على وجودها في لبنان يشكل هدفا مشتركا للسياستين الامريكية والاسرائيلية ، فان للجانبين معا ، ولكل منهما على حدة ، اهدافا اخرى تتصل بالرغبة في استكمال الهيمنة الامريكية على منطقة الشرق الاوسط

وفي ضرب أسس الرفض العربي لاتفاقات كامب ديفيد ، وفي ملاحقة الوجود السوفياتي في المنطقة ، وفي تصفية المواقع المعادية للامبريالية والصهيونية فيها ، وفي ترتيب اوضاع لبنان بحيث يفقد موقعه كنقطة استقطاب للنضالات الفلسطينية والوطنية اللبنانية والعربية المماثلة ، وتحويله ، الى عكس ذلك ، الى مرتكز يتمركز فيه النفوذ الامريكي والاسرائيلي ويمتد منه ليؤثر على سورية وسواها من بلدان الشرق الاوسط .

وفي اليقين ، ان منظمة التحرير ، بما هي في حد ذاتها وبما تستقطبه من قوى ، وبما تحفزه من نضالات سياسية واجتماعية . وبما تقدمه من امثولة لفعالية الفئة القليلة في وجه الجبروت الامبريالي - الصهيوني ومحاولات فرض هيمنته على الشرق الاوسط ، شكلت الهدف الاول للحرب التي شنتها اسرائيل ، على اساس ان القضاء على وجود المنظمة في لبنان هو مفتاح تحقيق الاهداف الاخرى للحرب ، وبدونه ، اي بدون القضاء على وجود المنظمة يتعذر تحقيق تلك الاهداف .

وفي ضوء هذا كله ، لم يكن الاجتياح الاسرائيلي للبنان مفاجئا ، وكذلك ، لم يكن الدعم الامريكي لاسرائيل ، والعمل الامريكي المدروس لتغطية عدوانها الجديد ، مفاجئين»

ألا نلحظ لدى قراءة هذا الكلام تناقضا بين التزام سياسة عدم الرد ، والادعاء بان القيادة الفلسطينية كانت مدركة ان العدوان الاسرائيلي يستهدف راسها قبل أي شيء آخر .

اذا كان هذا الادعاء صحيحا ، فلماذا تراخت المقاومة في الجنوب ، واشتدت في بيروت ؟

أليس لان هدف هذه الهجمة الاول لم يتضح تماما ، الا بعد تطويق بيروت ومحاصرتها ورفض اقتراح القيادة الفلسطينية ، القاضي بفك الاشتباك بين الجيش الاسرائيلي والقوات المشتركة ، على غرار ما تم على الجبهات العربية الاخرى ، بغية ، تسجيل خطوة على طريق الاعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل ؟

عجيب امركم ، ايها «المنظرون» ، كيف تتجاهلون معركة الكرامة ، والخلل الذي وقع في الجنوب ، وتتغنون بمعركة بيروت ولعابكم يسيل على فتات ما يمكن ان ينجم عنها من «ثمن مجزٍ» رغم علمكم بان هذا الثمن هو ثمن تصفية الثورة وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل والتفاهم مع امريكا !

عام ١٩٦٨ ، تستطيع الثورة وهي ما تزال يافعة ، الحاق هزيمة باسرائيل وعام ١٩٨٢ ، تقطع اسرائيل مئات الكيلومترات دون عوائق جدية حتى تبلغ بيروت وتلحق هزيمة بالثورة رغم القوة التي باتت الثورة تمتلكها ! . .

أما سر هذه المفارقة ، فيتجلى في ان القتال بمعركة الكرامة كان من أجل الثورة وفي سبيل استمرارها وصمودها ، أما الآن فان القتال يوّظف في سبيل الحل السلمي وليس من أجل تحرير فلسطين ، ولذلك يندرج تناوله ضمن نطاق القضايا التي يمنع التحدث عنها ، خارج اطار التبرير وتزيين فضائل انهاء الصراع العربي ـ الصهيوني الذي قزمه حوراني الى الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني ! .

المحظورة الثانية : الحديث عن سلبيات علاقات القيادة الفلسطينية !

يتحدث السيد حوراني تحت عنوان : «مفاجآت ليست في الحسبان» عن ثلاث مفاجآت : اولها حول عدم اعتراض قوات الطوارىء الدولية للقوات الاسرائيلية ، وثانيها حول انعدام المقاومة للاجتياح الاسرائيلي في منطقة الشوف ، أما المفاجأة الثالثة فيقول عنها :

انها «تمثلت في ظهور هشاشة الوعود بالدعم التي سبق لمنظمة التحرير ان تلقتها من عدد من الدول العربية فبعض هذه الوعود لم ينفذ على الاطلاق ، وبعضها الاخر نفذ على نحو لايفي ابدا بالحاجات التي فرضها حجم الغزو وحجم القوات الاسرائيلية والاسلحة المشتركة فيه ، وقد ادى التلكؤ في تقديم الدعم في بعض الحالات والنكوص عن تقديمه في حالات اخرى الى وضع توجب فيه على القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة ان تقاتل بوسائلها المحدودة جيشا مهاجما تجاوز قوامه المائة الف وتفوقت تجهيزاته بما لا يقاس على مثيلاتها لدى مقاوميه ، بالاضافة الى تمتع الجيش الغازي بالسيطرتين الجوية والبحرية الكاملتين .

وهذا السبب بالذات كان له اكثر من أي سبب آخر ، الاثر الحاسم في املاء اسلوب القتال التراجعي ، على اساس التمترس في المواقع المستهدفة اطول مدة ممكنة وتوجيه الجهد لعرقلة تقدم المهاجمين بقدر الامكان وايقاع اكبر الخسائر البشرية والمادية في صفوفهم ،

والعميل ، في الوقت نفسه لاستنهاض اوسع شجب عربي وعالمي ممكن ضد العدوان من أجل تحسين الموقف التفاوضي لمنظمة التحرير وحلفائها»

كيف يمكن ان يكون الكلام موضوعيا ، وهو يتجاهل كلية ثغرات واخطاء وهفوات سياسية ومواقف وممارسات القيادة الفلسطينية ، ويسمح بتوزيع الصواب كله للكفة الفلسطينية والخطأ كله لكفة الاطراف الاخرى ؟

فعلا ان اختراق منطقة قوات الطوارىء الدولية ، دون اعتراض منها ، امر مفضوح وغير متوقع ، ليس لان التواطؤ مستبعد من قبلها وانما الذي حدث يفضح بشكل صارخ الحياد الشكلي المفترض فيها التزامه ! . .

ولكن هل يصح لقيادة ثورة يفترض انها ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، ان تثق بقيادة هذه القوات وان تطمئن للدرجة التي يصح معها القول :

«ما زال من غير المفهوم الى الآن ، لماذا اخترقت القوات الاسرائيلية منطقة تواجد القوات الدولية دون عائق على الاطلاق» . . ؟

ان هذا الكلام اقل ما يمكن ان يقال فيه انه تبرير للاهمال ، ووضع الثقة بغير محلها . فأين اليقظة الثورية واين الحذر المفروض ان تتحلى به قيادة الثورة يا ترى ؟ ثم ألم تخترق القوات الاسرائيلية منطقة القوات الدولية دون عائق اكثر من مرة ؟

فاذا كان الخرق يحصل في الظروف الاعتيادية ، ومن أجل

عمليات محدودة فكيف لا تتوقع القيادة الفلسطينية احتمال خرقه بالقوة أو بالتواطؤ ، في ظروف الحرب الاستثنائية[1] .

أما اجتياح اسرائيل لمنطقة الشوف الاعلى بدون مقاومة فامر مثير للدهشة فعلا ، بحكم مركز الاستاذ وليد جنبلاط في الحركة الوطنية ، ولكن هذه المنطقة كانت مقفلة بوجه المقاومة مما جعلها خارج حسابات المواجهة العسكرية مع اسرائيل ، من الناحية الفعلية ! .

أما عن دور القوات السورية المتواجدة في مناطق الاجتياح ، فلا يجوز ان يطلب منها اكثر مما يطلب من قوات جيش التحرير الفلسطيني . اعني كان عليها ان تعيد توضيع نفسها كي تستطيع لعب دورها ، وقد شهدنا لها دورا قتاليا شجاعا ومشرفا في بيروت والبقاع رغم انها قوات نظامية تفتقد للغطاء الجوي الذي يعتبر امرا حيويا بالنسبة لها ! .

بعد هذه الملاحظات السريعة علينا ان نقف امام موضوع وعود البلدان العربية والدعم المفقود الذي يتخذ منه كاتب «شؤون فلسطينية» قميص عثمان لتبرئة ساحة القيادة الفلسطينية وكأنها الذئب الذي اتهم بدم ابن يعقوب !

---

(١) بعد انصرام عشرين يوماً على كتابة هذه المقالة صرح كالاهان قائد قوات الطوارىء الدولية ، مدافعاً عن موقف قواته : «وهل توقع أحد من قوة حفظ سلام لم تكن منتدبة أو مسلحة أو منظمة أو معدة لمهمة وقف غزو عسكري لعضو في الأمم المتحدة اختار عدم التعاون كلياً ، فأنا لا أظن ذلك» ؟

صحيفة السفير البيروتية الصادرة بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٨٢

ان مفكرا من مفكري حروب التحرير الشعبية أو كاتبا يسمح لنفسه بتبني قولا «وقد ادى التلكؤ في تقديم الدعم .. الى ان تقاتل - القوات المشتركة - بوسائلها المحدودة» لا يستحق غير التأنيب . فأية سذاجة هذه التي تنتظر دعما من الأنظمة العربية يمكن ان يجعل وسائل القوات المشتركة غير محدودة وغير عادية ؟

اذا كانت طاقات الانظمة بكاملها ، تشكو من الاختلال والضعف أمام القوة الاسرائيلية ، فكيف يصح لقيادة ثورة تلتزم نهج ومبادىء حرب الشعب ، ان تنتظر منها دعما يجعلها تتفوق على اسرائيل ؟

سامحك الله ، ياسيد فيصل حوراني ، وغفر لك هذه المفاجآت يوم الحشر والحساب ! ..

ولكن مع ذلك ، دعونا نمشي مع الكذاب الى عتبة الباب ، لكي نتساءل ، اية بلاد عربية يعني السيد حوراني ؟

لنفترض جدلا انه يعنيها كلها . وانطلاقا من افتراضنا هذا فاننا نصنفها الى ثلاثة اصناف :

اولا - مصر والسودان وعُمان والاردن ، لا يصح ان نتوقع منها دعما بحكم طبيعة علاقتها مع المقاومة الفلسطينية .

ثانيا - السعودية والبلدان الخليجية والعراق والمغرب ، لا تستطيع ان تلتزم بدعم يرقى الى مستوى ردع العدوان الاسرائيلي واحباطه ، بحكم كون هذه البلدان مشغولة باوضاعها الداخلية من جهة ، فضلا عن ان علاقاتها مع امريكا لا تسمح لها بالتمادي في مواجهة اسرائيل ، بله ردعها من جهة اخرى .

ثالثا ـ وأما سورية وليبيا والجزائر واليمن الديمقراطية فلا يتوقع منها اكثر مما قدمت فالجزائر واليمن الديمقراطية قدمتا الدعم المعنوي المنتظر منهما ، أما ليبيا فمعروف انها قدمت اقصى ما تستطيع تقديمه من دعم مادي تمثل بالمال الوفير لكافة المنظمات الاساسية ، وتجسد بالسلاح الذي كشفت غزارته الكميات الهائلة المصادرة ، فضلا عن اعداد قواذف الـ «م . د» وذخائرها ، التي وفرها عدم خوض معركة مواجهة اقتحام اسرائيل لبيروت وقت وجود المقاومة ، نتيجة خروجها بموجب التسوية المعروفة ، ان هذه الشواهد كلها تدل على ان وجود السلاح كان فائضا عن الحاجة حتى انسحاب المقاومة من بيروت !

وتبقى سورية ، التي لا نظن ان احدا يلتزم الموضوعية ويسمح لنفسه بالقول انها كانت تعد قيادة منظمة التحرير بالدعم الذي يتحدث عنه حوراني فكلنا يعرف ان عدم الانسجام ، ان لم نقل الاقتتال هو السمة الغالبة على العلاقة بينها وبين قيادة منظمة التحرير وقد بلغ الامر حدا من التردي ان بعض الاوساط السورية اتهمت بعض اطراف منظمة التحرير بمؤازرة الاخوان المسلمين في حلب وغيرها من المدن السورية . ومع انعدام الانسجام في الموقف والرؤية ، لا يصح الادعاء بوجود وعود ترتقي لمستوى احباط الهجمة الصهيونية !

فأية بلاد عربية ، هذه التي يتهمها السيد حوراني ، بالتلكؤ والنكوص عن تقديم الدعم المقرر بوعود مسبقة ؟

لقد نقلت مصادر ثقة عن لسان «مسؤول كبير» بقيادة منظمة التحرير أنه قد تلقى وعدا من لدن حكام السعودية ، بخوض المعركة والصمود فيها لمدة ثلاثة أيام وبعدها يتم فك اشتباك ، يكون خطوة على

طريق الاعتراف الامريكي بالمنظمة ، وقيام الدولة الفلسطينية ! .

فإذا صدقنا هذا الكلام ، واخذناه على محمل الجد ، فعلينا ان نتساءل :

إذا استثنينا السعودية والمغرب ومصر وبقية الرجعيات العربية فمن هو البلد الذي بوسعه كيل الوعود لمنظمة التحرير ، طالما ان مطلبها مرهون بامريكا وموقوف على دعمها ؟ !

سؤال لا نظن ان السيد حوراني يجهله ، رغم الحظر المفروض على الكلام بصراحة حوله ! . .

إن قضية «التلكؤ والنكوص» عن تقديم الدعم ، مشارة هنا بشكل يدعو الى السخرية من افكار يفترض فيها ان تكون السلاح النظري لثورة تعتمد نهج حرب التحرير الشعبية في مواجهة استعمار استيطاني . فمن اين جيء بالسيد فيصل حوراني ليقوم ، بمقارنة بين نوعية السلاح الاسرائيلي ونوعية السلاح الفلسطيني ، كي يقول بعدها بسذاجة مفرطة ، ان القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة - اضطرت - للقتال بوسائلها المحدودة جيشا مهاجما تجاوز قوامه المائة الف وتفوقت تجهيزاته بما لا يقاس على مثيلاتها لدى مقاوميه . . ؟!

ليس هكذا يبرر الخطأ وترمى المسؤوليات من عاتق الى عاتق ، اتعرف ياسيد حوراني . ان الاخذ بحججك هذه يعني فيما يعني ادانة صارخة لقيادة القوات المشتركة وقائدها العام بالذات ، لان وسائل القوات المشتركة لا يصح ان تبقى محدودة - حسب منطقك - ويجب ان ترقى لمستوى التوازن مع وسائل القوات الاسرائيلية ، بعد ان مضى على قيام الثورة ثماني عشرة سنة ، والثورة الفلسطينية معروفة بكونها اغنى

الثورات في العالم !

ان وسائل القوات المشتركة ياسيد حوراني كانت وستبقى محدودة ولا يصح الحديث عن تطويرها ، بالشكل الساذج الذي تتخيله ، لان وسائل حرب الشعب حسب قانونها العام محدودة وضعيفة وبدائية ، ولكن عنصر الارادة . . . ارادة القتال لدى الشعب ، هو الذي يجعل كل وسيلة ذات فعالية عالية ، مهما كانت ضعيفة وبدائية ، لذا فان تطوير هذه الارادة وتدعيمها ، هو العنصر الذي نتفوق به على اسرائيل واي حديث عن وعود لم تنفذ لا يعدو عن كونه تكرارا لحديث محمد حسنين هيكل عن دور الباخرة الامريكية «ليبرتي» في فك شيفرة القوات المصرية مما اربكها ومكن اسرائيل من الحاق الهزيمة بها !

وإليك يا سيد فيصل حوراني بعض الامثلة على ما لأرادة الانسان من قابلية على تقزيم بعبع التفوق العسكري والتقني الامبريالي :

هناك . . . قرب مخيم البرج الشمالي ، تقدمت امرأتان الى الحارس الاسرائيلي ، وما ان اقتربتا منه ، حتى اخذته احداهن بحضنها وكتمت انفاسه ، أما الثانية فطعنته بسكين كانت تحملها لهذه الغاية ، فأردته قتيلا !

لاحظ امرأتان واحدة تكم فم الاسرائيلي والاخرى تطعنه ، دون ان تحسبا حسابا للموت المؤكد الذي ستواجهانه ! . .

واليك مثال آخر : فتى فلسطيني في مخيم عين الحلوة ثار غضبه لحظة مرور الضابط الاسرائيلي ومرافقيه في المخيم بعد ان تأكدوا من استسلامه ، فهجم عليه ببندقيته وارداه قتيلا في الحال ، دون ان يحسب

حسابا للموت بعد ذلك ايضاً ! . .

ومثال ثالث ايضا : شيخ طاعن في السن حضر مع من حضر من الشيوخ والنساء والاطفال بناء على طلب الاسرائيليين ، ولدى وقوفه أمام الضابط الاسرائيلي سمع سيلا من الشتائم والفاظ التحقير على مرأى من الجمع المحشود عند مخيم عين الحلوة فلم يتمالك نفسه ، فبادر الى ركل الضابط الاسرائيلي على الموقع الحساس في أسفل بطنه فخر مغميا عليه من شدة ركلة ذلك الشيخ الأبي الذي صرخ بوجه الضابط : «لو كانت عندي بارودة لاطلقت النار عليك» ، قبل ان يطلق الجنود الاسرائيليون النار عليه ويستشهد في الحال ! . .

ويفترض ان قيادة الثورة ابلغت السيد فيصل حوراني الواضع يده على اسرارها ، إن نساء مخيم عين الحلوة كن يحملن الذخائر للمقاتلين ويزغردن لكل قذيفة ب ٧ تدمر آلية اسرائيلية على مداخل المخيم ! . .

هكذا تفعل ارادة الشعب عندما يطلق عنانها ويفسح لها مجال التعبير عن حقدها القومي والطبقي ! . .

ان وسائل الحروب ، اما ان تكون جيوشا نظامية وتنطبق عليها محاكمة السيد حوراني وتصوراته ، وأما ان تكون طلائع شعبية منظمة تخوض حرب تحرير تبدأ بوسائل بدائية جدا ثم تتطور الى جيوش شعبية ، لكنها لا تحتاج لانواع عديدة ومهمة من انواع الاسلحة التي تستخدمها الجيوش النظامية ، وفي مقدمة الاسلحة النوعية التي لا يحتاجها مقاتلو الحروب الشعبية ، سلاح الطيران وسلاح الدبابات التي قد تستخدم بنطاق محدود احيانا لكونها مرتبطة بحاجتها للغطاء

الجـوي . علاوة على الاختـلاف بـين الانظمـة التـي تحـكم الجيوش النظامية وانظمة العصابات وجيوش التحر ير الشعبية ! . .

ثم ان امتلاك صاروخ قيل انه قادر على تدمير مستعمرة يهودية ، لا يقدم حلا للمعضلة التي هي معضلة فكرية ـ سياسية قبل ان تكون معضلة عسكرية .

ان السيد حوراني ، ورط نفسه باتهام الذين دافع عنهم بالتقصير وعدم تطوير وسائل القوات المشتركة اولاً ووقع بتناقض مع نفسه حين ادعى بأن القيادة الفلسطينية لم تكن راغبة بخوض حرب شاملـة مع اسرائيل على ارض لبنان ، لان البحث عن تطوير وسائل الحرب يعني عزمـا وتصـميا على خوض الحـرب بجـدية وشمـولية ثانيا ، ونتيجـة للمقدمات الخاطئة التي اعتمدهـا لصياغـة مفاجآتـه ، فقـد انتهـى الى استنتاجات خاطئة ، فكونه تخيل ان الدعم الذي وعدت به قيادة المنظمة كان كفيلا بايقاف اسرائيل ودحر عدوانها ، فقـد استنتـج ان «التلـكؤ والنكوص» فرض على القوات المشتركة اسلوب القتال التراجعي ، علما بأن اعتماد هذا الاسلوب ، ليس ناجما عن فقدان الدعم اطلاقا وانما هو الاسلوب الـذي تعتمـده جيوش التحـر ير الاضـعف لدى مواجهتهـا للجيوش النظامية الاقوى ، اعتمادا محسوبا ومقـدرا على غـير القواعـد والاسس التي يعتمدهـا كتـاب «شـؤون فلسـطينية» ، بحيث تدخـل الارض والجماهير في المعركة لتكون عناصر فعالة : فكلما اتسعت رقعة الاحتلال بعد المواجهات الجدية ، كلما زادت متاعب العدو وضعفـت قواه ، ودخلت العصابات بحواضن الجماهير للعمـل على ضرب أمـن القوات المعادية واقلاقها وضعضعة معنوياتها وإعاقة تقدمهـا ، الأمـر

الذي يمكن قيادة الثورة من تنظيم الهجوم المضاد وازاحة العدو من مواقع احتلاله وإعادة تحرير الأرض من جديد ! . .

واذن ، فان القوات المشتركة لم تلجأ لاسلوب القتال التراجعي بسبب افتقادها للدعم اطلاقا وانما فرضته عليها طبيعة القوانين التي تلتزمها ، ومهما كان نوع الدعم الموعود فليس بوسعه ان يفعل اكثر من تصليب المواجهة مع العدو ، أما اذا كان القصد ان تستغل الانظمة العربية العدوان الاسرائيلي وتشن حربا شاملة . . . اذا كان هذا هو ما قصده السيد حوراني ، فان الوقائع السابقة للحرب لا تدل عليه ولا تشير مجرد اشارة الى احتمال وقوعه ، ثالثا ، ووقع السيد حوراني ، بتناقض آخر :

فحين نقول عن الحرب الخامسة انها اطول الحروب العربية مع اسرائيل ، وحين نصفها بالبطولة والصمود وما الى هنالك من صفات ونعوت تستحقها هذه الحرب وابطالها البواسل ، فاننا نقع بتناقض حين نشكو من «التلكؤ والنكوص» عن الدعم ، فاما ان تكون امكانياتنا الضعيفة لا تسمح لنا بالمقاومة والصمود البطولي وأما ان تكون الهزيمة واقعة بسبب عوامل اخرى غير عوامل «الوسائل المحدودة» ! . .

لقد قاتلنا وصمدنا مدة ثلاثة شهور ورغم التراجع السريع جدا في الجنوب نتيجة خطأ في تقدير أهداف الحرب وغاياتها ، فقد استمرت الحرب فترة طويلة ، ومع ذلك كان السلاح فائضاً عن الحاجة ، فلماذا اللف والدوران حول قضايا باتت من شدة وضوحها مفضوحة أمام الجميع ، رابعاً ! . .

المحظورة الثالثة :
الحديث عن سلبيات ممارسات القيادة الفلسطينية

يقول السيد حوراني : «أما على الساحة الفلسطينية الصرفة ، فان حرب الشهور الثلاثة - وهي ثاني أكبر حرب فلسطينية - اسرائيلية بعد حرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨ افرزت وحدة في الموقف الفلسطيني ، لم يسبق ان تحققت في أي ظرف آخر ، ولعلها لن تتحقق بهذه القوة والشمول الا في ظرف مماثل ، ففي مواجهة الغزو ، تحققت الوحدة الكاملة للمقاتلين ووحدة القيادة العسكرية بكل ما يستتبعه ذلك من توحيد للقرار وادارة العمليات والخدمات والتنفيذ وفيما تولى ياسر عرفات بوصفه القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ورئيس اللجنة العسكرية للمنظمة الاشراف المباشر على ادارة المعركتين العسكرية والسياسية ، تولت غرفة العمليات المركزية واجباتها بالنسبة لجميع الوحدات المقاتلة بصرف النظر عن الانتماء التنظيمي ، فيما عمل الامناء العامون للفصائل الى جانب ياسر عرفات كفريق سياسي واحد ، وصدرت كافة القرارات بالاجماع ، وكما أشير إلى ذلك من مصادر عدة ، فان ما انجز في ميدان تعزيز الوحدة الوطنية في الشهور الثلاثة يفوق كل ما انجز عبر الجهود التي بذلت في السنوات السابقة ، وبالطبع ، فهذا الانجاز الجديد ما كان له ان يتحقق بسبب ظروف الحرب وحدها لو لم تكن الارضية ممهدة قبل ذلك ، أي لو لم تتوفر من قبل الهوامش

المشتركة الواسعة التي يلتقي حولها الجميع ، ولو لم تضق مساحات الخلاف بين التيارات الرئيسية للحركة الوطنية الفلسطينية كثمرة للعمل المشترك الطويل في ما بينها ولمعطيات التجارب الواقعية التي خاضتها منفردة أو مع بعضها ، وللحوار الديمقراطي الذي ميز العلاقات على الساحة الفلسطينية» .

نلحظ بهذا الكلام تركيزاً على موضوعين : دور غرفة العمليات المركزية في الحرب ، والوحدة الوطنية التي جسمتها معركة الصمود البطولي في بيروت الوطنية .

ان الاهتمام الذي يعطيه السيد حوراني لغرفة العمليات المركزية ودورها في الحرب صائب تماماً ، ولكن ما دام الحديث عن حرب الشهور الثلاثة وليس عن معركة بيروت فقط ، فان الموضوعية والمسؤولية التاريخية تحتمان على كتاب «الشؤون الفلسطينية» ، ان يقولوا لجماهيرنا . . . لشهدائنا . . . لكل الذين ضحوا من أجل القضية ، بأية غرفة عمليات في الجنوب كان القائد العام خاصة ، والقيادة الفلسطينية عامة ، تتصل ؟

لماذا تتخذ معركة بيروت ستاراً لاخفاء حقائق المعركة والممارسات الخاطئة ؟

كان على السيد حوراني وهو يتحدث عن دروس الحرب الخامسة ان يتذكر ان ما قاله باعتزاز مبرر عن أهمية دور غرفة العمليات المركزية في صمود بيروت ومعركتها البطولية . . . كان عليه ان يتذكر جريمة غياب الدور المماثل الذي كان يفترض ان تلعبه غرفة العمليات المركزية في الجنوب ! . .

لقد تجاهل السيد حوراني كلية ، الدروس التي يحتاجها كفاح الامة العربية ووظف قلمه للحديث عن الدروس والنتائج الهامشية ! . .

ان الانسان يتساءل عن جدوى مثل هذا الاسلوب في البحث والتحليل ، خاصة وان نتائج طمس دروس هزيمة المقاومة في الاردن عامي ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، كانت وما تزال عاملاً أساسياً من عوامل تكرار الهزيمة في لبنان ! . .

بدأ العدوان الصهيوني ظهر يوم الجمعة في الرابع من حزيران المنصرم ، وبعد القصف التمهيدي طيلة يومين بدأ الاجتياح ظهر يوم الاحد في السادس منه ، ومنذ بداية الاجتياح على الارض افتقدت المعركة غرفة عملياتها المركزية في الجنوب ، وغاب قائد القوات المشتركة ولم يعثر له على أثر إلا في منطقة البقاع . كان يمكن أن تفهم مسألة غياب هذا القائد ، باعتبارها مسألة شخصية تافهة ، ولا تستحق الذكر ، لولا أن غيابه من ميدان المعركة قد غيب معه غرفة العمليات المركزية في الجنوب كله .

لذا ، فان الموضوعية والمسؤولية التاريخية كانتا تحتمان على كتاب «الشؤون الفلسطينية» ان يتحدثوا عن المصاعب التي واجهت القوات المقاتلة في الجنوب ، نتيجة هروب القائد وغياب غرفة العمليات المركزية التي يعترف السيد حوراني بدورها المؤثر في ادارة المعركة ، وفوق ذلك ، أيضاً ، فان غرفة عمليات القطاع الغربي قد اقفلت ابوابها ، نتيجة ترك قائدها لموقعه منذ مساء الأحد أيضاً ، ليقال بعد ذلك أن منظمة التحرير لم تفقد كوادرها وانها ما تزال بخير ، أما الخلل الذي

اصاب ادارة المعركة نتيجة هروب بعض القيادات الاساسية ، واما الارتباك الذي تعرضت له الوحدات المقاتلة ، فمحظور على كتاب «الشؤون الفلسطينية» التفوه به أو التعرض له ! . .

نكتفي بهذه الاشارات السريعة التي نعتقد أنها تضفي شيئاً من الموضوعية على القضايا التي جاء تعبير السيد حوراني عنها أحادي الجانب ! . .

نكتفي بهذا القدر ، مراعاة لشعور كاتبنا الذي لم ير الوقت مناسباً للحديث عن كل شيء بموضوعية كاملة ، لننتقل الى الموضوع الثاني . . . موضوع الوحدة الوطنية .

ربما نتفق مع السيد حوراني ، حول الوحدة الوطنية الفلسطينية ، التي تحققت في ظل معركة بيروت ، ولا نقول بفضل معركة بيروت ، لكي نراعي الحقيقة التي اشار اليها والتي تؤكد على ان عوامل هذه الوحدة تكونت في احشاء المرحلة السابقة للحرب ! ـ

ربما نتفق معه ، غير أن سؤالاً قد يعكر صفو اتفاقنا ، اذا ما تأملنا ظاهرة الوحدة التي تحققت في ظلّ معركة بيروت ، وهذا السؤال هو :

حول ماذا تحققت الوحدة وما هي العوامل التي انتجتها ؟

ان ارجاع الوحدة الفلسطينية التي تجلت خلال معركة بيروت الى «الارضية الممهدة» و «الهوامش المشتركة الواسعه التي يلتقي حولها الجميع» و «ضيق مساحات الخلاف بين التيارات الرئيسية» ، في حركة المقاومة الفلسطينية . . . ان ارجاع قيام الوحدة الى هذه العوامل ، على صوابه لا يكفي للاقتناع بعدم ظرفية تلك الوحدة التي انتجها ضغط ظروف الحصار ، بدليل الانفلاش الذي أصاب هذه الوحدة ، بعد

خروج المقاومة من بيروت أولاً ، وبدليل انعدام الوحدة في مواقع القتال الاخرى كالجنوب والقطاع الشرقي والبقاع ، ثانياً ، وانعدامها في مواجهة الاحتلال حالياً ، ثالثاً .

ان الوحدة الوطنية الفلسطينية التي تجلت ابان معركة بيروت ، قد تحققت حول مواجهة العدو الصهيوني وليس حول المساومة على فلسطين ومصير الثورة ، من جهة ، وان العوامل التي انتجتها قد تمثلت بحاجة صمود المقاومة في وجه الهجمة الصهيونية ، من جهة اخرى !

واذا كنا موضوعيين ، فعلينا ان نتذكر ان وحدة مماثلة قد تجلت ابان معركة عمان عام ١٩٧٠ ، وقد لعب قائد الثورة الأخ أبو عمار بجدارته المعروفة الدور نفسه ، رغم كل الخلافات الحادة التي كانت قائمة آنذاك ! . .

ان الوحدة الوطنية الفلسطينية ، لا يمكن انجازها ، بغير استمرار الثورة ومواصلة مقاتلة اسرائيل . وأي تصور لامكانية الاحتفاظ بهذه الوحدة بدون توفر حرارة جذوة الثورة سيكون تصوراً ساذجاً ، أو محاولة للايهام بغية تغطية جوهر مساومة التفاوض والصلح والاعتراف ! . .

طالما أن الوحدة الوطنية الفلسطينية نتاج للثورة ، فانها ستنهار بانهيار الثورة التي خلقتها ، بغض النظر عن جذرية أو عدم جذرية الخلافات التي ستعصف بها ! . .

المحظورة الرابعة : الحديث عن اقليمية المقاومة الفلسطينية :

لقد عرفت الجماهير العربية ، المقاومة الفلسطينية يوم ظهورها على مسرح الفعل الثوري ، باعتبارها حركة قومية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، فالتفت حولها ، وسارع المناضلون من أبنائها للانخراط في صفوف الثورة الفلسطينية ، بيد أن تطورات الأحداث التي أعقبت هزيمة المقاومة أمام الرجعية الأردنية خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، قد أفرزت ظاهرتين : جنوح بعض فصائل المقاومة الفلسطينية نحو الاقليمية لدرجة دفعتها لـ «تطهير» صفوفها من الكوادر العربية المتواجدة ، وأغلقت ابواب تنظيماتها بوجه ابناء الأمة العربية . وفي مقابل هذا الانغلاق بوجه العنصر العربي ، لوحظ انفتاحها على أبناء الأقوام الأخرى خاصة الأفارقة والبنغاليين والباكستانيين !

ولدى البحث عن تفسير لهاتين الظاهرتين ، فسنجد أن المقاومة الفلسطينية بعد هزيمتها في الأردن ، بدأت تميل للاعتدال أكثر فأكثر ، لدرجة أصبحت معها أقرب الى الأنظمة العربية منها الى الجماهير العربية ، وباتت مراعاتها لعلاقاتها مع الأنظمة تطغى على علاقاتها مع الجماهير العربية .

وفي ظل هذا الميل الموضوعي ، أصبح مجرد وجود العنصر العربي ، يخلق أشكالاً ، ويؤثر سلباً على علاقات المقاومة مع الأنظمة

العربية . وأمام الخيار فضلت علاقاتها الرسمية وما تدره عليهـا من فوائـد ومساعدات مادية ملموسة !

أما دخول العنصر الأجنبي لصفوف المقاومة الفلسطينية ، فدليل على حاجتها للمقاتلين ، وهي حاجة لا يمكن أن تنشأ لولا عزلتها عن الجماهير الشعبية !

واذا بحثنا بجوهر هاتين الظاهرتين فسنلحظ أن الجنـوح نحـو الاقليمية الفلسطينية هو العامل الضاغط الكامن وراءهما !

القول المأثور : كما تزرع تحصـد ، ينطبـق على وضـع المقاومة الراهن ، فقد زرعت الاقليمية فحصدت العزلة عن الجماهير العربية ، ولتبيان هذه الظاهرة ، دعونا نقارن بين ردة الفعل لدى الجماهير العربية عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، وردة فعلها عام ١٩٨٢ ، الا نلحـظ أن الأولى كانت أشمل وأوسع ، فما هو السبب يا ترى !؟

أبرز الاسباب تتجلى بعاملين : جنوح المقاومة الفلسطينية نحو الاقليمية للدرجة التـي باتـت تثير ردود فعـل اقليمية معاكسـة وقـد اتضحت هذه الحقيقة المرة في لبنان اذ انعزلت المقاومة الفلسطينية عن الجماهـير اللبنـانية ، عزلـة ما كان يمـكن أن تحـدث ، مهما كان حجـم السلبيات في ممارسة المقاومة لولا النعرة الاقليمية التي باتت طاغية على العلاقة مع الجماهير !

اما العامل الآخر ، فيتجلى في القمع لذي مارسته الأنظمـة لمنـع الجماهير العربية عن التعبير عن مشاعرها القومية العفوية !

واذا تأملنا الموقف بموضوعية فسنلحظ اقليمية الحكومات العربية في مواجهة اقليمية المقاومة الفلسطينية ، التي ينظّر لها السيد فيصل حوراني !

وان لم يكن هذان هما السببان الأساسيان فما عسى أن تكون الأسباب الجوهرية يا ترى ؟ أيمكن التصور ان الحقد القومي المكتنز لدى جماهير الأمة العربية ضد الصهيونية ، قد تبدد واندثر ، ام ان اقليمية الحكومات العربية في مواجهة اقليمية المقاومة الفلسطينية ، هي التي لعبت دورها في اخماد جذوة الحماس للثورة الفلسطينية ؟

ان القمع الرسمي قد وجد الظرف والذريعة ، لطمس مشاعر الجماهير العربية القومية ، ومنعها من التعبير عن نفسها ولو بحدودها العفوية الدنيا ، ولكن تسجيل هذه الحقيقة يحتم علينا ، أيضاً ، الاعتراف بكون العامل الأساسي في التأثير السلبي على الجماهير يتمثل ببروز نزعة المقاومة الفلسطينية الاقليمية ، واهتمامها بعلاقاتها مع الأنظمة على حساب علاقتها مع الجماهير العربية ، من ناحية ، وادراك الجماهير لطغيان النزعة الفلسطينية الاقليمية لدى المقاومة الفلسطينية مما أحدث ردة فعل مماثلة ، وانكفاء قومياً عربياً ، من الناحية الأخرى .

فاذا طالعنا مقال السيد حوراني ، في ضوء هذا الواقع ، فسنلحظ النزعة الاقليمية اليمينية طاغية بشكل صارخ فيما دبجه من آراء وأفكار ، وعلى سبيل المثال ، نقرأ له قوله :

«ومن الحق ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي يحكمه على الجانب العربي عاملان رئيسيان هما التناقض القومي والتناقض الاجتماعي ـ

الطبقي ويحدده صعوداً وهبوطاً تداخل أو تمايز هذين العاملين :

الأمر الاول : هذا التغليب الواضح لمستلزمات العامل الاجتماعي - الطبقي على العامل القومي ، بحيث أصبح للعامل الأول تأثير أكبر ومتزايد ، في صياغة مواقف القوى العربية المعنية في الصراع ، ومن تجليات هذا التغليب على الساحة العربية رخاوة رد الفعل العربي ضد الغزو الاسرائيلي للبنان . واحجام الدول العربية عن ممارسة الضغوط التي توفرها لها امكانياتها ضد الولايات المتحدة أو ضد اسرائيل ، وقمع حكوماتها لمظاهر التأييد الشعبي لمنظمة التحرير ، ولاشك في أن بروز هذا العامل سوف يسهم في استمرار وتسريع ضمور الأوهام الكثيرة التي راجت حول قومية الصراع مع اسرائيل ، خصوصاً عند الذين اعتادوا أن يغلبوا العامل القومي ويتصرفوا على أساس أن العرب يجمعهم شيء واحد مشترك مهما تفرقوا ، هو الموقف من اسرائيل ، كما سيؤدي الى سقوط الرهانات العديدة التي بنيت على هذا الأساس .

الأمر الثاني : هو احتدام تأثير العامل القومي في الصراع العربي - الاسرائيلي على الساحة الفلسطينية وحدها ، اذ أن الملاحقة الاسرائيلية للفلسطينيين وشراسة هذه الملاحقة وتصعيد ها المستمر ، وضعت كل فلسطيني حتى من ظن منهم ان الأمر لا يعنيه ، تحت مطرقة الخطر الاسرائيلي في كل مكان ، في الضفة والقطاع استخلصوا هذه العبرة منذ وقت طويل والان يستخلصها من فاتتهم من فلسطيني المنافي» .

يبدو اننا بحاجة لافهام الاقليميين في الساحة الفلسطينية ، ان الصراع عربي ـ صهيوني ، وليس عربياً ـ اسرائيلياً أو فلسطينياً ـ اسرائيلياً .

ثم ، لست أدري ، من أين جاء السيد حوراني بهذا الحق الذي أباح له القول بكون الصراع العربي ـ الصهيوني ، محكوم بتناقضين : قومي وطبقي ، من جانبه العربي . يا حبذا لو دلنا على مصدر معرفته ، لكي ننهل منه ، اما اذا كان هذا التقسيم الاعتباطي ، من بنات أفكاره ، فاننا ننصحه بالتزود بزاد المعرفة العلمية ، لأن التناقضات لا تقاس بخيال الكتاب والمفكرين ، وانما يحددها اتحاد المتضادات وصراعها على أرضية الواقع الموضوعي . وكما هو معروف لجميع المبتدئين في صفوف المعرفة العلمية ، ان وحدة الجدل الموضوعي لا تحتوي على أكثر من تناقض أساسي واحد ، وما عداه ، فكل التناقضات الأخرى ثانوية مهما كان حجم دورها .

التناقض الأساسي هو الذي يحدد نشوء أو تطور التناقضات الثانوية الأخرى التي تتجاذب وحدة الصراع بين الأضداد ، وفي ضوء هذا المقياس العلمي ، فأي التناقضين : الطبقي أم القومي هو الذي يحكم صراعنا مع الصهيونية ؟

لا أظن أن السيد حوراني يملك جواباً على هذا السؤال ، الا اذا سمح لنفسه باقتراف أخطاء جديدة . لذا ، فانني أبادر لجلب انتباهه ، الى أن تجزئة المشاعر القومية عن المشاعر الطبقية وبالعكس ، أمر قد عانت منه الأحزاب الشيوعية العربية ، بسبب نشأتها الاقليمية واهمالها

للقضايا القومية نتيجة التزامها بالنظرة الاوروبية القائمة على أساس الفصل بين القضايا القومية التي تعتبرها من اختصاص البرجوازية وبين القضايا الطبقية التي تعتبرها من اختصاصاتها النضالية !

ان القضايا القومية تنطوي على زخم المشاعر الطبقية وكذلك القضايا الطبقية فانها مطبوعة بطابع الوطن القومي في بلدان القارات الثلاث ، وهذا التمازج ناشىء عن خضوع مجتمعات هذه القارات للاستعمار الذي هو تناقض قومي وطبقي في آن سوية !

ان مشاعر جماهيرنا ممزوجة بالنزعتين القومية والطبقية ووعيها نشأ وتبلور في ظل الهيمنة الاستعمارية الأمر الذي جعلها تدرك مبكراً انها خاضعة لسيطرة رأسمالية استعمارية ، أي سيطرة : طبقية وقومية في آن معاً .

إن السيد حوراني يحاكم الموقف من خلال الخلط بين الجماهير العربية وحكامها الذين تنطبق على غالبيتهم العظمى صفة : «الجلاد» !
ونتبين هذا الخلط من قوله : «عند الذين اعتادوا أن يغلبوا العامل القومي ويتصرفوا على أساس أن العَرَبَ يجمعهم شيء واحد مشترك ، مهما تفرقوا ، هو الموقف من اسرائيل» . فالرجل يحسب أن المسألة ، مسألة عادة يكتسبها هذا الحاكم او ذاك ، ومهما كانت عوامل الفرقة ، فان الاعتياد هو الذي يغلب قومية المعركة أو يطمسها ، دون أن يدرك المضمون الطبقي لشعار قومية المعركة ، وكون حملته لايعبرون عن عادة اكتسبوها ، وانما يعبرون عن مشاعر قومية طبقية ، تحفزهم للحديث حتى وان لم تكن لديهم القدرة على ترجمتها .

ان السيد حوراني يكشف عن اتجاه اعلامي لتبرير طغيان الجنوح نحو الاقليمية في الساحة الفلسطينية ، فالخلط بين العرب الرجعيين والعرب الوطنيين ، وبين الحكام والجماهير الشعبية ، واضح من تعبيره : «مهما تفرقوا» يقصد به تغطية السعي المتهالك لاستبدال هوية الثورة بهوية رسمية تسمح بالجلوس على كرسي دائم من كراسي الاقليمية السائدة التي ناضل الاقليميون في سبيلها طيلة فترة الصراع العربي ـ الصهيوني ، كي يكرسوا التجزئة ويضعفوا الأمة العربية !

أما حديثه ، عن العامل القومي في الساحة الفلسطينية ، فبحاجة لتصويب ، ذلك ان احدى معطيات هذا الصراع ، هي من نتاج الاقليمية الفلسطينية وليست دليلا على قوميتها ، فحين ينحصر الصراع ضد أسرائيل على الساحة الفلسطينية وحدها ، انحصاراً لا نلحظ معه ثورة على الاقليمية التي انتجته ، بل على العكس نشهد اندفاعاً نحو مصر كامب ديفيد وسائر الرجعيات العربية ، فلا بد أن نتأكد من أن النهج الفلسطيني يعاني من خلل قاتل . لأن قومية الصراع ضد الحركة الصهيونية بالنسبة للمقاومة الفلسطينية لاتتمثل في مواجهة اسرائيل ، فحسب ، فهذه وطنية فلسطينية ، وانما ينبغي ان تعبر عن قوميتها في ارتباطها بحركة جماهير الأمة العربية !

وبعبارة أخرى ، ان العامل القومي الفلسطيني في الصراع العربي ـ الصهيوني على الساحة الفلسطينية ، يجب أن يعبر عن نفسه في الساحات العربية ، مثلما يجب ان يعبر عن نفسه في مواجهة الصهيونية عامة واسرائيل على وجه الخصوص ، وهذا التعبير يحتم على الثورة

الفلسطينية ان تكون على علاقة مع حركة الجماهير العربية ، قبل أن تكون مع الأنظمة العربية ، طالما أن قضية تحرير فلسطين تتطلب زمناً أطول وأوضاعاً عربية أقدر على خوض الصراع حتى نهاياته الحاسمة المتمثلة بالانتصار النهائي على الاغتصاب الصهيوني وتحرير فلسطين برمتها !

نتبين ، اذن ، أن القراءة العلمية لظاهرة رخاوة رد الفعل العربي ، تدل على ادراك الجماهير العربية لاقليمية المقاومة الفلسطينية الأمر الذي أفقدها حماسها القومي للمعارك التي تخوضها المقاومة ، ادراكاً سهل عملية القمع الاقليمي الرسمية لان تلجم حركة الجماهير وتكبت استنكارها .

مما تقدم ، يتضح أن الحاح المقاومة الفلسطينية على أنها تخوض معركة قومية دون سواها ، قد فقد زخمه ، وباتت النظرة اليها تختلف تدريجياً منذ هزيمتها في الأردن وسكوتها على مقدمات الهزيمة وطمسها لدروسها أولاً ، وطبع ممارساتها وعلاقاتها بطابع فلسطيني اقليمي ذرائعي ، دون معالجة جذرية للسلبيات الناجمة عنها ، ثانياً ، وطغيان نهج الحل السلمي على موقفها ونظرتها وعلاقاتها ، ثالثاً !

لقد بدأ ظل المقاومة الفلسطينية ينحرف عن استقامته الثورية ، لدرجة اتسع معها الخرق على الراتق ، بعد ان استحوذ الحصول على «المتطلبات» جل اهتمامها ، وبات القول المأثور «كل الصيد في جوف الفرا» ينطبق عليها ، لتصبح أغنى ثورة بفضل «قومية المعركة» ومع ذلك فانها تأكل التمر وترجم غيرها بالنوى !

ويبلغ سيل الاقليمية الزبى

يقول السيد حوراني : «وسينجم عن تأثير هذين العاملين ، بتناقضهما الظاهر ، تعقيدات جديدة ، سواء في مجريات الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي ، أو في مجريات العلاقة العربية ـ الفلسطينية .

هذا الكلام لا يراد به القول بأن العامل القومي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي عامة قد زال أو أنه مرشح للزوال في وقت قريب كل ما في الأمر أن تأثيره يتضاءل على الساحات العربية لحساب تأثير تناقضات المصالح الطبقية في المجتمعات العربية وهو تأثير متصاعد وتصاعده ناجم عن احتدام عملية التمايز الطبقي المرافقة لنمو وتطور هذه المجتمعات ، وسواء توافق هذا مع الرغبات والقناعات السائدة او مسها ، فهو أمر لا بد من ملاحظته وأخذه في الحسبان .»

ربما دون وعي منه ، بلغ كاتبنا حضيض الاقليمية وانحدر الى مستنقعها ، حين راح يبشر بزوال تأثير العامل القومي في الصراع العربي ـ الصهيوني تبشيراً يذكرنا بمنظري عهد نوري السعيد وعبد الله وفاروق مصر !

لقد أراد كاتب الشؤون الاقليمية الفلسطينية ، باستدراكه هذا ان يخفف من شططه ، فاذا به يضيف شططاً جديداً .

إن الصراع العربي ـ الصهيوني ليس موقوفاً ، على فئة بعينها ، وستدفع القيادة الفلسطينية ثمن تماديها في نهج التصالح والاعتراف وانهاء حالة الحرب . أما أولئك الذين يعتدون باقليمية واستسلامية

العامل «الاجتماعي - الطبقي» ، فلهم لعنة التاريخ وتطوراته اللاحقة !

ان الانسان ما كان ، يضطر للرد لولا أن الموضوع منشور بأبرز المجلات[2] المعبرة عن رأي منظمة التحرير الفلسطينية ، أما الادعاء بأن المقالات تعبر عن آراء أصحابها فقط فغير صحيح اطلاقاً ، طالما يحصر النشر بوجهات نظر معينة دون السماح لنقيضها !

انهم يتخذون من اقليميتهم مقياساً للحكم على اندثار الأمة العربية وموت حركتها القومية الثورية . دون أن يأخذوا بالحسبان تجربة التاريخ التي جعلت القضية معول هدم لكل نظام يقامر بها ، وسيف نحر لكل قيادة تتاجر بها .

الأحلام الحلوة...والوقائع العنيدة !

إذا تفحصنا ما تبقى من مقالته ، فسنلحظ أن السيد حوراني لم يترك نقطة الا وحولها الى عامل قوة لمنظمة التحرير ، ولم نسمع منه ، ولو بشكل عابر لفظة هزيمة !

ان السيد حوراني ومن هم على شاكلته ومثاله يدهنون من قارورة فارغة ويرمون الكلام على عواهنه حيث يتجاهلون الاجابة على السؤال : من الذي انتصر في لبنان ومن الذي انهزم ؟

أيمكن أن نعتبر خروج المقاومة من بيروت وشحنها بواسطة بواخر الحلف الأطلسي انتصاراً ؟ وعلى أي شيء استحق فيليب حبيب

---

(٢) - المجلة المقصودة هي «شؤون فلسطينية» عدد تشرين ثاني ، ١٩٨٢

الأوسمة والتكريم من قبل الامبريالية والفاشية ؟؟

أيمكن ان نعتبر اجتياح اسرائيل لبيروت بعد اخلائها من المدافعين عنها ، وتطويق المخيمات ومجزرة صبرا وشاتيلا انتصاراً ؟
أيمكن ان نعتبر احتلال اسرائيل للبنان انتصاراً ؟!

إذا اعتبرنا هذه الوقائع وغيرها انتصاراً ساعتها يجوز الحديث عن الخبرة العسكرية المكتسبة من الحرب الخامسة والتي «ستأخذها كافة الأطراف المعنية بالصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني . بعين الاعتبار» !
وإذا اعتبرنا هذه الوقائع وغيرها انتصاراً ، ساعتها يجوز الحديث عن أن توزع المقاتلين الفلسطينيين على البلاد العربية لن يؤدي الى زيادة التأثير العربي على القرارات الفلسطينية .
ان الحديث عن ازدياد وزن منظمة التحرير الفلسطينية ليس أكثر من أحلام حلوة لأناس عاجزين عن رؤية الحقيقة المرّة التي تصرخ عالياً : ان المقاومة الفلسطينية ، بدون لبنان ستكون كالبنان في الكف التي ليس لها ساعد .

ان المطر لا يمكن ان يهطل بصياح الغراب ، مهما تمادى في نعيقه ، وعلينا أن نلحظ ضخامة الهزيمة التي لحقت بالثورة الفلسطينية من خلال وقائع الظرف الراهن وآفاق تطوره ، كيف يمكن أن تكون المقاومة أقوى وهي في تونس ، بعيداً عن المواجهة مع اسرائيل ؟
كيف يمكن ان تكون المقاومة أقوى وهي تسعى لان تكون رهينة بيد الذين قاموا بتصفيتها جسدياً ومنعوها من مقاتلة اسرائيل من حدودهم ؟

اننا نرى ، ونرجو ان نكون مخطئين ، ان المقاومة الفلسطينية في ظل تحالفها مع الأردن ، ستصبح ضعيفة جداً ، وستعجز عن التأثير الكبير الذي كانت تمارسه في ظلّ بنادقها المشرعة في لبنان .

إن القول بـ «ازدياد وزن منظمة التحرير» ، غير علمي ، فبعد خروجها من لبنان سوف تضعف وسيتضاءل وزنها وبالتالي قدرتها على الاحتفاظ باستقلالها ، وليس ادل على ذلك من تشتتها وتفويضها للملوك بالتحدث باسمها ، ومطالبتها بالاعتراف باسرائيل ، لكي يقطعوا عليها طريق الكفاح المسلح نهائيا ، ويحصروا نشاطها في استجداء حقها سلميا ، من اسرائيل نفسها .

إذا كانت المنظمة ستكون اقوى ، فما هو الثمن الذي يجب ان تدفعه بسبب هزيمتها ؟

إنكم تتحدثون وكأن المقاومة خرجت بمحض اختيارها دون إكراه ، ارغمها على الخروج من لبنان !

عام ١٩٤٩ ، خوّلَتْ الجامعة العربية «الأردن» ، بالاشراف على القضية الفلسطينية ومساعدة الشعب الفلسطيني على تقرير مصيره . وبعد نصف سنة أعلن ضم الضفة الغربية اليه ، واليوم ، يعيد التاريخ نفسه . ومعلوم فإن احداث التاريخ التي تتكرر ، لا بد أن تكون في المرة الاولى مأساة وفي المرة الثانية مسخرة !

أليست مسخرة ان يعود الذين كانوا ينظرون للخروج من بيروت بأي ثمن ، الى طرابلس والبقاع ، ليرفعوا شعار تحرير لبنان وفلسطين معاً من هناك ؟

أليست مسخرة ، ان نتوقع ازدياد وزن الثورة بعد رحيلها الى تونس وعمان والقاهرة والخرطوم ؟

وإذا كان الأمر بمثل هذه البساطة ، فلماذا تحمل الشعب اللبناني كل العذاب الذي تحمله ، طيلة السنوات الماضية.. . لماذا لم تذهب منظمة التحرير الى تونس وعمان والقاهرة والخرطوم ، وتحقق تقرير مصير الشعب الفلسطيني من هناك ، ثم تريح وتستريح ؟!

هناك قانون موضوعي يؤكد على أن الأحداث المتشابهة التي تتكرر في ظروف مختلفة تؤدي الى نتائج مختلفة تماما ، فاذا كانت نتيجة هزيمة المقاومة في الأردن ، هزيمة جديدة في لبنان ، فأية نتائج ستسفر عنها الهزيمة الجديدة ، يا ترى ؟

ان الذي لا يبصر من الغربال يكون أعمى ، ومن الغربال الفلسطيني نرى ان اصرار الولايات المتحدة الامريكية على عدم التفاوض مع المنظمة قبل اعترافها بإسرائيل ، في نفس الوقت الذي يلتقي فيه وزير خارجيتها اثنين من قادة الضفة الغربية ، يدل على اجبار المنظمة على التخلي عن السلاح والتحول الى منظمة سياسية . اما اهتمام امريكا بالداخل الفلسطيني فالمقصود به عزل المنظمة عن قاعدتها الوطنية في الداخل . وسيسهل الاعتراف بإسرائيل ، وتعاون المنظمة مع الأردن تمرير المشروع الامريكي في الساحة الفلسطينية تماما كما مرروه في الساحة اللبنانية !

فإلى غد ، وان غداً لناظره قريب !



الفصل الرابع :

ملاحظات هامشية
على بيان هامشي

* اخيب من حنين
* البنود . . . والملاحظات
* الملاحظة الهامشية الأولى
* الملاحظة الهامشية الثانية
* الملاحظة الهامشية الثالثة
* الملاحظة الهامشية الرابعة
* الملاحظة الهامشية الخامسة

أما البيان الهامشي ، فهو البيان الختامي الصادر عن «ندوة التراث والعمل السياسي» «حول مستقبل ، القضيتين الفلسطينية واللبنانية» ، المنعقدة في الفترة من ٢٤ الى ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ ، بمدينة الرباط . وقد حضرها سبعة وثلاثون «مفكراً ومثقفاً وممثلاً لتنظيمات سياسية وطنية وقومية» على حد تعبير البيان الختامي الذي اشتمل على مقدمة تقول ان المشاركين في الندوة «قد عرضوا في اليوم الأخير المخصص لمستقبل القضيةالفلسطينية ، الواقع العربي الراهن انطلاقاً مما رافق ونتج عن الغزو الاسرائيلي للبنان ومذابح صبرا وشاتيلا» ، وخاتمة تقول ان المشاركين قد اكدوا على ان كلا منهم سيكون في موقعه وعلى ساحته الوطنية ، مسؤولا عن دفع النضال العربي نحو تحقيق البنود الثمانية التي اشتمل عليها بيانهم الختامي !

أما ملاحظاتنا الهامشية ، فتتأكد من خلال كشفها لهامشية بيان هؤلاء «المفكرين والمثقفين والممثلين. . .»

أخيب من حنين !

مذ تواترت أنباء هذه الندوة الفكرية التي انعقدت بدعوى من «منتدى الفكر والحوار المغربي» ، وأنا أترقب ما سيصدر عنها !

وما كدت ألحظ البيان الختامي منشوراً على صفحة السفير،[1] حتى شرعت بقراءته بنداً بنداً ، شروعاً ، رسم بذهني سؤالاً بقي يلاحقني ، مذ بدأت بمطالعة المقدمة والبنود حتى الخاتمة ، وهذا السؤال هو ، هل ان هؤلاء «المفكرين والمثقفين والممثلين» مدركون لمضامين

(١) العدد ٣٠٩٠ في ١٩٨٢/١٢/١٢

بيانهم الختامي الذي اذاعوه ، وهل انهم مهتمون فعلا بمشاعر جماهير الأمة العربية التي وجهوا بيانهم اليها ؟

وكم كنت تواقاً لأن أحظى بجواب ايجابي على هذا السؤال !

ولكن ، بعد مطالعة البنود الثمانية والمقدمة ثم الخاتمة ، وجدت نفسي أخيب من قابض على الماء ، الأمر الذي دفعني للتأمل بظاهرة خيبة حنين هذه !

البنود ... والملاحظات

واضح أن الندوة قد استغرقت خمسة أيام ، ولكنها عينت اليوم الأخير وخصصته لمستقبل القضية الفلسطينية ، وعرض الواقع العربي الراهن انطلاقاً من الحرب الخامسة الدائرة على الأرض اللبنانية ، ولدى التأمل ببنود البيان ، لا نلحظ فكراً يمت لمستقبل القضية الفلسطينية بصلة !

لنتأمل بنود البيان الختامي ، لكي نحصل على تأكيد لهذه الملاحظة .

الملاحظة الهامشية الأولى

في البند الأول ، يقول «المفكرون والمثقفون والممثلون» ، انهم يسجلون :

«صمود المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين وبطولاتهم في المواقع التي تصدوا فيها لقوات الغزو ، ولا سيا صمود سكان بيروت وضواحيها الباسلة»

كلام صائب ولكنه على صوابه لا يمثل سوى جانب واحد من جوانب الحقيقة الأكبر ! . .

إن الصمود البطولي الذي جسده وعبر عنه المقاتلون في بيروت والجنوب والدامور وخلدة والبقاع ، حقيقة ملموسة ، ولكنها حقيقة نسبية ، مما يلقي على عاتق المفكرين العرب ، الذين يهمهم مستقبل الأمة العربية ، مهمة البحث عن الحقائق المطلقة ، لكي يغنوا الكفاح العربي بما يساعده على تلافي الثغرات ، ويرشده الى السبيل الثوري ! . .

إن الاكتفاء بتسجيل ظاهرة الصمود البطولي ، لا يغني النضال ولا يسمن حركته . فالمطلوب علاوة على ذلك ، ان يدرك المفكرون والمثقفون فعلاً ان الحرب الخامسة ، ليست كلها صمود وبطولة ، ففيها الى جانب ذلك هروب وتخاذل ومساومة رخيصة ولها مقدمات موضوعية وذاتية . وليس يفيدنا التستر على هذه الحقائق وطمسها ، اذا كنا فعلاً نبحث فيما يساعد الكفاح ويرشده !

لقد صمد المقاتلون الفلسطينيون واللبنانيون صموداً بطولياً !

وتحمل سكان بيروت وضواحيها ، ما يفوق قدرة الانسان على الاحتمال !

ولكن ماذا ، قبل ذلك ، وأثناءه وبعده ؟

سؤال كان على المشاركين في ندوة «التراث والعمل السياسي» أن يجيبوا عليه !

إن الفكر العلمي لا يكتفي بوصف الظاهرة وانما يعني أكثر ما يعني بتحليلها وسبر مضمونها وكشف جوانبها المختلفة ، وأسبابها ؟

ماذا عن القتال في الجنوب ، ولماذا لم تصمد المواقع هناك كما

صمدت بيروت ؟

وهل كان بوسع اسرائيل ان تبلغ بيروت لو انها واجهت صموداً كصمود بيروت في الجنوب ؟

وهل كان بالامكان تلافي الهزيمة ، وما هي شروط ذلك ؟

ان الاجابة على هذه الأسئلة ضرورة ملحة ، وبدونها يتحول الصمود والتضحيات الى مجرد يافطات لتبجيل هذا القائد أو ذاك والتستر على الجوانب السلبية في ممارساته وسياسته . ان الدرس الكبير الذي يتحدث عنه سكان المخيمات خاصة وجماهير شعبنا على وجه العموم والذي استخلصوه من تجربة الحرب ومجزرتي صبرا وشاتيلا ، يتجلى في كون المجازر وقعت حيث انعدمت المقاومة ، اما المواقع التي دافعت عن نفسها فلم يجرأ الاسرائيليون على الاقتراب منها ، فلماذا تجاهل «المفكرون والمثقفون والممثلون» هذه الحقيقة ، وطفقوا كما الببغاوات يرددون ما املاه خالد الحسن عليهم ؟

هذه هي الملاحظة الهامشية الأولى ، واخال القارىء يرجمني بما ارجم به المشاركين في هذه الندوة ، وعلى ان اعتذر منه لاحجامي عن الخوض بالاجابة على هذه الاسئلة حرصاً على نشر هذه الملاحظات التي قلت أنها هامشية وليست أساسية ، ففي ايام الهزيمة لا يتسع «النشر» لغير الهوامش والعموميات !

الملاحظة الهامشية الثانية

١

أما البند الثاني ، من بنود البيان الختامي الثمانية ، فتترك قراءته انطباعاً لدى الانسان ، عن أن الفكر المهيمن على الندوة ، يفهم الصراع العربي ـ الصهيوني ، على أنه صراع طائفي !

لنطالع نص هذا البند ونحاول سبر طبيعة الخلفية الفكرية التي حددت صياغته :

«ثانياً : ان حقيقة الصهيونية بطبيعتها المعادية للانسان العربي ، كانسان وتاريخ وحضارة ووجود ، قد تجلت أكثر ما تجلت في حصار الجوع والقتل والتدمير الذي فرضته على مئات الالوف من المدنيين في بيروت . كما في عمليات الاعتقال الجماعي والتدمير المنظم لمناطق مختلفة في صور وصيدا والنبطية والناعمة وخلدة وغيرها . ثم في تلك المذابح المرعبة التي اقترفتها بأيديها أو بأيدي المتعاونين معها في مخيمي صبرا وشاتيلا .»

الا يعكس هذا الكلام ، الواقع الفكري والسياسي للمشاركين بندوة «منتدى الفكر والحوار» في المغرب ، عكساً يكشف ارتباطهم الوثيق بابرز سمات مرحلتنا الراهنة ؟!!

أين هي الادانة للحركة الصهيونية ، ولماذا تجنبت الندوة تسميتها بصفاتها الحقيقية ؟

ان حصر طبيعة الصهيونية بمعاداة الانسان العربي ، وربط هذا

العداء بـ «التاريخ والحضارة» قد وسم الصراع بطابع طائفي ، الأمر الذي يعكس طبيعة الفكر المهيمن على الندوة ، بكونه فكراً يعاني من ضيق أفقه وهامشية مضمونه !

فما دمنا نعترف بكون التاريخ العربي ، هو تاريخ إسلامي في الوقت نفسه ، رغم وجود العرب السابق للاسلام .. وما دمنا نعترف بكون الحضارة العربية ، هي حضارة إسلامية ، رغم ما انطوت عليه «الجاهلية» من حضارة ورغم مشاركة الطوائف الدينية الأخرى بصنع حضارتنا !

ما دمنا نسلم بحقائق التاريخ هذه ، فان ربط عداء الصهيونية بالانسان العربي ، وبتاريخه وحضارته ، من شأنه ان يضفي على الصراع طابعاً طائفياً ، بحكم الصراع المعروف بين الاسلام واليهودية في التاريخ العربي ـ الاسلامي .

٢

ونعود للسؤال : أين هي إدانة الحركة الصهيونية ولماذا تجنبت الندوة تسميتها بصفاتها الحقيقية ، عنيت الرجعية والفاشية !!

قد يرد المشتركون بالندوة على هذا السؤال ، بانهم وصموا الحركة الصهيونية بالعنصرية حين قالوا أنها : معادية للانسان العربي «كإنسان ووجود» .

ولكن ، حتى اذا سلمنا بادعاء كهذا ، مع انني اشك بوعيهم لمثل هذه المعاني ... أقول حتى اذا افترضنا انهم يدركون هذه الصفة وقد استخدموا هذا التعبير لترجمة ادراكهم ، فان السؤال يطرح نفسه من جديد ، لماذا لجأ المشاركون في الندوة الى صيغة الغموض والرمز

بدلا من وضوح الهمز واللمز ، ألا أنهم غير مقتنعين برجعية الصهيونية وفاشيتها ، أم أنهم راعوا مشاعر الداعين ، وطبيعة مكان انعقاد ندوتهم ؟

٣

ولكن الأهم من ذلك كله ، يتجلى بكون حصر طبيعة العداء الصهيوني بالانسان العربي ، قد غيب حقيقة الصهيونية باعتبارها أيديولوجية وممارسة رجعية فاشية ، تعكس الفكر الامبريالي المعادي للانسانية جمعاء ، بحكم كونه يسوغ الاستغلال والاضطهاد للانسان ، أينما كان وفي أي مكان ! . .

لقد نشأت الحركة الصهيونية في أواخر العقد الأخير من القرن الماضي ، وعقدت مؤتمرها التأسيسي الأول عام ١٨٩٧ لتكون احدى التعابير الاساسية الفكرية والسياسية للأيديولوجية الامبريالية الهادفة شق صفوف الطبقة العاملة العالمية وتحويل الصراع الطبقي عن مجراه ، الى صراع سياسي ـ طائفي بين اليهودية وخصومها ، وحشد الكادحين اليهود مع الرأسمالية اليهودية في اطار هذا الصراع ، الذي اختلقت له مهمة الدفاع عن السامية و «حق اليهود التاريخي في فلسطين» ، اختلاقاً استطاعت معه ان تتلافى حالة الضعف التي بلغها نظام الاسباط ، والتي جعلته عاجزاً عن ضبط حركة الكادحين والمثقفين التقدميين اليهود ، الذين جرفهم تيار الصراع الطبقي المناهض للاحتكار والفاشية والعزلة الطائفية ، تلافياً مكنها من أن تعيد تعبئة اليهود وتثقيفهم بوقائع التاريخ

الغابر ، لتثير بأذهانهم مآسي احتلال ملك الآشوريين سرجون الثاني ، مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة عام ٧٢٢ق.م واحتلال مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم سنة ٥٨٦ق.م من قبل نبوخذ نصر ، وهدمه للهيكل السليماني وسبي الألوف من أهلها ، وحرق الهيكل عام ٦٣ق.م على يد الجيش الروماني والفتك بسكان يهوذا من جديد ، وقتل جمعاً غفيراً من اليهود وأخذ من نجا من الموت أسيراً ليسخر كما العبيد في خدمة اصحاب المناجم والمحاجر الرومانية .

هكذا جاءت الحركة الصهيونية لتعيد تعبئة اليهود حول فكرة ارض الميعاد التي عبر عنها آل يعقوب الذي سمى نفسه اسرائيل بناء على أمر يهوه واحتلوها ، ثم فتكوا بأهلها الكنعانيين ـ الفلسطينيين ، قبل مايربو على ثلاثة آلاف سنة ليقطنوا فيها ماينوف على تسعمائة وخمسين سنة ، ثم داهمتهم التطورات فذهبوا ايدي سبأ . وبهذه الطريقة تحولت الاساطير الدينية الى برنامج سياسي هدفه العبور من جديد الى ارض الميعاد : اورشليم والسامرة .

هذه هي الحركة الصهيونية التي يعرفها الكاتب السوفياتي ايفانوف بقوله :

«ان الصهيونية المعاصرة هي أيديولوجية ، ومنظومة متشعبة من المنظمات وممارسة سياسية للبرجوازية اليهودية الكبيرة التي اندمجت بالأوساط الاحتكارية في الولايات المتحدة الأميركية والدول الامبريالية الأخرى . والمحتوى الرئيسي للصهيونية هو الشوفينية النزاعة الى الحرب والعداء للشيوعية» (٢) .

لاحظ أن الصهيونية تنزع للشوفينية والعداء للشيوعية ، ومعلوم فان الشيوعية عقيدة فكرية وحركة سياسية تتجاوز اطار الانسان العربي ، بل لا تمت اليه ، لا بصلة المنشأ ولا بانطلاقة الانتشار الأولى ، ولا بخلق نموذج تشكيلتها الاجتماعية ـ الاقتصادية . وعندما يدور الحديث عن الوجود والتاريخ والحضارة العربية فالشيوعية لا علاقة لها بهذه المفاهيم ، بحكم كونها ما تزال حتى هذه اللحظة عنصراً ثانوياً محدود التأثير في حركة الأمة العربية المعبرة عن وجود الانسان العربي وتاريخه وحضارته . . .

فاذا كانت الحركة الصهيونية ، تعبير عن الامبريالية ، فلماذا حصرت الندوة صفة العداء الصهيوني بالانسان العربي ، ياترى ؟

أهي محاولة لاحتكار معاداة الصهيونية ، كي ينسبوا لانفسهم ولأنظمتهم واحزابهم والجهات التي يمثلونها ، فضل مواجهة هذا العدو ، وحقهم في حصر القضية ضمن الاطار الطائفي الاسلامي ـ اليهودي التاريخي ، كي يبرروا دعمهم لسياسة الحلول «السلمية» الهادفة وضع حد لطابع العداء الموروث ، وانهاء الصراع الذي يسببه ؟

٤

واذا جاز لنا ان نتمادى اكثر في تفسير هذا الغموض في الصياغة فبوسعنا ان نشير الى حرص الصهاينة على ربط نشوء حركتهم الحديثة ، بتاريخ الديانة اليهودية ، لكي ينفوا علاقة حركتهم بالامبريالية ، ولذلك فهم يدعون ان الصهيونية ترجع الى تاريخ سابق لتاريخ نشوء الامبريالية ، ادعاء ينكرون معه كونهم تعبيراً فكرياً وسياسياً عن الرأسمال اليهودي الاحتكاري الامبريالي وممارسة عملية لخدمة هذا

الرأسمال !..

يقول يوري ايفانوف :

«اخفاء الجوهر الطبقي الحقيقي للصهيونية ، ومطامعها الحقيقية ومخططاتها ، ومحو التاريخ الحقيقي لولادتها واسباب ظهورها الى النور من الذاكرة ، واقناع السكان اليهود في بلدان العالم بأن الصهيونية هي ما تمنوه طوال حياتهم ، ولكن دون ان يعوا ذلك تماماً . هذه هي الأهداف التي ترمي اليها الاسطورة المنتشرة حتى يومنا هذا حول ما يسمى بقدم الصهيونية[٣] .»

فاذا كانت هذه هي الاهداف الصهيونية ، فان حصر معاداة الصهيونية بوجود الانسان العربي وتاريخه وحضارته ، ينم عن نظرة طائفية اسلامية مقابل نظرة طائفية يهودية ، واخطر ما في هذه النظرة ، انها تنطوي على تدعيم لادعاء الصهيونية ، بانها حركة تاريخية نشأت قبل الامبريالية وارتبطت باسطورة رسالة الديانة اليهودية التي تنسب الى مجهول لايعرف اين قبره !..

٥

ثم ان حصر طبيعة الصهيونية بمعاداة الانسان العربي ، لايشكل اساءة بالغة لا مناص منها ، للصهيونية . فما دام هذا العداء ذو ابعاد تاريخية وحضارية تمس الوجود العربي ، فانه يمس ايضاً الوجود الصهيوني ، حسب ادعاء الحركة الصهيونية . وبغض النظر عن حجم

(٢ - ٣) يوري ايفانوف : احذروا الصهيونية ـ اصدار وكالة أنباء نوفوستي ص ٤ .

العدالة في موقفنا ، فان الحركة الصهيونية لاتعوزهـا الذريعـة لتبـرير عدائها للانسان العربي ، بما انه عدوها التاريخي والحضاري !..

في حين أن الاستشهاد بوقائع التاريخ واراء المفكرين والمؤرخين التقدميين للتدليل على محتوى الصهيونية الرجعي الفاشي العنصري المعادي للانسانية وللانسان في كل مكان ، يخدمنا ويدعم جانب العدالة في موقفنا !

عندمـا تكون الشيوعية حركة عمالية ليسـت عربية ، وعندمـا تناصب الصهيونية العـداء لهـا ... عندمـا يكون الأمـر بمثـل هذه الصورة ، فان عداء الصهيونية للانسان العربي يندرج ضمـن نطـاق العداء الامبريالي للشعوب ، بغض النظر عن جذوره التاريخية الدينية والعرقية .

٦

ولعله مفيداً ، ان نجلب الانتباه الى ان القول : «تجلت ـ حقيقة الصهيونية ـ اكثر ما تجلت في حصار ...» بيروت ، ينطوي على مبالغة اذا ما حوكم بوقائع التاريخ الحديث ، ففضلاً عن كون الديانة اليهودية تبيح القتل والابادة وقد قامت مملكة اسرائيل في السامـرة على جماجـم الكنعانيين ـ الفلسطينيين وانقاض الحياة ، قبـل اكثـر من ثلاثـة آلاف سنة .. فضلا عن ذلك فان مجزرة دير ياسين التي دبرتها الصـهيونية تفوق المجازر التي شهدها لبنان ، رغم فظاعتها وحجم البشاعة فيها ، فقد حاصرت العصابات الصـهيونية القـرية وفتـكت بسكانهـا البالـغ عددهم مئتين وخمسين نسمـة ، وبعـد ان اضرمـت النـار في البيوت ، اقتادت عدداً من النساء الشابات والفتيات اللائي احتفظت بهن على قيد

الحياة ، وراحت تعرضهن في الشوارع والاحياء اليهودية في مدينة القدس وهن عاريات تماماً ، ليتفرج عليهن آل يعقوب (اسرائيل) ويستعيدوا ذكرى تاريخهم الفاشي !..

فأية فظاعة أشنع من هذه الفظاعة ؟

لاريب في فظاعة وشناعة جرائم القتل وانتهاك الحرمات في لبنان ، ولكن اسرائيل وبيغن بطل مجزرة دير ياسين بالذات شكلوا لجنة للتحقيق في مجزرتي صبرا وشاتيلا ، كي يبرىء ذمته ويلقي بتبعات الجريمة على عاتق غيره . وشارون نفسه يبرر ما حدث بكونه جزءاً من طبيعة الحرب «لأن الحرب هي الحرب» على حد قوله . ولكن هل بوسعهم ان يبرروا جريمة في قرية عزلاء واجبار النساء على التجول في وضح النهار وهن عاريات دون ان يرف لهم جفن او ينبض ضمير لدى حاخامات صهيون كما «نبض» ضمير حاخام اسرائيل اليوم ليعلن براءة الجيش الاسرائيلي من مجزرتي صبرا وشاتيلا !..

الملاحظة الهامشية الثالثة

لقد استرعت انتباهي ، عبارات الشفرة الواردة في البند الثالث :

ان غياب التحرك الشعبي :

«يرجع بالمقام الأول الى غياب القرار السياسي الرسمي بالتعبئة والمواجهة ، والى غياب الديمقراطية وقمع الحركات الشعبية على امتداد الوطن العربي وتهميش المواطن العربي بالاضافة الى العوامل الذاتية لحركة التحرر العربية» .

ماهو تفسير الندوة وتحليلها لغياب القرار السياسي . وهل يمكن عزله عن النهج الأقليمي للمقاومة الفلسطينية ؟

ماهو تفسير الندوة لغياب الديمقراطية وقمع الحركات الشعبية ، وهل يمكن عزله عن نهج التسوية والاعتراف المتبادل ؟

ماهو تفسير الندوة لضعف حركة التحر ر العر بية ، وهل يمت بصلة للزحف لجاناً وافراداً الى واشنطن بغية اقناعها باستقبال منظمة التحر ير والتوسط لتحقيق الاعتراف المتبادل ؟

مرة اخرى اعتذر من القارىء عن الاجابة على هذه الاسئلة ، لكي اتجنب الدخول في صلب القضايا الاساسية ، وقد التزمت منذ البداية بالبقاء ضمن اطار الحواشي الهامشية ! . .

الملاحظة الهامشية الرابعة

يقول البند الرابع :

«يسجل المشاركون ما اكدته الأحداث الجسام التي شهدتها الامة العر بية على امتداد السنوات الاخيرة من ان لا مجابهة فعلية لاسرائيل ومن خلفها الا بمجتمع عر بي تسوده الديمقراطية فكراً وممارسة . فشعب مقهور لايمكن ان يقاتل من اجل التحر ير . »

ان هذا البند من اكثر البنود اثارة للاستغراب ، ليس لانه يكشف بعد هذا النفر عن الفهم الموضوعي ، وليس لأنه يعري عزلتهم عن الواقع المعاش ، فحسب ، وانما لأنه اوقعهم بتناقض مع الوقائع التي اجتمعوا من اجلها واطنبوا في وصفها ! . .

ان الذين صاغوا هذا البند قد مسخوا كل البنود الأخرى التي تحدثت عن بطولة القتال وعظمة التضحية التي قدمها الشعبان : الفلسطيني واللبناني ! . .

من أخبر السادة «المفكرين والمثقفين والممثلين» ، ان «الشعب المقهور لا يمكن ان يقاتل من أجل التحرير» ؟

وهل كان الشعب الفلسطيني غير مقهور يوم ثار وقاتل من أجل التحرير ، وعلى أرض مَنْ سقط اول شهداء الثورة ؟

وهل ان الشعبين الفلسطيني واللبناني ، قد قاتلا لأنهّما سعيدان وغير مقهورين ، يا ترى ؟

كلا ، والف كلا ! . .

لكلام غير علمي وغير موضوعي . فلو لم يكن الشعب الفلسطيني مقهوراً لاستحال عليه القيام بأعباء القتال من أجل التحرير وهو لم ينهض بأعباء القتال ، الاّ بعد ان تجرع مرارة القهر والاضطهاد ، لأن شعباً سعيداً ويتمتع بالديمقراطية لا يشعر بحاجة للقتال والثورة ! . .

ان «المفكرين والمثقفين والممثلين «الذين صاغوا هذا البيان ، تشبهوا بالنعامة ، فبدلاً من ان يدعوا الجماهير العربية للثورة على انظمة القهر والاضطهاد ، راحوا يثرثرون حول اسباب غياب القرار السياسي وتناسوا ان قمة فاس قد رسمت النهج الذي يشكون من نتائجه ! . .

لقد فات «المفكرون والمثقفون والممثلون» ، ان المرحلة التي تصنع فيها الامة العربية ، مجتمعاً تسوده الديمقراطية فكراً وممارسة»، هي

على وجه التحديد ، تلك المرحلة التي تتحرر ابانها فلسطين وارادة الانسان العربية من اصفاد الاضطهاد والقمع والتلطي باذيال الامبريالية وعملائها ! . .

الملاحظة الهامشية الخامسة

يقول البيان :

«ثامناً : يؤكد المجتمعون على دعم العمل العربي الموحد على اساس وضع استراتيجية عربية متكاملة سياسية واقتصادية وعسكرية واعلامية لضمان تنفيذ القرارات العربية الجماعية . »

هذا هو خاتم البنود ، وكاشف الخلفيات والنوايا . وبدون اطالة ، سأكتفي بهذه الملاحظة الاخيرة التي سأتجنب بها تكرار الملاحظات حول البنود : الخامس والسادس والسابع ، بدون طائل ، لأقول بصراحة ان هذا البند قد فضح انتماء الذين اصدروه للملوك والرؤساء الذين انجزوا قمة فاس وصاغوا قراراتها ، فضحاً كشف طبيعة النهج الذي يلتزمونه ومضمون القضية التي يخدمونها ، وحوافز الخدمة التي قدموها في عاصمة البلد الذي اصبح مزاراً لكل حجاج التسوية السياسية للصراع العربي ـ الصهيوني ! . .

ولن اتردد عن التحذير ، من مغبة معاملة الحرب الخامسة التي ما تزال الأرض اللبنانية تشهدها والشعب اللبناني البطل يخوضها ، كما عوملت هزيمة المقاومة في الأردن ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، فنضالنا اليوم

بحاجة ماسة لاستخلاص دروس هذه الحرب النموذجية وليس مسموحاً لمفكري الصالونات ان يطمسوا دروسها بندوات تعقد للتعمية والتضليل وتبرير الاقتداء بما فعله السادات ! . .

الفهـــــرست

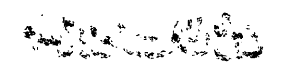
للمؤلف : المطبوعات المنشورة

- حركة الطبقة العاملة النقابية العراقية ـ ٦ أجزاء نافد
- الحرب الرابعة والمقياس العلمي لتحديد طابع الحرب ـ الطبعة الثالثة نافد
- البوليساريو : شعب وثورة ـ الطبعة الثالثة ـ نافد
- مفهوم الهدف المرحلي والمرحلية في الكفاح الثوري المسلح
- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية ـ الكتاب الأول
- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية ـ الكتاب الثاني
- شعارات رابطة العمل النسوي الديمقراطي والمسار التاريخي لتحرر المرأة من الاضطهاد .
- في الجبهة الوطنية الموحدة ـ

مترجم عن البلغارية لجورجي ديمتروف (اعداد وتقديم)

قيد الطبع والاعداد

- دروس الحرب الخامسة وقضية تحرير فلسطين ـ الكتاب الأول ـ الجزء الأول



- دروس الحرب الخامسة وقضية تحرير فلسطين - الكتاب الأول - الجزء الثاني

- نقد حرب «حرب اكتوبر» لسعد الدين الشاذلي

- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية - الكتاب الثالث

- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية - الكتاب الرابع

- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية - الكتاب الخامس

- دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية - الكتاب السادس

- الجواب ؟: كتاب يبحث بظاهرة الانتهازية اليسارية في الساحة الفلسطينية .

- حركة الطبقة العاملة النقابية العراقية - كتاب بثلاثة اجزاء

- حركة الطبقة العاملة النقابية العربية

- وديع حداد : الذكرى المنسية

- محمد عياش : المناضل الذي افتدى القضية

من المقدمة

إننا ،إذ نعبر عن مشاعرنا ، انما نعبر عن ارتياحنا لنجاح الانتفاضة ، وأملنا في أن تتابع طريقها الصعب . . . طريق استمرار الثورة حتى تتكلل بالنصر . أما هذا الكراس ، فليس أكثر من خطوة متواضعة ، نأمل أن تملأ فراغاً في المكتبة العربية ، وان تخدم الانتفاضة والثورة التي دعت الى قيامها ، خدمة نترك لمقاتلي الثورة وجماهير شعبنا العربي ولقادة المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتهم قادة الانتفاضة ، أن يقدروا مدى فائدتها لقضيتنا المقدسة ... القضية الفلسطينية .



٢٥ ل . س .